

ديعاج

عجوة لابن الوردة

مترجمة وقدم له ووضع فهرسه
الدكتور سفيان صفاوي

دار الحديث
بيروت



دَيَّانُ
عَمْرُو بْنُ لَوْزَكٍ

دِيَّانُ
عَمْرُو بْنُ الْوَرْدِ

مُتَرْجَمَةٌ وَقَدْ قَدِّمَ لَهُ وَوَضَعَ فِهْرَاسَهُ
الدُّكْتُورُ سَعْدِي ضِيَّانَوِي

وَلَارُ الْجَيْدِ
بَيْرُوتَ

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

«إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ أَحَدٌ كِتَابًا فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ
فِي غَدِهِ: لَوْ غُيِّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زِيدَ هَذَا
لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ، وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تُرِكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ. وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ، وَهُوَ دَلِيلٌ
عَلَى اسْتِيْلَاءِ النَّقْصِ عَلَى جُمْلَةِ الْبَشَرِ».

العماد الأصفهاني

حركة الصعلكة في العصر الجاهلي

حركة الصعلكة في العصر الجاهلي

١ - الانتماء الاجتماعي

كان العرب، شأن سائر الشعوب البدائية التي عاشت قبائل وعشائر، مجموعة من المجتمعات يجمعها، داخلياً، رابطة الدم والعصب^(١)، ويربطها، خارجياً، بعضها ببعض الآخر، علاقات التآلف أو التنافس والصراع. وكان كل مجتمع من هذه المجموعة يقوى بأفراده وهم يقوون به^(٢) : ان قوته تكبر مع ازدياد عدد الشبان

(١) الرابطة الأساسية هي رابطة الدم، والولاء أبوي عن طريق الذكور. وقد تمنى العربي انجاب الكثير من الذكور لتقوى بهم شوكته في جماعته. يقول ابن خلدون : « اعلم ان كل حي او بطن من القبائل، وإن كانوا عصباً واحدة، لنسبهم العام، ففيهم ايضاً عصبيات أخرى لأنساب خاصة هي أشد التحاماً من النسب العام لهم، مثل عشير واحد وأهل بيت واحد واخوة بني أب واحد، لا مثل بني العم الأقربين والأبعدين... »

والرياسة فيهم انما تكون في نصاب واحد منهم ولا تكون في الكل. ولما كانت الرياسة تكون بالغلب وجب أن تكون عصباً ذلك النصاب أقوى من سائر العصابات ليقع الغلب بها وتتم الرياسة لأهلها... » المقدمة ج ٢ ص ٤٣٩.

(٢) يقول ابن خلدون : « ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصباً. وأهل نسب واحد لأنهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم. » المقدمة ج ٢ ص ٤٢٣ =

الأقوياء فيه. والفرد المنتمي الى جماعة كبيرة معروفة بالبأس يشعر بقوة مضاعفة ومعهما منعة وهيبة. وذلك يعود الى التركيب الداخلي للجماعة القائم على قاعدتين : الفرد للجماعة، والجماعة للفرد.

فانتماء الفرد الى جماعة، عائلية أو قبلية، يفرض عليه الذوبان في خضمها، معتدلاً مصالحها مصالح ذاتية له. والانتماء هذا يفرض عليه كذلك أن يكون حاضراً، عند كل طلب من الجماعة، مستعداً للتضحية في سبيلها، كما يفرض عليه التقيد بجميع اعرافها وتقاليدها و« يرى أن خيرها من خيره وشرها من شره، يصادق من تصادق ويعادي من تعادي »^(١).

وبالمقابل، فإن ما يميز الجماعة العربية، عائلة كانت، أو عشيرة أو قبيلة... هو استعداد الجماعة لتحمل اوزار الفرد المذنب، والثأر للمغدور. إن أي عضو من اعضاء الجماعة، يقترب خطأ أو يرتكب جريمة بحق إنسان، يجعل الجماعة بكاملها عرضة للانتقام هذا الانسان المساء اليه، مدعوماً بجماعته.^(٢) ولم يكن غريباً

= ويقول امرؤ القيس :

يَعَزِّهِمْ عَزَزْتُ، فَإِنْ يَذَلُّوا فَذُلُّهُمْ أَنَا لَكَ مَا أَتَالَا
(الديوان ص ١٥٨)

ويقول دريد بن الصمة :

وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَرِيَّةٍ، إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ، وَإِنْ تَرَشَّدَ غَرِيَّةٌ أُرْشِدُ
(الحماسة ج ١ ص ٣٣٣)

(١) قصة الادب في العالم ج ١ ص ٣٥٥.

(٢) لم يكن العربي يتهاون في الثأر لكرامته أو لمقتل قريب له. وكانت الدية مكروهة الا في ظروف محدودة. ومن قصر في واجب الثأر لبسه العار طوال حياته، وقد يورث عارَه أبناءه فيظل العار عالقاً بهم الى أن يغسلوه بالدم. ولعل افضل تمثيل لحياة العربي، بين واطر وموتور، ابيات دريد بن الصمة :

أن لا يستهدف الثأر الفرد المذنب، المغمور في قومه، وإنما يستهدف سيد جماعته ليكون الانتقام أكبر وأبعد أثراً في النفوس. ^(١) هكذا تكون الاساءة مناسبة تجمع كلاً من الجماعتين حول المسيء أو المساء اليه وفق المبدأ المشهور : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ».

ويبدو مبدأ الأخذ بالثأر كأنه قام، في عالم الجاهلية، مقام القوانين العامة في البلدان المتطورة. فالقوانين العامة تُعاقب المذنب وتقتص منه، فيهاؤها الناس ويتعدون عن إحداث الأذى للآخرين خوفاً من ذيوله عليهم، فيكون بها الرّدْع. والأخذ بالثأر هو، كذلك، عقاب للمذنب واقتصاص منه، يعمل له الناس ألف حساب، ويتعدون، قَدَر الامكان، عن الوقوع في دوامته. فكم من قاتل قضى عمره يهرب من طالبي ثأر ضحيته، وكم من طالب ثأر بقي دهرأ يلاحق واثره، وقد حرّم على نفسه الخمر والطيب والنساء وجميع مباحج الدنيا، ^(٢) الى أن يصل الى بُغيته ويطعنه قائلاً : خُذْهَا مِنْ يَدِ فُلَانٍ بِثَأْرِ فُلَانٍ، أو يموت دون ذلك.

لدى واثري يسعى بها آخِر الدهر
وُلُجْمُهُ، حيناً، وليس يذِي تُكْرٍ
بنا إن أُصِيبنا، أو نُغَيَّرُ على وِثْرِ
فما ينقضي إلا ونحن على شَطْرِ.
(المجاني الحديثة ج ١ ص ٣٢٠)

= فَإِمَّا تَرِينَا، لَا تَرَأُ دِمَاؤُنَا
فَإِنَّا لِلْحَمِ السِّيفِ، غَيْرَ نَكِيرَةٍ،
يُغَارُ عَلَيْنَا، وَاتْرِينْ، فَيُشْتَفَى
قَسَمْنَا، بِذَاكَ، الدَّهْرَ شَطْرَيْنِ يَبْنَا :

(١) قال الحرث بن زيد الخيل :

تُصِيبُ المَنَايَا كُلَّ حَافٍ وَذِي نَعْلٍ
كَرَاماً وَلَمْ نَأْكُلْ بِهِمْ حَشَفَ النُّخْلِ
(الحماسة ج ١ ص ٣٥١)

لَا تَجْزَعِي يَا أُمُّ أَوْسٍ فَإِنَّمَا
قَتَلْنَا، بِقَتْلَانَا، مِنْ الْقَوْمِ، ضُمَّةً

(٢) يقول المهلهل :

أَنْ تَرَى هَامَتِي دِهَاناً وَكُحْلاً
(ديوان المراقبة ص ٢٨٩)

عَزَّ، وَاللَّهِ، يَا كُلَيْبُ عَلَيْنَا

وليست العصبية العائلية أو القبلية غير هذه النصرة للظالم أو المظلوم من أبناء الجماعة، مع احساس مشترك، لدى جميع أعضائها، بوحدتهم،^(١) من جهة، وبتميزهم، من جهة أخرى، عن سائر الناس في سائر الجماعات. ولعل هذا ما يجعل العصبية حاجزاً يقف في وجه ائتلاف الجماعات وانتظامها في وحدة كبرى تتابع هدفاً مشتركاً.^(٢)

ونحن، في هذه العجالة من البحث في موضوع يمكن أن يستنفد المجلدات، نبه إلى أن الأمور لم تكن تجري واقعياً بهذه البساطة والغيرية والروح الجماعية، بل عكس ذلك هو الصحيح. فالمعروف عن البدوي أنه أناني لا يرى إلا ذاته ولا يحترم إلا حقوقه، ولا يعترف بقيمة لعمل الآخرين وجهدهم^(٣). وبالمقابل، فإن العشيرة أو القبيلة ليست معنية كلها بأخذ ثأر المقتول، لكن المعنيين هم اقرباؤه من أولاد واخوة وأولاد أخ وعم. والقبيلة تقدم لهم مساعدتها ودعمها، وأحياناً لا تجد مفرّاً من الاصطلاء بنار العداوة التي تورثها الجريمة. لذلك فهي لا تتحمل اوزار

(١) يقول ابن خلدون : « وبها تكون الحماية والمدافعة والمطالبة، وكل أمر يجتمع عليه. »

(المقدمة ج ٢ ص ٤٢٤)

(٢) يقول فيليب حتي : « ان هذه الصفة الفردية اللاصقة التي اختصت بها العشيرة صورة

مكبّرة للاستقلال الفردي الذي يشعر به ابن العشيرة، وهي تحدو به الى الظن بأن العشيرة أو القبيلة، حسبما كان الحال، هي وحدة اجتماعية قائمة بذاتها، تذود عن حوضها، مطلقة الحرية، ولها أن تحسب كل عشيرة أو قبيلة أخرى لقمة سائغة وغنيمة باردة، يحل لها فيها النهب والسلب والقتل. » تاريخ العرب مطول ج ١ ص ٣٥.

(٣) يصفه بطرس البستاني قائلاً :

« والبدوي، في أنانيته وامتلاته من شخصيته، يؤثر الخير أبداً لنفسه، ويجمع الفضائل في ذاته، فإن أبعد في تفكيره إلى أبناء عشيرته فلا أنه يجد في العصبية القبلية خيراً ومنفعة، حتى إذا امتنع هذا الخير ترك القبيلة وأنكرها، والتحق بغيرها لينتفع منها. » الشعراء الفرسان ص ١٦ و ١٧.

المذنبين الى ما لا نهاية : فالشرير، الكثير الجرائر، الذي لا يني يورث العداوات، ويشير الأحقاد ويذكرى الثارات، تحاول قبيلته أن تردعه، فإن لم يردع تتخلي عنه وتخلعه فيصبح بلا انتماء.

٢ - اللانتماء والصعلكة

يترك الفرد قومه وعشيرته، في الغالب، لأنه يتخلى عنهم أو لأنهم يتخلون عنه. يتخلي الفرد عادة عن جماعته اذا برم بهم أو أنف من وضعهم أو نقم عليهم. فاذا كانت القبيلة حقيرة الشأن قليلة العدد، عُرِف أفرادها بضعف الهمة والقعود عن الحروب، يظلمهم الجميع ولا يظلمون أحداً، أنف الشاعر الفارس أن ينتسب فيهم ويحيا حياتهم. وقد يحاول استثارة نخوتهم فلا يستجيبون، ودعوتهم الى المعالي فيفضلون التمرغ في الأوحال، حينها لا يجد مناصاً من النعمة عليهم وتركهم^(١). وقد يجد الفرد نفسه وسط جماعة تسعى الى تحقيق اغراض لا تعجبه، فيخالفها الرأي، ويرحل عنها طلباً للبعد عن الأذى المتوقع. ويمثل الشفري ذلك كله في بيته :

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها، لمن خاف القلى، مُتَعَزِّل
لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ سرى راغباً، أو راهباً، وهو يَعِزِّل^(٢)

وحين يترك الفرد قومه الى غير رجعة يكون أمامه طريقتان : إما أن يبحث عن قبيلة جديدة بأن يلتحق بنسبها عن طريق التبني، وإما أن يبقى وحيداً يقوم بغارات فردية على سالكي طرق الصحراء، ويروغ الأحياء الآمنة، وبذلك يغدو صعلوكاً. أما تخلي القبيلة عن أحد أفرادها فهو مظهر اجتماعي معروف وله اسم محدد

(١) وقد يناصر اهله العدا فيكون شاطرأ، من شَطَرَ: شطارة « اذا نزع عنهم وتركهم مراغماً أو مخالفاً وأعياهم نجثاً. » (لسان العرب ج ٤ ص ٤٠٨ [شطر] .

(٢) لامية العرب ص ١٤ و ١٥ .

هو « الخُلْع ». والجماعةُ تخلعُ من أفرادها مَنْ طُبِعَ على الشرِّ وعلى اقترافِ الآثام والموبقاتِ وجَرَّ الجرائرِ عليها، حينَ تشعرُ بعجزها عن تحمُّلِ جرائره وبالمذلة والمهانةِ لما يلحقُ بها من سوء سمعته. وقد تنذره وتأمره بالتخلي عن سلوكه، فإن لم يفعل تَسحبُ منه هُويَّته القبلية. « وليس من كارثة على البدوي أشرُّ من خسرانه نَسَبه القبلي. وماذا يفعل من لا قبيلة له في بلادٍ يُحسبُ بها الغريبُ عدواً ؟ انه واقعٌ في شرٍّ مستطير. »^(١)

« وكان الرجل منهم يأتي بابنه الى الموسم ويقول : ألا إني قد خلعتُ ابني هذا، فإن أُجِرَّ لم أضمن، وإن جُرَّ عليه لم أطلب... فلا يؤخذ بجرائره »^(٢) أما الخليع^(٣)، فلا احد يقبل بتبئيه، لذلك ليس أمامه خيارٌ غير الالتحاق بعالم الصعاليك^(٤).

(١) تاريخ العرب مطول ج ١ ص ٣٤.

(٢) بلوغ الأرب ج ٣ ص ٢٧.

(٣) جاء في لسان العرب مادة [خلع] :

« غلام خليع : بين الخلاعة، وهو الذي قد خلعه أهله، فإن جنى لم يُطالبوا بجنايته. والخليع : الرجل يعجنى الجنايات يؤخذ بها أولياؤه، فيتبرأون منه ومن جنايته ويقولون : إنا خلعنا فلاناً، فلا نأخذ أحداً بجناية تُجنى عليه، ولا نؤاخذ بجناياته التي يجنيها. » ج ٨ ص ٧٧.

(٤) هم المجموعة من الناس التي عاشت خارج الانتماءات المعروفة في عالم الجاهلية. وهم إما فئة انطوت على فقرها تجرُّه بذلٍ وسلبية، وإما فئة ثائرة استهدفت الجماعات ذات الانتماء وراحت تُمعن نهشاً في جسدها. يصفها الدكتور محمد رجب النجار بأنها « وجهت نشاطها أساساً الى الهيئة الاجتماعية، وغايتها التمرد على النظام الاجتماعي والاقتصادي كفة اجتماعية وجدت نفسها ضحية هذا النظام الجائر فلم تقبله، ورفضته، وتمردت عليه... وبدأ الصراع بين الجانبين، منذ أن وجد هؤلاء الخُلعاء الصعاليك أنفسهم خارج الشرائع والاعراف والتقاليد القبلية، محرومين من كل شيء... » حكايات الشطّار والعيّارين ص ١١٤.

هذه مظاهر للانتماء دائم. وقد عُرف الى جانبها مظهر للانتماء مؤقت تفرضه الرحلة في طلب الغنى.

٣ - التصعك

أ - مفهوم الملكية في عالم الصحراء : كان للنظرة الى الملكية لون خاص في الجاهلية ؛ فما يملكه الانسان لا يقُدس الآخرون حقّه فيه، وليس هناك تشريعات مكتوبة تُحفظ الملكية لصاحبها، ولا أجهزة مؤسسية عامة تسهر على تطبيق هذه التشريعات، لو قُبِض لها الوجود.

إن من يملك المال يُحسّ أنه يتمتع بملكية رجراجية غير مستقرة، لا يستطيع حمايتها الا بمنعته أو بقوة ساعده. ومع الاحساس بالملكية يعيش احساس آخر بإمكان فقدها، في كل لحظة. ومع احساس المحروم بلاملكيته المال يعيش احساس آخر بحقه فيه، وبإمكان حصوله عليه بوسيلة أو بأخرى^(١). وقد يكون هذا الشعور، لدى صاحب المال، بنوع من حق للآخرين فيه، ولدى المحروم، يقسط له فيه، احد الحوافز التي كانت تسهل على الكريم ممارسة كرمه والتنازل عن ملكيته، لا مُرغماً مغلوباً على أمره، بل عن طيب خاطر، مُحصّلاً بذلك حسن الصيت والمِنَّة بدلاً من الخيبة والحسرة. وبالمقابل، فقد يكون ذلك مما يسهل على المحتاج، وإن كان كريم النفس أياً، أن يتقبل كرم الآخرين وضيافتهم وقراهم، دون أن يرى في ذلك غضاً من كرامته او انتقاصاً : إنه بعض من حقه يعود اليه طائعاً.

(١) يقول الأحيمر السعدي :

وإني لأستحيي لنفسي ان أرى	أمرٌ بحبلٍ ليس فيه بعيرٌ
وأن أسأل العبد اللئيم بعيره	وبُعْرانٍ ربي في البلاد كثيرٌ
(الشعر والشعراء ج ٢ ص ٧٩٢)	

وهنا يكمن القربُ بين افكار العربي الجاهلي وبعض مبادئ الاشتراكية التي تنطلق من أن خيرات الطبيعة ملكٌ للجميع، ولكلِّ حقٍّ فيها لا يقل عن حقِّ سواه. (١)

ب - الفقر والغنى : من المعروف أن شخصية البدوي سلبية تجاه ظروف الطبيعة والمعاش، تتقبَّلها، وتتكيَّف وإياها، وقلَّما تحاول تحويلها وتطويرها. ولما كانت البيئة التي يعيش فيها البدوي هي الصحراء، « ذات المناخ الحارِّ والموارد الطبيعية المحدودة المرتبطة بالمطر تجوُّد به السماء في فتراتٍ غير منتظمة »، (٢) ولما كان الجفاف والجذبُ بخيَّمان على عالم البداوة معظم شهور السنة، لذلك كان الارتحال في طلبِ المعاش، وكان الفقرُ طابعاً مميّزاً للحياة (٣).

والفقر ليس قلة الموارد عموماً، وقلة ذات اليد عند فئةٍ معينةٍ من الناس، لكنه طابعٌ لحياة الصحراء يميّز بالقلة في كل شيء : في موارد الطبيعة، في وسائل الراحة والرفاهية، وفي المشاريع الضخمة والآمال الكبيرة وفي كل ما يملأ الحياة ويشغلُ اليد والفكر.

هكذا، اذا تتبعنا أقوال الدارسين مع الدكتور يوسف خليف نجد أن (البدوي والعيوز صاحبان ألف كل منهما صاحبه) وأن (الفقر مكان الشظف والسغب) وأن (نكد العيش وشظف الأحوال وسوء المواطن) التي اختص بها أهل البادية أمورٌ (حملتهم عليها الضرورة التي عيّنت لهم تلك القسمة) وأن (الظروف الاجتماعية التي تسود البيئة الصحراوية توصلُ أبواب الرزق في وجوه أبنائها وتجعلُ

(١) يرى الاحيمر السعدي أنها ملك لله. (راجع الهامش السابق) وهي بالتالي ملك لجميع الناس.

(٢) الشعراء الصعاليك ص ٧٢.

(٣) بلوغ الأرب - ج ٣ - ص ٢٤٦ : « كانت العرب في جاهليتهم في ضنك عيش وكلف من الحاجة وشدة من العوز. »

من العمل في سبيله مهمة شاقة غير مثمرة : فهي حياة تعرف الكدح الكثير، ولكنها تضيّع ثمرة^(١).

انحصرت حياة البدو الانتاجية في الرعي. فهم انفوا من الزراعة والصناعة واعتدوا مهنتي الكسالى والعبيد. ولم يكن بإمكانهم التجارة لافتقارهم الى رأس المال، فانحصرت التجارة بالحواضر. لهذا كانت ثرواتهم: القطعان، وكان مألهم: الابل. وكان فيهم مَنْ مَلَكَ الكثير من الابل وعُدَّ من الأغنياء. لكن الثروة من القطعان « التي يملكها البدوي ليست بالثروة المضمونة البقاء : فإن وباءً ينتشر بين قطعانه، أو جذباً في المرعى، أو جفافاً في الآبار، يضعه وجهاً لوجه أمام المجاعة^(٢). » ونضيف الى ذلك وباءً فاتكاً هو طمع البدوي في مال الآخرين. فالغارات التي يقوم بها فريق ضد آخر تؤدي أحياناً الى خراب كامل وافتقار تام، فضلاً عن خسارة الشبان والنساء والأطفال، وهم عنصر الانتاج البشري. وهناك أخيراً، سبب وجيه يُفقد بعض ذوي المال مألهم، ألا وهو «الإتلاف». ان هؤلاء المتلفين لا يؤمنون بحصر الملكية والحفاظ على المال، بل يبدلونه عطاءً وضيافة وقرى : يعتادون العطاء ويعتاد الآخذون منهم اللجوء اليهم، فيصبح بين هؤلاء وأولئك ارتباط لا انفصام له، ولا يعود بالامكان التقصير في واجب الكرم والمعروف، فيظل الواحد منهم يعطي ويعطي حتى يغدو فقيراً معدماً.

ج — الرحلة في سبيل الغنى : لهذا كله كانت الأحوال متقلبة لا يقر لها قرار : ترى السيد مطاعاً، أمراً ناهياً، يُعطي فيغدق العطاء ويستعبد النفوس، ثم تراه

(١) الشعراء الصعاليك ص ٧٢ عن مقدمة ابن خلدون وعن

SEMPLE: Influences of Géographic Environnement.

(٢) المرجع السابق ص ٧٣ عن مقدمة ابن خلدون وعن

SEMPLE: Influences of Géographic Environnement.

فجأة في الحضيض بين الصعاليك والسُّوقَة^(١). وترى الصعلوك فتخافه، ثم تعود لثراه سيداً مضيافاً، يخدم قاصديه ويتفانى في ارضائهم^(٢). وتنال السيد الكريم مصائب تتلاحق وتتابع حتى تأتي على ماله وتجرف كل ثروته^(٣).

ماذا يفعل من يفتقر؟^(٤)

ان الصحراء محدودة الموارد، والثروة كذلك محدودة. لهذا تتداولها الأيدي. فهي، كي تصل الى يد، تترك يداً كانت تمسك بها. والمفتقر، اذا سعى الى الغنى، وأراد المال، يطلبه عند الآخرين الذين يملكونه : يأخذه منهم عطاء كريماً، أو يستولي عليه غصباً : يغزو، يُغير، يسلب، ينهب ويعود غنياً ليعيش حياته الطبيعية، أو ليتولى من جديد، مهمات الضيافة والكرم. لا بدّ اذن، لمن يفتقر، من أن يقوم بالرحلة المعروفة، فيحيا فترة حياة رائد الصحراء الأبدى : يصطاد وحشها ويبحث عن وسيلة أو فرصة لاصطياد انساينها وأخذ ما بيده.

(١) تقول حرقة بنت النعمان بن المنذر اللخمي :

بيننا نسوسُ الناسَ، والأمرُ أمرنا، اذا نحنُ فيهم سُوقَةٌ تُنصَّفُ
فأفُ لِدُنْيَا لا يدومُ نعيمُها، نَقْلُبُ، تاراتٍ، بنا وَنُصْرَفُ
(الحماسة ج ٢ ص ٥٢)

(٢) يقول الأعشى الأكبر :

إِما تَرينا حفاةً، لا نِعالَ لنا، إنا، كذلك، ما نُحْفى وَنَتَعَلُّ
(المجاني الحديث ج ١ ص ٢٢٨)

(٣) يصف عروة الرجل الكريم المفتقر فيقول :

له خَلَّةٌ لا يدخُلُ الحقُّ دونها، كريمٌ أصابَّه خطوبٌ تُجْرَفُ
(الديوان ص ٥٢)

(٤) يُقيمُ الرجالُ الأغنياءُ بأرضهم وترمي النوى بالمُقْتِرِينَ المراميا
(أراجيز العرب ص ١٥)

انه التصعلك، يغدو أمراً طبيعياً في عالم البادية، يأتيه الكريم والسوقي. والفرق بينهما أن الكريم، اذا تصعلك، يحفظ عرضه وكرامته اللذين يعودان وافرين من رحلة الغنى^(١). ونجد في بيتي حاتم الطائي شعاراً لكل متصعلك كريم المنبت :

غَنِينَا، زَمَانًا، بِالتَّصْعَلِكِ وَالْغِنَى، وَكُلًّا سَقَانَاهُ، بِكَاسَيْهِمَا، الدَّهْرُ
فَمَا زَادَنَا بَأْوًا، عَلَى ذِي قَرَابَةٍ، غِنَانًا، وَلَا أَزْرَى بِأَحْلَامِنَا الْفَقْرُ^(٢)

لكن، الى أي مدى ينجح طالب الثروة في كسبها على وجه السرعة ؟

ان النجاح في هذه المهمة الشاقة يشترط وجود صفات لا تتوافر لكل انسان : صفات من قوة الجسد وجرأة القلب، من الصبر والجَلَد والْتِمَرَس بالجوع والعطش ومعرفة القفار ودروبها. ومن لم تتوافر فيه هذه المُعطيات يقعدُ عن اجتياز المفاوز. واذا اجتازها قد لا يجرؤ على الغزو والسلب، فلا تُتاح له فرصة « الكسب الشريف » الذي يُغني. وقد يصبح لزاماً عليه، ليعيش، أن يقصد الأجواد ينعم بعطاياهم ويتألم من منّهم بما يهبون.^(٣) فالواقع أن ظاهرة التصعلك مزدوجة الوجه : الرحلة هي الغنى، والرحلة هي المشقة والموت. والغنى لا يتم بمجرد

(١) أحد بني أسد :

إِنِّي لَأُسْتَغْنِي، فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى وَأَعْرِضُ مَيْسُورِي عَلَى مُبْتَغِي قَرْضِي
وَأَعْسِرُ، أَحْيَانًا، فَتَشْتَدُّ عُسْرَتِي وَأَدْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي
(الحماسة ج ٢ ص ٢٦)

(٢) العقد الفريد ج ١ ص ٢٩.

(٣) يصور منقذ الهلالي هذه الحالة أفضل تصوير :

أَيُّ عَيْشٍ عَيْشِي، إِذَا كُنْتُ مِنْهُ بَيْنَ جِلٍّ وَبَيْنَ وَشْلٍ رَحِيلُ؟
كُلُّ فَجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِدُحُولِ
وَبَلَاءٍ حَمَلُ الْأَيْدِي وَأَنْ تَسَ حَمْعٌ مَتًّا تَوَقَّى بِهِ مِنْ مُنِيلٍ!

الانتقال، انما يكون عن طريق الغزو والأخذ بالقوة. لذا فَخَّرَ البدويُّ بهجماته وغزواته وكثرة أسلابه. ^(١) وهذا يتجلى في ديوان عروة.

٤ - موقع عروة من حركة الصعلكة

ندرس هذا الموقع على مستويين : تصعلك عروة، وقيامه بأمر الصعاليك.

تصعلك عروة : ولم نقل صعلكته، لأن عروة، في رأينا، لم يلتزم حياة الصعلكة : لم ينسلخ نهائياً عن قومه، ولم يخلعه قومه، وهو لم يُعَادِهِمْ ولم يُثْرَ عليهم.

أما متى بدأ عروة تصعلكه ؟ فهذا يصعبُ تخديده. وأما لِمَ بدأ ذلك ؟ فقد يكون لوضعه العائلي ونسبِ أمه الغريبة سهمٌ واضح فيه. وندرس ذلك اثناء عرضنا لحياة عروة..

كان هناك ظلمٌ من الأهل، بلا شك، وكان هناك شبهُ تمرّدٍ من الشباب الطموح، العالي الهمة، بلا شك. ولم تكن ثروة الأب كافيةً، أو هي لم تكن بمتناول عروة وتصرفه، يُرضي، من خلالها، طموحه. فكان عليه أن يسعى لكسب قيمة اجتماعية واحترامٍ وهويةٍ مستقلة، وأن يقوم، حُكماً، بالرحلة في طلب الغنى... وتستمر الرحلة وتطول وتكثُر، ويتعرف عروة بعالم الصعاليك من جهته المشرقة : عالم حرية وقوة وإباء، عالم أملٍ بالمستقبل يصنعه الانسان بيده وعلى هواه، وقد أغرم عروة بهذا العالم... لكن عروة لم يغدُ صعلوكاً عَدَّاءً، فلا شيء في شعره يشير الى

(١) يقول جواد علي : « لم تعد الغارة سرقة ولا عملاً مُشِيناً يُلحق الشينَ والسبَّ بمن يقوم به، بل كان الفخر بالغارات، وعُدَّ المكثُر منها (مغواراً) لما فيها من جرأة وشجاعة واقدام... وقد عاش قومٌ على الغارات : كانوا يغيرون على أحياء العرب ويأخذون ما تقع أيديهم عليه ». (المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٥ ص ١٠٠).

ذلك. وعروة لم يصبح صعلوكاً متذنباً^(١)، يعيش عيشة الذئب : ابناً باراً بالقيافي والقفار، يهرب من الناس ويهربون منه^(٢). انه، على خلاف ذلك، يبدو أليفاً يحيا حياة سائر الناس، بل انه يهتم بالآخرين، والآخرون يتقربون اليه، ويستنجدون به ويشعرون أن لهم عليه حقاً من قرى وعطاء ومساعدة... ويكثر حديث عروة عن الجار والمنازل والعلاقات الطبيعية بين الناس : من عتاب ولوم واتهام ورد، وتعير بخلق أو موقف، ورفض التعبير وما الى ذلك، مما لا نجده عند الصعاليك المستوحدين^(٣). وهذا كله يُثبت، في رأينا، أن عروة لم يعيش كصعلوك، وإن اعتنق الصعلكة وفلسفها وتصرف وفق مُعطياتها. وفيما عدا ذلك، كان يعيش بين قومه، يُحس بينهم بالانتماء القبلي، بكل ما في الكلمة من حقوق وواجبات... قد يبدو قومه غير موافقين على تصعلكه، وعلى حمايته ضعفاءهم ومنبوذهم، لكن بينه وبين قومه شبه معاهدة عدم إعتداء تنقلب، عند الضرورة، ومن طرف واحد هو طرف عروة، معاهدة دعم ومساعدة يكسب بهما عروة حق الانتماء ويرد الى نفسه وصعاليكه، في لحظات محدودة، احساس ابن القبيلة المنتمي اليها^(٤)، البار بها، الذي يدفع عنها الاخطار ويُنجدها في الملمات ؛ وهذا لا يمنعه من أن يستمر، في سلوكه الخاص، أباً حنوناً لفقراء القبيلة والزمنى من ابنائها. ونحن نرى أن، في

(١) ذؤب الرجل وتذأب : نجث وصار كالذئب نجثاً ودهاء... وذؤبان العرب : لصوصهم

وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون. (لسان العرب ج ١ ص ٣٧٨ [ذأب]).

(٢) كان عروة يتصعلك، شأن كثير من الاشراف والفرسان في عصره، على غرار حاتم

الطائي، تحذرو به الاهداف النيلة نفسها. فَرَّقَ بين عروة وحاتم أن حاتماً كان يغتم

ليعطي من بطرق بابه، وأن عروة كان يعطي مثله، لكن همه الأكبر كان انتشال

الصعاليك الفقراء من البؤس.

(٣) انظر توسيعاً لهذه المعطيات ص ٥١ من هذه المقدمة.

(٤) نتحدث بالتفصيل عن ذلك عند دراستنا لشعر عروة في الديوان. (راجع ص ٥١ وما

بعد من هذه المقدمة)

استمراره هذا، السبب الأكبر لاستمرار تصعلكه،^(١) وان ارتباط اسمه بالصعلكة جاء من قيامه بأمر الصعاليك، لا من ممارسة حياة صعلكة دائمة.

قيام عروة بأمر الصعاليك : لا بد هنا من تذكير سريع بأن الصعاليك نوعان : نوع مارس الصعلكة الثائرة واتخذها أسلوباً في الحصول على المال ليُشبع حاجاتٍ عنده يرفض المجتمع إشباعها له، ونوع بائس يائس، لفظه المجتمع لخموله وضعه أصليه وقلة جدواه في حياة الصراع والقوة، نشأ بين القذارة وعاش خلف البيوت يمتنع أفانين الذل ويلبّي ما يصدر اليه من أوامر. انها فئة معروفة في كل جماعة، في كل شارع، وكانت معروفة في كل قبيلة وحي. هذه الفئة تطامنت الى الذل فلم تشك منه، وقامت بالأعمال الحفيرة فلم تتضجر منها، وكانت في عالم الجاهلية هدفاً للتخلي الدائم، لا على سبيل الخلع، فهي لم تكن تجرؤ على جرّ الجرائر وبالتالي لم تستدعِ العداوات، وإنما على سبيل الاستغناء عنها اذ تشكّل عبئاً سلبياً، تأخذ ولا تعطي، تستهلك ولا تنتج، وهذا العبء يصبح ثقيلاً في أيام القحط والمجاعة. لقد كان على هؤلاء الصعاليك أن يوطنوا نفوسهم على الموت جوعاً في سنوات الجذب، جُلّ همهم أن يقضوا بصورة طبيعية فلا تنهشهم الذئاب وهم أحياء. وتقول الأخبار إنهم كانوا أيام عروة، يجمعون أنفسهم وينون لهم حظيرة من أغصان الشجر وورقها^(٢)، يأوون اليها وينتظرون الأجل، بينما قومهم عنهم غافلون، وبمصيرهم لا يهتمون !

ما كانت طبيعة عروة تقبل هذا الظلم، ولا كانت نفسه الأيية ترضى بهذا

(١) يقول جواد علي : « عروة لم يكن فقيراً، محتاجاً، معدماً، كما يفهم من لفظة (صعلوك). لقد كان في وسعه أن يجمع مالاً مما كان يغمه من غاراته على العرب، فيكون حسن الحال غنياً. لكنه فضل الصعلكة على اكتناز المال، ورجح اشراك الفقراء فيما يغمه على جمعه له واستثاره به له وحده. » (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٤ ص ٤١٢).

(٢) راجع ص ١٠٣ مقدمة قصيدته الحائية (عن ابن السكيت).

الخنوع والاستسلام. فكان تدخُّله الى جانبهم : يدفع عنهم الأذى وينقذهم ويشجِّدُ عزيمتهم ويتبناهم، لأن التخلّي عن هؤلاء المساكين يخالف القيم التي يفخرُ بها العربي، فما قيمة الكرم والجود والقرى اذا لم تتوجه الى هؤلاء ؟ وما قيمة النجدة والنخوة اذا لم تُنجدا هؤلاء ؟ لكن استدرار الشفقة على الصعاليك لم يكن هدفَ عروة بل كان هدفه أن يبعثَ فيهم إحساساً بالكرامة يجعلُهم يأبون الدّل، ورغبةً في الحياة وإيماناً بحقهم فيها لينتزِعوا اللقمة غصباً وقهراً من يد المثرفين^(١). هكذا كان يجمعهم، يقدِّم لهم ما لديه، كثيراً كان أو قليلاً، يداوي مرضاهم ويدربُ أصحابهم، حتى اذا اكتملت لهم قوّة وعدد، ترك الضعفاء في كنائفهم وقاد الأقوياء في دروب الصحراء، في رحلة الغنى،^(٢) يعلِّمهم أن الحياة ترفض الخنوع، وأن الدنيا واسعة فيها مجال لكل مجاهد، وأن الغنى في متناول يد كل إنسان، يكفي أن يمدّها ليطاله. ولقد علّمهم التعاونَ اذ جعل اقوياءهم يعودون بالغنائم ليتقاسموها والضعفاء منهم... انها قيادةٌ بكل معنى الكلمة. فعروة هو مفلسٌ للصعلكة وقائدٌ للصعاليك في درب الإباء والثروة...

(١) « ذكر أنه كان، اذا شكّا اليه فتى من فتیان قومه الفقر، اعطاه فرساً ورمحاً وقال له : إن لم تستغنِ بها، فلا أعناك الله. » (المفضل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٤١١ — عن ثمار القلوب للثعالبي).

(٢) يصفه الاصفهاني : « كان عروة بن الورد، اذا أصابت الناس سنةٌ شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف. وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء، من دون الناس من عشيرته، في الشدة، ثم يحفر لهم الاسرابَ ويكُفّ عليهم الكُفّ ويكسبهم. ومن قوي منهم — إمّا مريضٌ يبرأ من مرضه أو ضعيفٌ تثوب قوّة — خرج به معه فأغار، وجعل لأصحابه الباقيين في ذلك نصيباً. حتى اذا أحصب الناسُ والبَنوا وذهبت السنة، ألحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقَسَمَ له نصيبه من غنيمَةٍ إن كانوا غنموها. فربما أتى الانسانُ منهم أهله وقد استغنى. فلذلك سُمّي عروة الصعاليك... » (الاغانى ج ٣ ص ٧٥).

عروة بن الورد

القسم الأول : نسبه — حياته

عروة بن الورد

القسم الأول : نسبه — حياته

هو عروة بن الورد العبسي، الغطفاني، القيسي، المضري.

أولاً : أبوه^(١)

هو الورد بن حابس بن زيد بن عبدالله بن ناشب بن هريم بن لديم بن عوذ ابن غالب بن قُطيعة بن عبس بن بغيض بن أشجع بن الريث بن غطفان بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار..

فالورد صاحب نسب معروف شريف أصيل. وله في تاريخ عبس دوران أثر فيهما على أحداث الحرب الشهيرة بين عبس وذبيان، حرب داحس والغبراء. الدور الأول يروي ابن الأثير في تاريخه، عند ذكر اسباب حرب داحس والغبراء التي تتلخص في الرهان حول أي الفرسين أسبق. أما طرفا الرهان فاحدهما حذيفة بن

(١) اختلفت الروايات في ترتيب آبائه. وقد اخترنا ما هو مشترك بينها وما يوافق التسلسل المعروف في انساب مضر... راجع الأغاني ج ٣ ص ٧٠ وتاريخ يعقوبي ج ١ ص ٢٦٦ وابراهيم الخواجه ص ٦٣ والشعراء الصعاليك ص ٣٢٠. ويدعوه ابن الأثير : الورد بن مالك (الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٤٦).

بدر، وكان بنو عبس، ورئيسهم قيس بن زهير، ينزلون في جواره. والطرف الثاني الورد والد عروة. يقول ابن الأثير :

« ثم إن حذيفة كره قيساً (بن زهير) وأراد إخراجَه عنهم فلم يجد حجة. وعزم قيس على العُمرَة فقال لأصحابه : إني قد عزمْتُ على العُمرة، فإياكم أن تلبسوا حذيفةَ بشيء، واحتملوا كل ما يكون منه حتى أرجع، فإني قد عرفتُ الشرَّ في وجهه، وليس يقدر على حاجته منكم إلا أن تراهنوه على الخيل — وكان ذا رأي لا يخطئُ فيما يريدُه — وسار الى مكة. ثم إن فتىً من عبس، يقال له وردُ بن مالك، أتى حذيفة فجلس اليه. فقال له ورد : لو اتخذت من خيل قيس فحلاً يكون أصلاً لخيلك. فقال حذيفة : خيلي خير من خيل قيس. ولجأ في ذلك الى أن تراهنا على فرسين من خيل قيس وفرسين من خيل حذيفة، والرهن عشرة أذواد. ^(١) »

وسار ورد فقدم على قيس بمكة، فأعلمه الحال، فقال له : أراك قد أوقعتنني في بني بدر ووقعت معي، وحذيفة ظلوم لا تطيب نفسه بحق، ونحن لا نُقرُّ له بضيم. ورجع قيس من العُمرة فجمع قومه وركب الى حذيفة وسأله أن يفكَّ الرهن فلم يفعل. فسأله جماعةُ فزارة وعبس فلم يقبل، وقال : إن أقرَّ قيسُ أن السبق لي، وإلا فلا... ^(٢) واستمرَّ الرهن وجرى السبق وقامت على إثره حرب بين عبس وفزارة، وتعددت المعارك وقُتل الأبطال وغير الأبطال من الجانبين، فكانت خراباً للجميع. ولذلك قال الاصفهاني عن لسان عبسيين سئلوا عن عروة : « لقد كُنَّا نتشاءم بأبيه لأنه هو الذي أوقع الحرب بين عبس وفزارة بمراهنته حذيفة. ^(٣) »

(١) الذود، للقطيع من الابل، ما بين الثلاث الى العشر وقيل ما بين الثنتين والتسع، وقيل غير

ذلك (لسان العرب ج ٣ ص ١٦٨ [ذود]).

(٢) الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٤٦ وما بعد.

(٣) الأغاني ج ٣ ص ٨٣.

أما الدور الثاني للورد فيرويه التبريزي وأبو عبيدة. يقول التبريزي : « ورد بن حابس العبسي هو الذي قتل هرم بن ضمضم المرّي الذي يقول فيه عنترة :
وَلَقَدْ نَحْشِيْتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَكُنْ للحرب دائرةً على ابني ضَمْضَمِ
قتله في حرب عبس وذبيان، قبل الصلح. »^(١)

ثانياً : أمه

لا نعرف لها اسماً وإنما نعرف أنها غريبة عن عبس، وإنها من بني نهد. ولهذه الحقيقة أثر كبير في مجرى حياة عروة. فالغريب في عالم القبيلة يبقى غريباً خصوصاً إذا كان دخوله ذلك العالم دخولاً دوناً، كأن تأتي المرأة من أسر أو سبي أو أن تكون من قبيلة أقل شأنًا وأمجاداً. إنها تكون نزيعة^(٢). (فنزاع القبائل غرباؤهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منهم)^(٣). ولأن أم عروة من نهد، ونهد قبيلة مغمورة ليست بذات أمجاد، وهي تنتمي إلى قضاة التي تيامنت إلى حمير وعُدّت في عرب الجنوب، ولأن بين عرب الجنوب اليمانية وعرب الشمال القيسية عداوة تقليدية لم تنطفئ جذوتها قط، فإن هذا النسب كان نقطة ضعف في كرم منبت عروة، أحسّ به احساساً قوياً عندما شبّ وبدأ يفاخر فتیان الحي ؛ وقد ولدّ عنده ذلك نقمة على والده وغضباً على قوم أمه فجّرهما شعراً وموقفاً رافضاً أخذه عليه أشراف القبيلة.^(٤) وقد يكون نسب أمه هذا في جذور تصعلكه.

(١) إبراهيم الخواجه — عروة بن الورد — ص ٦٤ (عن شرح القصائد العشر للتبريزي وأيام العرب في الجاهلية — وشرح نقائض جرير والفرزدق).

(٢) « هي من النساء التي تزوج في غير عشيرتها » (لسان العرب ج ٨ ص ٣٥٠ [نزع])

(٣) المرجع السابق.

(٤) يقول قيس بن زهير :

أَذْنَبَ عَلَيْنَا شَتْمُ عُرْوَةَ خَالَسُهُ بِفُرَّةٍ أَحْسَاءٍ، وَيَوْمًا يَبْدَبِدِ !

(شعراء النصرانية ص ٨٨٨)

ثالثاً : عروة في أسرته

ان احساس عروة بالعار من نسب امه لم يتولد من معاشرته أبناء القبيلة، وانما نبت وترعرع داخل أسرته. فزواج الورد من النهديّة لا يبدو أنه زواجه الأول بل سبقه زواج ترجّح أنه من عبسية. وهذا الزواج انتج ولداً هو ابن الورد البكر. ونستطيع بسهولة أن نتصوّر جو أسرة الورد حيث العبسية يحيط بها أهلها ورهطها وتتمتع بنفوذها وكرامتها الموفورة، وحيث النهديّة غريبة منبوذة مغلوقة على أمرها. ولا شك في أن نفوذ العبسية كان موجّهاً ضد النهديّة وابنها. وهنا يكمن السرُّ في سوء معاملة الاب لعروة، مع اعجابه بمخايل الشخصية القوية التي كانت تتراءى له فيه، واهتمامه بالابن الأكبر، مع قلة تقديره له^(١). ... ليس الا نفوذ الزوجة يجبر الأب على هذا النوع من الظلم. ولقد أثر الظلم في نفس عروة ولكنه ساعدها على أن تصبح أقوى شكيمة وأكثر تصميماً وأبعد رأياً، وأن تنمو معتمدة على ذاتها، مفجّرة طاقاتها لمصلحتها، وأن تترك جماعة الظلم لتبني مجداً بعيداً عنها. وقد تكون هذه المعاملة أيضاً في جذور تصعلكه.

رابعاً : عروة في حياته الخاصة

لم تذكر الأخبار شيئاً عن زوجة له عبسية وانما ذكرت له زواجين انتهيا بفراق.

١ — الزواج الأول : من سلمى الغفارية الكنانية

« كان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف. وكانت سلمى من بني غفار، فسباها عروة من قومها، وكانت ذات جمال، فولدت له أولاداً، وكان شديد

(١) يذكر الاصفهاني عن الورد، أنه كان له ابن أسن من عروة، فكان يؤثره على عروة، فيما يعطيه، ويُقرّبه. فقليل له : أتؤثر الأكبر، مع غناه عنك، على الأصغر، مع ضعفه ؟ قال : أترون هذا الأصغر ؟ لكن بقي، مع ما أرى من شدة نفسه، ليصيرن الأكبر عيالاً عليه !
الآغاني ج ٣ ص ٨٤.

الحب لها^(١). وكان ولده يُعَيَّرُونَ بِأَمِهِمْ وَيُسَمَّوْنَ بَنِي الْأَخِيذَةِ، أَيِ السَّبْيَةِ. فقالت :
 ألا ترى وَلَدَكَ يُعَيَّرُونَ ؟ قال : فماذا ترين ؟ قالت : أرى أن تردني الى قومي حتى
 يكونوا هم الذين يزوجونك، فأنعم لها. فأرسلت الى قومها أن القوه بالخمر ثم
 اتركوه حتى يسكر ويشمل، فإنه لا يُسأل حينئذ شيئاً إلا أعطاه. فلقوه، وقد نزل في
 بني النضير^(٢)... فأتوه فسقوه الشراب، فلما ثمل قالوا له : فادنا بصاحبتنا فإنها
 وسيطة النسب (كريمة)، فبنا، معروفة، وإن علينا سبة أن تكون سيئة، فإذا صارت
 إلينا وأردت معاودتها فخطبها إلينا فإننا نُنكِحُكَ. فقال لهم : ذاك لكم ولكن لي
 الشرط فيها أن تُخَيِّرُوها، فإن اختارتني انطلقتُ معي الى ولدها، وإن اختارتكم
 انطلقتم بها. قالوا : ذلك لك. قال : دعوني آله بها الليلة وأفادها غداً. فلما كان
 الغد جاؤوه فامتنع من فدائها، فقالوا له : قد فاديتنا بها منذ البارحة، وشهد عليه
 بذلك جماعة ممن حضر، فلم يقدر على الامتناع وفادها^(٣). فلما فادوه بها خيروها
 فاختارت أهلها، ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة، أما إني أقول فيك، وإن فارقتك،
 الحق : والله ما أعلم امرأة من العرب ألفت سترها على بعلٍ خير منك، وأغضَّ
 طرفاً، وأقلَّ فحشاً وأجودَ يداً، وأحمى لحقيقة. وما مرَّ عليَّ يومٌ، مذ كنتُ عندك
 إلا والموتُ فيه أحبُّ إليَّ من الحياة بين قومك، لأنني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة
 من قومك تقول : قالت أمة عروة كذا وكذا إلا سمعته. والله لا أنظر في وجه

(١) في رواية أخرى يذكرها الأصفهاني : « من خير عروة بن الورد وسلمى هذه، أنه أصاب امرأة من بني كنانة بكراً يُقال لها سلمى وتكنى أم وهب، فأعتقها واتخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة، وولدت له أولاداً، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه... » الأغاني ج ٣ ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٧.

(٣) في رواية أخرى للأصفهاني : « إن قومها أغلوا بها الفداء، وكان معه طلق وجبار، أخوه وابن عمه، فقالا له : والله، لئن قبلت ما أعطوك لا تفتقر أبداً، وأنت على النساء قادرٌ متى شئت، وكان قد سكر، فأجاب الى فدائها... » المصدر نفسه ص ٧٤.

عَظْفَانِيَّةٌ أَبَدًا. فارجع راشداً الى ولدك وأحسن اليهم^(١)...

٢ — الزواج الآخر : من ليلي بنت شعواء الهلالية.

« كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها : ليلي بنت شعواء. فمكثت عنده زماناً وهي مُعْجِبَةٌ له تُريه أنها تُحبه. ثم استزارته أهلها، فحملها حتى أتاها بها. فلما أراد الرجوع أبت أن ترجع معه. وتوَعَّده قومها بالقتل فانصرف عنهم، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلي، خَبِّري صواحبك عني كيف أنا. فقالت : ما أرى لك عقلاً. أتراني قد اخترتُ عليك وتقول : خَبِّري عني ١٩ »^(٢)

هكذا تكررت قصة المرأة السبية التي يُكرمها أسرُها فيعتقها ويتزوَّجها فتعيش معه وجُلَّ منها أن تعود الى أهلها. لا لأن عروة لا يُعجب النساء، بل عكس ذلك هو الصحيح.^(٣) لكن وضع السبية في قبيلة الزوج هو وضع الغريبة ووضع الأمة. أعتقها الرجل لكنها في انظار الباقيين تبقى « الأخيدة ». وقد يحلو لنساء القبيلة أن يذكرنها ذلك، بمناسبة وبلا مناسبة، حتى لا تعود تطيق البقاء، فتحال لتنجو مستغلة طيبة الزوج واعتداده بنفسه. وهذه القصة، كما نعرف هي قصة أم عروة

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٣

وفي رواية أخرى للأصفهاني وَرَدَ المديحُ التالي من سلمى لعروة : « والله إنك، ما علمتُ، لضحكوك مُقبلاً، كسوبٌ مُدبراً، خفيفٌ على مثنى الفرس، ثَقِيلٌ على العدو، طويلُ العِماد، كثيرُ الرماد، راضي الأهل والجانب (الغريب أو الضيف). فاستوص ببيك خيراً. » المصدر نفسه ص ٧٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٧٧.

(٣) راجع ابياته العينية ص ١٨٧ وما بعد.

نفسها لكن أم عروة لم تتمكن من الافلات. ولكن أنصفت سلمى عروة كرجل. فإن ليلي كانت تحسن جرحاً عميقاً جعلها تحاول أن تجرح المسبب. ولقد ردّ عروة، في شعره، لكل من المرأتين، موقفها بموقف مماثل. فتغنى بسلمى وذكرها في كثير من قصائده،^(١) حنّ الى الأيام الحلوة التي قضاها برفقتها وأسف للفراق ولتفريطه بها، وتمنّى لو يعود الماضي^(٢). بينما عرض بليلى وبأسره لها وبموقف الذل الذي وقفته آنذاك...^(٣)

إن عروة كان يتعفف عن جارته ويغض طرفه عنها. ويعامل النساء عامة باحترام؛ ولكنه، مع ذلك، كان يقوم بغارات ليلية على مخادع معشوقات له. ويبدو ان البدوي الذي كان يفخر بالسطو على مال الاعداء وحرمتهم وبسبي نسائهم، هو نفسه الذي يفخر بالدفاع عن جيرانه وحلفائه والموت في سبيل ذلك. والبدوي المتعفف قد يتحدث عن علاقاته النسائية بفخر واعتزاز^(٤). ويذكر الاصفهاني قصة عن عروة يجد فيها نفسه وجهاً لوجه أمام ابن غير شرعي له من امرأة سمعت به فأعجبت واستدرجته اليها. يقول واصفاً الغلام ووالده الشيخ وأمه : أتى ناقة فمري أخلافها ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاها، ثم أتى ناقة أخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك، فشرب هو. ثم التفع بثوب واضطجع ناحية، فقال الشيخ للمرأة، وأعجبه ذلك :

(١) قصيدته التائية ص ٩٦ وما بعد، وقصيدته الرائية : صعلوك فقير وصعلوك أمير ص ١٤٢، والثالثة : هل في كريم ماجد ما يُعير ص ١٥٨ وقصيدته على الفاء : للمقام أطوف ص ١٩٤ ...

(٢) راجع قصيدته الرائية : سقوني النساء ص ١٢٦ وما بعد. ورائيته الأخرى : لعلك يوماً... ص ١٣٤ وما بعد.

(٣) راجع ابياته البائية ص ٨٧ وما بعد (اسماء العيسية، وليلى الهلالية).

(٤) راجع قصيدته العينية : ألا أقصر من الغزو... ص ١٨٥.

كيف ترين ابني ؟ فقالت : ليس بابنك. قال : فابن من وملك ؟ قالت : ابن عروة ابن الورد. قال : ومن أين ؟ قالت : أتذكر يوم مرّ بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت : هذا عروة بن الورد ووصفته بجلد، فإني استطرفته. قال : فسكت، حتى اذا نَوَمَ، وثب عروة وصاح بالابل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى، ورجا الا يتبعه الغلام — وهو غلام حين بدا شاربه — فاتّبعه. قال : فاتّخذا وعالجه. قال فضرب به الأرض فيقع قائماً. فتحوّفه على نفسه. ثم واثبه فضرب به وبادره فقال : إني عروة بن الورد، وهو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال : فارتدع. ثم قال : ما لك وملك ! لست أشك أنك قد سمعت ما كان من أُمي. قال : قلت : نعم. فاذهب معي أنت وأملك، وهذه الابل، ودع هذا الرجل فإنه لا ينهك عن شيء. قال : الذي بقي من عمر الشيخ قليل، وأنا مقيم معه ما بقي فإن له حقاً وذماماً. فاذا هلك، فما أسرعني اليك... ثم إن الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ. ^(١)

أما عن ولد عروة، فيبدو من هذه القصة ومن قصته مع سلمى، أنه أنجب أولاداً. ولكن يبدو أيضاً أن أحداً من أولاده لم يعيش لينجب ويواصل نسل عروة. فالأصفهاني يروي سؤال المنصور لثمامة بن الوليد العبسي عن عروة : « فهل أعقب عندكم ؟ قال : لا... » ^(٢)

خامساً : عروة في حياته العامة

قلنا إن عروة لم يعيش صعلوكاً دائماً بل عاش فارساً متصعلكاً، وزاد على ذلك عنايته بالصعاليك وتوحيد كلمتهم وقيادتهم لرفع مستواهم. فحياته سارت على وتيرتين : وتيرة الحياة العادية والتوتيرة المتصعلكة.

(١) الأغاني ج ٣ ص ٨٢ و ٨٣.

(٢) المصدر السابق.

ففي حياته العادية كان يعيش مع أهله، حياة عائلية فيها الزوجة والولد، وفيها الكرم والعطاء وفتح الباب للضيف وطالب القرى، يتخللها عتاب الزوجة ولومها لأن الإنفاق يؤدي إلى الإملاق فالمغامرة في طلب الغنى. وفي هذا النمط من الحياة كان عروة يقوم بواجبه نحو قبيلته : يدفع عنها الألسن الطويلة، يفخر باسمها على أعدائها^(١)، ويحارب إلى جانب فرسانها.^(٢) وكان مُغرماً بتقديم الخدمات واكتساب الصيت الحسن وتحمل الديات والقيام بواجب المعروف : انها الرغبة في أن يكون الفرد عضواً نافعاً في الجماعة، وهذه الرغبة لها مسوغ طبيعي عند عروة الذي كان يحس انتقاصاً في احترامه بسبب نسب والدته وشؤم أبيه على عبس، وهي حجتنا في أن عروة لم يعيش صعلوكاً، بل فارساً متصعلكاً.

أما في حياة التصعلك فتروي له الأخبار غارات منفردة وأخرى جماعية. ويتحدث هو، في شعره، عن غزوات يقود فيها صعايكة، العدائين منهم والفرسان.^(٣) يروي الأصفهاني قصته مع الهذلي فيقول : « خرج عروة حتى دنا من منازل هُذيل، فكان منها على نحو ميلين، وقد جاع ؛ فإذا هو بأرنب، فرماها ثم أورى ناراً فشواها وأكلها، ودَفَنَ النار على مقدار ثلاث أذرع، وقد ذهب الليل وغارت النجوم. ثم أتى سرحة^(٤)، فصعدها وتخوف الطلب.. » ويبدو أن عند هُذيل رجلاً بعيد النظر رأى النار فحدّد موقعها وأقنع جماعته بمرافقته لضبط موقدها المتلصّص. جاء الهذليون وحفروا مقدار ذراع فلم يجدوا أثراً فعادوا ناقمين

(١) راجع « أسماء العيسية وليلى الهلالية » ص ٨٧، و« يوم التخائق » ص ١٦٥، و« دار الحفاظ » ص ١٦٩.

(٢) راجع ص ١٨١ « إذا قيل يا ابن الورد ».

(٣) راجع قصيدته الرائية : « صعلوك فقير وصعلوك أمير » ص ١٤٢ وقصيدته اللامية : « منايا النفس خير من الهزل » ص ٢٠٠.

(٤) سرحة : شجرة عظيمة.

على رجلهم الذي ألقفهم بلا مسوغ. وقد تبع عروة الجماعة وتسَلَّل الى « كِسْرِيَّت » كان، بحكم الصدفة، بيت الرجل الهذلي الذي لم يكن قد أوى اليه. فسمع عروة زوجة الرجل تغازل عبدها وتسقيه من علبه لبن، قبل أن تشرب هي. وعندما عاد الرجل الى بيته، قدّمت له المرأة علبه اللبن ليشرب، فاشتّم فيها رائحة رجل. أنكرت المرأة وادّعت عليه اتهامه زوراً وشكته الى قومها. فسكت ونام. تحرك عروة حينها وتقدم الى فرس الرجل ليسرقه، فضربَ الفرسُ بيده وتحرك؛ فرجع عروة الى موضعه، ووثب الرجل فقال: ما كنتَ لتكذبني، فما لك؟ فاقبلت عليه امرأته لوماً وعدلاً. قال: فصنع عروة ذلك ثلاثاً، وصنّعه الرجل. ثم أوى الرجل الى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم، فقال: لا أقوم اليك الليلة. وأناه عروة فحال في متته وخرج ركضاً. وركب الرجلُ فرساً عنده أثى. قال عروة: فجعلتُ أسمعُه خلفي يقول: إلحقي فإنك من نسله. فلما انقطع عن البيوت قال له عروة: أيها الرجل، قف، فإنك لو عرفتني لم تُقدم عليّ، أنا عروة بن الورد، وقد رأيتُ الليلة منك عجباً فأخبرني به وأردُّ اليك فرسك..» ثم سأله عن سبب تراجعه عن رأيه الصائب في المواقف الثلاثة التي حضرها عروة، فادعى الرجل أن توقّد ذهنه يأتيه من أعمامه من هُذَيْل، وأن « كعاعته » وتراجعه يأتيانه من أخواله من خزاعة. ثم تابع الرجل: « ولولا ما رأيتُ من كعاعتي لم يَقَوَّ على مناوأة قومي أحدٌ من العرب. فقال عروة: خذ فرسك راشداً. قال: ما كنتُ لأخذه منك وعندي من نسله جماعةٌ مثله، فخذهُ مباركاً لك فيه...»^(١)

أما عن قيادته الصعاليك وعنايته بأمرهم فيروي الاصفهاني أنه « أجذب ناس من بني عبس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوعٌ شديد وبؤس، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته. فلما بَصُرُوا به صرخوا وقالوا: يا أبا الصعاليك،

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٩ وما بعد.

أَغْشَا. فَرَّقَ لَهُمْ وَخَرَجَ لِيَغْزُوا بِهِمْ وَيَصِيبَ مَعَاشاً...»^(١) «فَنَدَبَ مِنْهُمْ رَهْطاً فَخَرَجُوا مَعَهُ، فَنَحَرَ لَهُمْ بَعِيراً وَحَمَلُوا سِلَاحَهُمْ عَلَى بَعِيرٍ آخَرَ، وَقَدَّدَ لَهُمْ بَعِيراً فَوَزَّعَهُ بَيْنَهُمْ. وَخَرَجَ يَرِيدُ أَرْضَ قِضَاعَةَ، وَقَصَدَ قَبْلَ أَرْضِ بَنِي الْقَيْنِ. فَمَرَّ بِمَالِكِ بْنِ حِمَارِ الْفَزَارِيِّ... فَقَالَ لَهُ مَالِكُ : اَيْنَ تَنْطَلِقُ بِفَتْيَانِكَ هَؤُلَاءِ ؟ تُهْلِكُهُمْ ضَيْعَةً ! قَالَ : اِنَّ الضَّيْعَةَ مَا تَأْمُرُونَ بِهِ أَنْ أُقِيمَ حَتَّى أَهْلِكَ هَذَا. فَقَالَ : إِنْ أَطَعْتَنِي رَجَعْتَ عَلَى حَرَسِينَ»^(٢) فَكَانَ طَرِيقُكَ حَتَّى تَأْتِيَ قَوْمِي فَتَكُونُ فِيهِمْ. قَالَ : فَمَا أَصْنَعُ بِمَنْ كُنْتُ عَوَدْتُهِمْ إِذَا جَاؤُونِي وَاعْتَرُونِي ؟ قَالَ : تَعْتَذِرُ فَيَعْذِرُونَكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَكَ شَيْءٌ. قَالَ : أَنَا لَا أَعْذِرُ نَفْسِي بِتَرْكِ الطَّلَبِ...»^(٣)

فَعَصَاهُ وَمَضَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى بِلَادِ بَنِي الْقَيْنِ، «وَهُمْ بِأَرْضِ التَّيْهِ. فَهَبَطَ أَرْضاً ذَاتَ لَخَافِيقٍ، وَهِيَ الْحَجَارَةُ، الْوَاحِدُ لَخَقُوقٌ، فِيهَا مَاءٌ. فَرَأَى عَلَيْهَا آثَاراً فَقَالَ : هَذِهِ آثَارُ مَنْ يَرِدُ هَذَا الْمَاءَ فَكَمَنُوا، فَأَحْرَبَ أَنْ يَكُونَ قَدْ جَاءَكُمْ رِزْقٌ. وَفِي أَرْضِ بَنِي الْقَيْنِ عَرَى مِنَ الشَّجَرِ الْعِظَامِ، إِذَا أَجْدَبَ النَّاسُ رَعَوْهَا، فَعَاشُوا فِيهَا. فَأَقَامَ بِأَصْحَابِهِ يَوْمًا، ثُمَّ وَرَدَ عَلَيْهِمْ فَصِيلٌ فَقَالُوا : دَعْنَا فَلْنَأْخُذْهُ، فَلْنَأْكُلَ مِنْهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ. فَقَالَ : أَنْكُمْ، إِذَنْ، تَنْفَرُونَ أَهْلَهُ، وَإِنَّ بَعْدَهُ إِبِلًا. فَتَرَكُوهُ ثُمَّ نَدَمُوا عَلَى تَرْكِهِ، وَجَعَلُوا يَلُومُونَ عُرْوَةَ مِنَ الْجُوعِ الَّذِي جَهِدَهُمْ. ثُمَّ وَرَدَتْ إِبِلٌ بَعْدَهُ بِخَمْسٍ، فِيهَا ظُعِينَةٌ، وَرَجُلٌ مَعَهُ السِّيفُ وَالرَّمْحُ، وَالْإِبِلُ مِئَةٌ مِثَالٍ ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِ عُرْوَةُ، فَرَمَاهُ فِي ظَهْرِهِ بِسَهْمٍ أَخْرَجَهُ مِنْ صَدْرِهِ، فَخَرَّ مَيِّتًا. وَاسْتَأَقَ عُرْوَةُ الْإِبِلَ وَالظُّعِينَةَ...»^(٤)

فِي هَذِهِ الْغَزْوَةِ كَانَ عُرْوَةُ قَدْ تَرَكَ أَصْحَابَهُ الْمُجَاهِدِينَ فِي مَآوَانٍ «وَكَتَّفَ عَلَيْهِمْ

(١) المصدر نفسه ص ٧٨.

(٢) حرسين : واد بنجد، أو هما جبلان في أرض بني فزارة (ديوان الحماسة لأبي تمام ج ١ ص ١٧٨).

(٣) شعراء النصرانية ص ٩٠٣.

(٤) إبراهيم الخواجة : عروة بن الورد ص ١٣٠ (عن خمسة دواوين العرب).

كنيفاً من الشجر، وهم أصحاب الكنيف ^(١). وقد « أتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها. حتى اذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم، فقالوا : « واللات والعزى، لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً، فمن شاء أخذها. فجعل يهّم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه، ان فعل ذلك، أفسد ما كان يصنع. فأفكر طويلاً ثم أجابهم الى أن يردّ عليهم الإبل، إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا ذلك عليه حتى انتدب رجلٌ منهم فجعل له راحلة من نصيبه... » ^(٢) هكذا كان أبو الصعاليك يرعى عياله ويتحمل عقوبتهم بصبر وأناة، فهم صنيعته !

(١) الأغاني ج ٣ ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق ص ٧٦.

القسم الثاني : اسمه وصفاته والآراء فيه

أولاً : اسمه

يحلوا لبعض المؤرخين أن يربطوا بين اسم عروة وما عُرف من صفاته وسيرته. فهو شجاع مغوار. والعروة تعني الأسد « وبه سُمي الرجلُ عروة. »^(١) وعروة كان موثقاً للضعفاء، اليه يلجأون وبه يعتصمون إذا اجتبت الأرض وتخلي عنهم الناس، والعروة من الشجر : الذي لا يزال باقياً في الأرض ولا يذهب. وهو أيضاً من الشجر ما لا يسقط ورقه في الشتاء، مثل الأراك والسيّد، الذي يُعول عليه الناس إذا انقطع الكلاء، أو هو الشجر الذي يلجأ اليه المال في السنة المجذبة فيعصمه من الجذب^(٢).

وكان عروة يُكنى « أبا الصعاليك »، وقيل : بل كان يُكنى « أبا نجدة ». وقيل : كنيته « أبو المغلس ». وقال آخرون : كانت كنيته في الحرب « أبا عيلة » وفي السلم : « أبا هراسة »^(٣).

(١) لسان العرب، ج ١٥ ص ٥١ [عرا].

(٢) المصدر نفسه ص ٤٦.

(٣) سبط اللاّلي ج ٢ ص ٨٢٣.

ثانياً : صفاته والآراء فيه.

يعرفه الأصفهاني بأنه : « شاعر من شعراء الجاهلية وفارس من فرسانها وصعلوك من صعليكها المعدودين المقدمين الأجواد. »^(١). فهو شاعر وهو فارس وهو صعلوك كريم محترم. ونلاحظ هنا أن الأصفهاني لم يستخدم كلمة صعلوك بمعنى الفقير أو اللص أو الذليل، وإنما استخدمها بمعنى الإنسان الذي يعيش بسيفه ويؤمن رزقه بقوة ساعده، ثم أضاف إليه صفة الجود. والواقع أن هذا التعريف يلخص شخصية عروة، كما سنرى في دراستنا للديوان، ولذلك نقله عنه كل من تحدث عن عروة. وتستكمل صورة هذه الشخصية بباقي تعريف الأصفهاني : « وكان يلقب عروة الصعاليك بجمعه إياهم وقيامه بأمرهم. »^(٢)

وتتمثل في عروة صفات الفروسية العربية من العفة والنجدة وإباء الضيم، والكرم.^(٣) فحق لعبد الملك بن مروان القول : « من زعم أن حاتماً أسمع الناس فقد ظلم عروة »^(٤). ولشدة حبه للكرم، ولتأمين الثروات اللازمة للقيام بواجبه، قضى عروة حياته متنقلاً ساعياً، متشرداً، غازياً، ما يستقر إلا قليلاً، يسلب الأحياء، والناس البخلاء. وتؤكد صفة البخلاء لمن يسلبهم عروة فهو يقصد ذلك ويتوخاه، ويرصد الغني البخيل إلى أن تحين منه غرة يغتنمها ليقع به ويسطو على أمواله، يقدمها للصعاليك والفقراء.^(٥) « قيل إن عروة بلغه عن رجل من بني كنانة بن

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نتحدث عن ذلك في عرضنا لمواضيع شعره التي وردت في الديوان. (انظر ص ٦٠ وما بعد من هذه المقدمة)

(٤) الأغاني — ج ٣ ص ٧١.

(٥) راجع قصيدته اللامية : منايا النفس خير من الهزل. ص ٨٦.

خزيمة أنه من أبخل الناس وأكثرهم مالاً، فبث عيوناً فأتوه بخبره، فشد على إبله فاستاقها ثم قسمها في قومه. ^(١)

ومما يميز عروة أن أخلاقه السامية لم تبق دفينه في نفسه مكتفية بتوجيه سلوكه وتصرفاته، بل كانت تفيض عنه شعراً سهلاً محبباً فتشكل مدرسة يتعلم فيها أبناء عبس حسن السلوك. يروى « أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنا ألف حازم. قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً، وكنا لا نعصيه. وكنا نُقدم إقدام عنتره ونأتم بشعر عروة بن الورد وننقاد لأمر الربيع بن زياد.. » ^(٢) ولم يُخف عبد الملك بن مروان إعجابه بعفة عروة ومروءته وإثاره المحتاجين على نفسه حين قال : « ما يسرني أن أحداً من العرب وَلَدني، ممن لم يلدني، إلا عروة بن الورد لقوله :

إني امرؤ عافي إنائي شركة	وأنت امرؤ عافي إنائك واحد.
أتهزأ مني أن سمئت وإن ترى،	بوجهي، شحوب الحق، والحق جاهد؟
أقسم جسمي في جسوم كثيرة	وأحسو قراح الماء والماء بارد ^(٣)

(١) إبراهيم الخواجه — عروة بن الورد — (عن خمسة دواوين العرب) ص ١٠٣ .

(٢) الأغاني ج ٣ ص ٧١ ولشدة تأثير شعر عروة قال عبدالله بن جعفر بن أبي طالب لمربي ولده : « لا تروهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها :

دعيني للغنى أسعى فإنني رأيت الناس شرهم الفقير

ان هذا يدعوهم الى الاغتراب عن اوطانهم. » (المصدر نفسه).

(٣) المصدر نفسه.

القسم الثالث : ديوان عروة بن الورد

يبدو أن ابن السكيت هو أول من تنبّه الى أهمية عروة وعني بجمع شعره، وعنه أخذ الآخرون. واخترنا للشرح ديوان عروة، طبع دار صادر، واقتبسنا ترتيب القصائد كما جاء فيه لأنه يتسلسل حسب الحروف الابدجية بالنسبة الى القوافي. ولذلك فإننا نعني هذه الطبعة من ديوان عروة، كلما ذكرنا الديوان.

أحصينا في الديوان تسعاً وثلاثين مقطوعة تعد، في مجملها، مئتين واثنين وأربعين بيتاً. ولقد عثرنا في ثنايا المصادر على سبعة وعشرين بيتاً، الحقناها بالديوان.

اولاً : شكل القصائد

ان ما يلفت في ديوان عروة هو أنه مجموعة مقطوعات قصيرة لا مجموعة قصائد. فأطول مقطوعة بلغت ستة وعشرين بيتاً، بينما لا تتجاوز المقطوعة، أحياناً، البيتين.^(١) ولذلك، في رأينا، سبيان :

(١) في الديوان عشرون مقطوعة أبياتها دون الخمسة، واثنتا عشرة مقطوعة أبياتها ما بين الخمسة والعشرة، وست مقطوعات تتجاوز أبياتها العشرة وهي على التوالي : مقطوعة من احد عشر بيتاً، وأخرى من اثني عشر بيتاً، وثالثة من ثلاثة عشر بيتاً، ورابعة من أربعة عشر بيتاً، وخامسة من ستة عشر بيتاً، وسادسة من ستة وعشرين بيتاً.

الأول أن أجزاء أخرى متممة لهذه المقطوعات قد تكون ضاعت، أو لم تُرو. فمن الصعب أن نقنع بأن نتاج عروة الشعري جاء كله على هذا النمط. وفي رأينا أن شعر الشاعر الجاهلي يمكن أن يسير ويُروى ويحفظ إذا عبّر عن حكمة مطلقة أو عن صورة حضارية يتلاقى فيها الجميع ويجد كل فرد لها صدى في نفسه، أما إذا عبّر الشعر عن تجربة محدودة مرّ بها الشاعر فقد لا يُحفظ ولا يروى ويكون البيت أو البيتان دليلاً عليه وأثراً منه تسرّب الى لسان الرواة.

وليس غريباً أن يضيع شعر عروة، خصوصاً ما تعلّق منه بحياته الخاصة أو بتجربة الصعلكة. فشعره في هذا المضمار يعني صعاليكه، وقد يكونون هم رواة. والصعاليك لا يؤمنون بالتجمعات السكانية ولا يختلطون بالناس ليتبادلوا وإياهم الآراء والأشعار، بل إنهم يعيشون في الخفاء ويفيدون من عيشهم في الخفاء. ومعظم الصعاليك الحقيقيين لا يجرؤون على اظهار أنفسهم لأن القبائل تطلبهم بأموال لها وثرارات. فإذا كانوا هم رواة أشعارهم أو أشعار أميرهم، فليس غريباً أن تتناثر هذه الأشعار، أو بعضها، على رمال الصحاري المقفرة، نقول هذا مع الاعتراف بأن أطول قصيدة في الديوان هي قصيدة « صعلوك حفير وصعلوك أمير »^(١).

والسبب الثاني هو عدم التزام عروة هيكلية القصيدة الجاهلية وتجاوزة المقدمات التقليدية وهذا ما نتحدث عنه بعد قليل. ونكتفي الآن بالإشارة الى أن القصائد الجاهلية الطويلة، لو حُذفت منها المقدمات وأُبقي منها على الأبيات التي تناول موضوعاً واحداً، لم يكن هذا الجزء المتبقي أطول بكثير من قصائد عروة.

(١) لعل قصر القصائد وقلة عددها عند عروة هي التي جعلت الأصمعي يرد على أبي حاتم حين سأله عن فحولة عروة، قائلاً « شاعر كريم وليس بفحل » (فحولة الشعراء ص ٢١).

ثانياً : ميزة مقطوعات عروة

تتميز هذه المقطوعات بأنها تخرج على نظام القصيدة الجاهلية وتلتزم وحدة الموضوع. فعروة لم يقف على الاطلاق. ولئن أشار في قصيدة، أو في غير قصيدة، الى مكان يرتبط باسم المحبوبة فلأن ذلك المكان يرتبط أيضاً بالقصة التي يعرضها في هذه القصيدة. وعندما ذكر البرق والمطر ذكرهما في قصيدة يأسف فيها على زوجته المحبوبة.^(١) وحين مدح الحكم بن مروان اكتفى بحديثه عن الناقة المجدة وبذكر الأمل المنتظر^(٢)... هكذا كان عروة في مقطوعاته : يتناول موضوعاً واحداً، أو هدفاً واحداً يضعه نصب عينيه ويحاول الوصول اليه من خلال ابياته. لم يستطرد عروة ولم يعالج مواضيع الغزل والفخر والمدح وما الى ذلك في قصيدة واحدة. استغنى عروة عن الهياكل التقليدية التي قدسها شعراء عصره وقصد مباشرة الى موضوعه يعالجه بتسلسل وتواصل ومتابعة، وبلا مقدمات تقليدية أو غير تقليدية. ولم يكن يلتزم وحدة البيت، بل كان يعطي فكرته حقها وإن امتدت الى مجال بيتين أو أكثر. فكأن عروة لم يعيش عصر الفردية في بيت الشعر وبيت الشعر. ويبدو أن خروج عروة عن نمط الحياة العادية، واغراقه في الاكتفاء بعالمه الخاص الذي صنعه على هواه، أعطياه من الاستقلال النفسي ما مكّنه من تجاوز الاتفاقات المتواضع عليها والمتوارثة.

ثالثاً : مواضيع مقطوعات عروة

ان الشعر العربي، من بين أشعار الأمم، هو أكثرها واقعية ووجدانية : انه غالباً ما يرتبط بمناسبات الحياة اليومية محاولاً أن يكون سجلاً لها، وهو غالباً ما يعبر عما يخالجه نفس الشاعر في هذه المناسبات أو عما يتوخاه من اشتراكه فيها. والشعر

(١) راجع ص ١٢٧ «سقوني النسء...».

(٢) راجع ص ٢٢٠ «أمل في عطاء...».

الجاهلي، من بين شعر جميع الحقب العربية، أكثر من سواه ارتباطاً بالواقع والحياة. قد تكون لهذا الشعر قوالب ثابتة يصبُّ فيها الشاعر إلهامه، لكن هذه القوالب ما غدت كذلك لولا ارتباطها الشديد بحياة الإنسان الجاهلي وبمعاناته، راعاها الشعراء بلا تمرّد أو مخالفة، انما بشكل عفوي وبقناعة عميقة. ويبدو أن شعر الصعاليك، ونخص منه شعر عروة، هو أكثر الشعر الجاهلي صفاء وتنزهاً عن التقليد والتقيد بقوالب الشكل. فهو شعر وجداني بحت، وهو ابن المناسبة المادية وابن الخاطرة الذهنية والمعاناة النفسية. قد يمثل هذا الشعر ملامح من الحياة العامة، لكنه قليل فيها لأنها ملامح من حياة عروة وصعاليك عروة. لذلك كان لكل قصيدة مناسبة، ومن الصعب فهم القصيدة اذا لم تُعرف مناسبتها. فالقصيدة تتضمن الاسماء والأماكن التي تحددها المناسبة، والشعر فيها انفعالي، وكثيراً ما يكون رسالة موجّهة الى جهة ارتبطت بها المناسبة، أو يكون تعليقاً عليها أو لفظة نفسية ولّدها التأثير بها... أما أهم الموضوعات التي تناولها عروة في شعره فيمكن تصنيفها كما يلي: ^(١)

١ — القضايا العائلية

أ — عروة وأخوه: عروة ابن النهديّة وأخوه ابن العبيسيّة لم يختلفا في النسب فقط، وانما اختلفا في الطباع أيضاً وفي نمط الحياة وفي فهم القيم والمثل الاجتماعية. اختار عروة حياة المغامرة وكسب المال لتوزيعه على المحتاجين. وعلى رغم ما في هذه الحياة من سموّ، فهي أولاً وأخيراً حياة صعلوك، والصعلوك صعلوك مهما سمت أخلاقه وعُرف فضله. والأخ لم تعجبه هذه الحياة فلم يرضها

(١) تناولنا حتى الآن بعض هذه الموضوعات عرضاً لحياة عروة وتعليقاً عليها مما حُفظ عن الرواة والشارحين. أما الآن فنعرض حياة عروة ومشاكله وآماله وأفكاره كما أراد لها أن تظهر في ديوانه وديوانه وحده.

لعروة. ويبدو أنه راح يعيره نَمَطَ العيشِ. هذا وينصحه بالاقلاع عنه حفظاً لصحته وقوة بدنه. فكان ذلك أكثر مما يمكن لعروة تحمّله وطفق يرد على أخيه يعيره السِمن الذي يتسربل به ويؤكد أن نحوه هو ليس وليد السفر والتنقل، وإنما وليد الجوع الناجم عن اطعام الجائعين وإيثارهم بالقليل الذي لديه :

اتهزأ مِنِّي أَن سَمَنْتَ وَأَنْ تَرَى بوجهي شحوبَ الحق، والحقُ جاهد^(١)

ب — عروة وأبوه الورد: لم يكن تصرف عروة مع أخيه عدائياً، وإن ردّ على هزئه به، وكذلك لم يكن تصرفه مع أبيه عدائياً وإن كان له مآخذ عليه. لم يكن عروة يرى أن يُلام والده لدوره في حرب داحس والغبراء، بل أنه أراد الدفاع عنه ونفي الخطأ عن تصرف له ما كان باستطاعته أن يعرف مسبقاً أبعاده. ويؤكد عروة أن أباه إنسان محترم يستحق الإعجاب ولا شيء يمكن أن يشينه ويقلل من قيمة حسبه وامجاده. اللهم الا الخطأ الكبير الذي ارتكبه عندما تزوج في بني نهد. إن من الأخطاء ما يمكن أن يُغتفر، لكن هذا الخطأ قاتل ولا يمكن تجاوزه. ولعل معاناة عروة من هذا النسب حملته على التصريح بأن أباه فَقَدْ حَسَبَهُ ومجده حين تزوج : فمصاهرة النهديين ذلٌّ لا شيء يمحوه.^(٢)

ج — والدته : لا يذكر عروة شيئاً عن والدته ولكنه نقمة عارمة على نسيبها وقومها، وطبيعة وجودها في بني عبس.

فنسبها من خارج عبس، وهي نزيعة، ويكفي ذلك لجعل الإنسان شوكة في جسد القبيلة ؛ أما أن تكون من نهد، فذلك ما لا يمكن تقبله. ومن هم بنو نهد ؟ إنهم جماعة مغمورون، لا حَسَب ولا أمجاد لهم، يراوغون ويمكرون في الحرب ويشتدّون وقت السلام^(٣)...

(١) انظر مقطوعة « شحوب الحق » ص ١٢١ وما بعد.

(٢) انظر مقطوعة « الورد بن مالك يخسر أمجاده » ص ٨٥ وما بعد.

(٣) انظر مقطوعة « ثعالب في الحرب » ص ١١٣ وما بعد.

والواقع أن عروة تنازعت ثلاثاً تيارات ازاء نسب والدته. ففي اتجاه أحد التيارات، كان عروة يتألم اذ يُحسّ أن جميع المكارم التي يأتيها، وجميع الأمجاد التي ينالها، يخبو ضوءها اذا ما ذكر نسب والدته المشؤوم. وهكذا يستحيل عليه ادراك المجد الحقيقي. وفي قمة ثورته العنيفة، يتمنى لو تبرأ من أخواله، يتمنى لو أنه لم يمت اليهم بصلة، لو أن علاقته بهم كانت أي علاقة غير علاقة النسب. فلو أنه عبدٌ لديهم لعاش على أمل الحرية، أما ارتباط النسب فلا انفصام له ولا مهرب منه^(١). . . . وفي التيار الثاني يجري عروة وراء صوت العقل، والعقل يقول : إن المرء لا يُسأل إلا عما يأتيه ؛ فإذا ما أتى أعمال المروءة وتحلّى بكرم الخلق، وحقق الأمجاد، فلن ينال منه شيء، وليعيّره المعيّرون بقدر ما يريدون^(٢). . . وفي التيار الثالث ينساق عروة وراء عاطفة البنوة فيتولى الدفاع عن والدته وعن كل غريبة مثلها تزوجت من غير قومها. فهؤلاء النسوة هنّ أفضل مُنجبات، وأولادهنّ عُرفن بالنجابة. وعروة لا يقلّ عن سواه اهتماماً بأمور القبيلة وأخذاً لثاراتها، وهذا دليل على أن من ولدته حُرّة بكل ما في الكلمة من معنى^(٣).

هكذا كان دأبُ عروة : يفعل فيعبر عن انفعاله في لحظته، ويسيل تعبيرة شعراً صادقاً، وجدانياً، لا تشوبه شائبة من غرض أو طمع.

د — عروة وزوجاته : لم يذكر عروة شيئاً عن زوجة له من عبس، انما ذكر في شعره زوجتيه السبيتين : سلمى الكنانية وليلى بنت شعواء الهلالية. ويبدو أن اعتناق السبية والزواج منها أمرٌ عادي في عالم الجاهلية، وهو يُعدّ إكراماً لها لأن من سبها يحق له التمتع بها، بلا زواج. والغريب أن مأخذ عروة على والده زواجه من خارج قبيلة عبس كان تحاملاً منه، لأنه، هو، لم يتورّع عن السير على خطاه اذ لم

(١) انظر ص ١١٤.

(٢) راجع قصيدة : « هل في كريم ماجد ما يعير » ص ١٥٨.

(٣) راجع مقطوعة « ابن الحرة يطلب الثأر » ص ١٩١.

يكن ما قاساه من نسب والدته درساً له رادعاً؛ لكن الدرس جاءه من زوجته: فعروة استكان الى سلمى، وكذلك الى ليلي. ونشأت بينه وبين زوجته رابطة يمكن أن نسميها حباً له واعجاباً به، حسب وصفه لها. لكن كلا المرأتين رفضتا وضعهما الشاذ، وضع النزعة، وراحتا تتحيان الفرص للالتحاق بقومهما. والغريب أن مأساته مع أسماء تكررت مع ليلي، وإن اختلفت بعض التفاصيل:

مع سلمى ذاق عروة السعادة وأحس بغرور الرجل تهتم به زوجته حين تُشعره خوفها عليه اذا سافر وغامر، فكانت عروس اشعاره ذكرها في ثمان من قصائده^(١) وصورها، في معظم الأحيان، وهي تنهاه عن الغزو وتطلب منه الاستقرار في بيته، أو تتأذى من تبذيره المال لأن تبديده أحد اسباب ترك الديار لنيل غنى يساعد على التبذير. وهو دوماً يذكرها بأن البخل لا سبيل له الى نفسه، وأن الجبن لا يمكن أن يدخل قلبه، وأن الخوف من المجهول ومن المغامرة ومن التعرض للمهالك لا يمكن أن يخامره لحظة، وأنه لن يقبل الفقر لأن الفقر ذل، كما لا يقبل طلب المساعدة من أحد وامتهان نفسه.

ومع ذلك تخلت عنه سلمى، تركته لتعود الى اهلها، اثر مؤامرة شارك فيها قومها واخوه وابن عمه، اذ سقوه الخمر، وحين لعبت برأسه أحاطوا به وتعاونوا عليه ليستدرجوه الى اقرار بأنه يترك لها حرية الخيار، ومقابل ذلك، يقدمون له فدية من مال كثير. وقد شرب وأعطى الاقرار وشرط أن يلهو بها ليلته، ثم كان الفراق، ومعه الحسرة والندم: كيف أتى شيئاً لا يوافقه عليه قلبه ولا فكره؟

(١) هي: « رأيي ورأي البخل » ص ٩٦ وما بعد، « سقوني النسء » ص ١٢٦ وما بعد، « صعلوك فقير وصعلوك أمير » ص ١٤٢ وما بعد، « للغنى رب غفور » ص ١٧٤، « احب وانهب » ص ١٧٧، « ألا أقصر من الغزو » ص ١٨٥، « للمقام أطوف » ص ١٩٤، « المال في خدمة الحقوق » ص ٢٢٢.

أما ليلي بنت شعواء فقد ذكرها في قصيدتين^(١) لكل منهما موضوع خاص، وفي كليهما عتب على ليلي أو إزراء بها... قد يكون للأيام التي قضتها عنده أثر في نفسه. لكن الانفصال كان مأساوياً، وموقف ليلي متشنجاً، وموقف أهلها عدائياً. لذلك كانت صدمة عروة مزدوجة : صدمة اضطراره الى التخلي عن زوجته تحت ضغط التهديد بالقتل، وهذا ما فعله أهلها، وصدمة اكتشافه قلة تقدير ليلي له وانعدام وفائها واخلاصها. فهي فضلاً عن موافقتها على تصرف أهلها، سخرت منه حين طلب منها أن تخبر عن صفاته، كما فعلت سلمى، بل انها ذهبت الى نعته بقلة العقل، وعروة معجب بنفسه وبصحة رأيه^(٢). ويشدُّ عروة على ليلي في شعره، لائماً ومؤثماً، لماذا لا تحدث صاحباتها عنه ؟ لماذا لا تذكر أمامهن ما عرفته عن كرمه وقراه، عن جوعه في الشتاء لإشباع الجوع، وحمايته عرضَه وافراً مهما قست الظروف ؟^(٣)

ويبدو أن موقف ليلي، لحظة الفراق، قد ترك في نفس عروة جرحاً لا يندمل : جرحاً في كرامته وفي رجولته، لأن من مظهر الرجولة التأثير في النساء والسيطرة عليهن، بل استقطاب انتباههن حتى ليذهلن عن أزواجهن، وهذا ما كان يفعله عروة بهن...^(٤) والجرح هذا جعل عروة لا يساوره، الى ليلي، الحنين الذي كان ينتابه الى سلمى. وقد اغتتم عروة، فيما بعد، مناسبة هجاء ردِّ فيه الكيل لابن الطفيل وقومه بني عامر، فعرض بليلى ذاكراً أسرها وذللها في موقفها آنذاك، ثم تمتعُ بها

(١) هما : « لعلك يوماً أن تُسرِّي ندامة » ص ١٣٤ و « اسماء العباسية ويلي الهلالية » ص ٨٧.

(٢) راجع قصيدته « رأي ورأي البخل مختلف » ص ٩٦.

(٣) راجع قصيدته « لعلك يوماً أن تُسرِّي ندامة » ص ١٣٤ وما بعد.

(٤) راجع مقطوعته « ألا أقصر من الغزو » ص ١٨٥.

وبشبابها دهرأ، قبل أن تعودَ الى أهلها وقد شاب منها الرأس ولم تعد فيها رغبةً لراغب.. هكذا كان الرد : طعنة بطعنة، وجرحاً بجرح أعمق.^(١)

٢ — القضايا القبلية

خلافاً لما ذهب اليه الدكتور يوسف خليف ، ومعه الدكتور ابراهيم شحاده الخواجه، حول شعر الصعاليك الذي يخدم اغراض القبيلة، وتحديدده بالفترة التي تسبق صعلكتهم، نعتقد أن هذا النوع من الشعر، عند عروة بالذات، كان مرافقاً لحياته كلها. فعروة، كما سبق لنا القول، لم يثر على قبيلته ولم يقطع بها صلته ؛ وصعاليكه كلهم من عبس، يجمعهم ويقودهم للبحث عن رزقهم، وقد يقودهم للدفاع عن القبيلة، كما يسخر شعره لخدمة أغراضها. ولنا، على ذلك، الأدلة التالية من ديوانه :

أ — بين عروة وأقوام من عبس تقوم علاقات، كأى علاقات بين فرع من القبيلة وآخر : علاقات تعاون أو صراع. وهذه الانماط من العلاقات لا يمكن أن تنشأ الا نتيجة للمعايشة والتجاور... يذكر عروة بني ناشب وبني عوذ بن زيد^(٢)، ويوجه اليهم رسالة أن يردوا عنه سفهاءهم وإلا رسخ في اعتقاده أنهم خلف أولئك السفهاء، وحينها تكون بينه وبينهم حرب يعرف، هو، نهايتها ومبلغ الشدة التي سيعانون منها. ويأخذ عبساً شاهدة على ما يقول.

ب — وبين عروة وأعداء عبس يحكم السيف، كما يحكم اللسان : اذا ذكروا نصراً لهم على عبس ذكر، هو، انتصارات عبس عليهم، ولا يهتم باظهار نفسه صاحب المبادرات ومحرز الانتصارات، المهم أنها لعبس، وفي رصيد عبس يسجلها. هكذا يخرس عروة بني عامر الذين هللوا لتمكنهم من أسر أسماء العبسية

(١) راجع مقطوعته : اسماء العبسية وليلى الهلالية ص ٨٧.

(٢) انظر مقطوعته « يلحق بالخيرات من كان أهلها » ص ٨١.

مدة ساعات، اذ يذكّرهم ليلي بنت شعواء التي بقيت عنده سنواتٍ، أكرمها خلالها وتزوّجها، لكنّ ذلك لا يمحو ما عانت، عند أسرها، من ذل الموقف ومرارة اليأس والأسى والحسرة حين عجز قومها عن انقاذها^(١).

ج — ان كثرة ذكر الاسفار والمغامرة، وترك الديار، ولوم الزوجة له على قضائه العمر بعيداً عنها، كل ذلك يخالف الصورة المعروفة عن الصعلوك الذي يسكن البراري والقفار. فعروة يسكن بين قومه، يترك دياره في رحلة التصعلك، ثم يعود اليها.

د — ان تماضر^(٢)، زوجته، تعيّره فقره الذي ينكس رأسه، اثناء وجوده في النادي. ووجوده في النادي الذي يؤمّه عليّة القوم دليل على عيشه بين أهله وعلى تقبّلهم إيّاه وتكريمهم له.

هـ — ومثل ذلك ذكره الحي والعيال الجائعين الذين يطعمهم في سنوات القحط^(٣)، فهو دليل على وجوده في الحي، بين الناس وعلى أنه لا يحيا متوحداً.

و — ان تسجيله مآثر قومه، ونَيْلَه من اعدائهم بشعره، جعلاه شاعر القبيلة، كما جعلته فعاله، التي يذكرها، فارس بني عبس. وهاتان الصفتان، ان لم تلازمه بصورة دائمة، معروفتان له وتزداد قيمتهما اذا برزتا والحاجة ماسة اليهما... ان عروة يتحدث عن يوم الرقم، وهو يوم لغطفان على بني عامر، بضمير « نحن ». ^(٤) وهذا يسجل انتماءه، اختياراً وطوعاً، لا الى عبس وحدها، بل الى غطفان بصورة أشمل... وعروة، بعد قتل طيء لعنترة ودعوة عامر بن الطفيل على طيء بجدة

(١) انظر مقطوعته « أسماء ويلي » ص ٨٧.

(٢) اذا صحّت نسبة هذه المقطوعة اليه « المال مهابة » ص ١٠٩.

(٣) انظر مقطوعة « اذا أجذبت يحلو العطاء » ص ١١١.

(٤) انظر مقطوعة « يوم التخائن » ص ١٦٥.

انوفهم، يشرّ عامراً بأن دعوته استُجيب وبأن عبساً حققت الثأر فعزّت طيئاً واستاقت نساءها الحرائر سبايا لا أمل في فكاكهن^(١).

ز — يتحدث، عروة عن استنجد قومه به في الحرب، بأسلوب عنثرة بن شداد. وواضح أن الوغى والحرب والهيحاء التي يتحدث عنها ليست حملات الصعاليك وإنما حروب القبيلة^(٢).

ح — في قصيدته «نبوءة ووعيد»^(٣) يذكر عروة أن قيس بن زهير، سيد عبس، يتمنى غُربته، أي يطلب منه ترك الديار والابتعاد عن القبيلة مع جماعته. وعروة يندد بهذا الطرد الملتوي ويتنبأ لعبس بفقد مُعينها وقت الشدة ورافع لواء مجدها في حال تحققت أمنية قيس. وفي هذا دليل واضح على المكانة التي يشغلها في قبيلته.

ان عروة، اذن، ثار على تقاليد القبيلة، ثار على الظلم وقلة العدالة في التعامل مع الاخوة، ثار على عدم التوازن في توزيع الثروات، ثار على البخل كما ثار على الخنوع والاستكانة وقبول الذل، لكنه لم يثر على عبس ولم يتخل عنها وعن مطامحها وهمومها.

٣ — الصعلكة

عرض عروة الصعلكة في اسبابها ومفهومها ومظاهر تجليها.

أ — اسباب الصعلكة : يعزوها عروة الى ما يمكن أن نقول عنه، بمُسمّيات عصرنا، «فقدان التوازن الاقتصادي الاجتماعي»، ومظهره خللُ اليد وتخلي الأهل

(١) انظر مقطوعة « قد بلغت دار الحفاظ قرارها » ص ١٦٩.

(٢) انظر مقطوعة « اذا قيل يا ابن الورد أقدم » ص ١٨١.

(٣) ص ٢١٦.

والاقارب. ^(١) فإذا كان الفقر والغنى متجاورين في عالم الجاهلية، وإذا كان المنتمي الى الجماعة انساناً مميزاً يتمتع بجميع الحقوق التي تعطيه المنعة، وإذا كان الخليع مهذور الدم يحمل وحده أوزاره، فقد ظهرت الصعلكة بديلاً عن الغنى وانتماء ينبع من اللاإتماء.

ويفصل عروة قيمة الغنى في عالمه : الغنى هو المحترم، وهو المقرب الى الله والعباد، الله يغفر له ذنوبه، والعباد يطيفون به ويتزلفون اليه، بينما الفقر ذل، والفقير مرذول منبوذ. فالفرق كبير بين أن يملك الانسان المال فيحتاج اليه قومه ليسعفهم وقت القحط، وبين أن يحتاج الانسان الى ما عند الآخرين فيطلبه منهم... كذلك الفرق كبير بين انسان تعطف عليه جماعته وتحميه، وانسان يتجنبه الجميع فيغدو وحيداً غريباً. أما من ابثلي بالمصيتين : الفقر وتخلي الأهل، فهو انسان ميت، بل إن الموت خير له من هذا النمط من الحياة. ^(٢) وعليه أن يرفضه، فبذلك يرفض مكائد الأهل، ويرفض الضيق، وينفتح أمامه عالم واسع، عالم بعيد الأرجاء غير محدود. ^(٣)

ب - مفهوم الصعلكة عند عروة : قسم عروة الصعلكة قسمين : صعلكة الخمول وصعلكة علو الهمة. فالصعلوك الخامل فقير حقير يزدرية الكبير والصغير، لا يحسن نقصاً ولا يترفع عن القيام بكل ما يؤمر به، حتى خدمة النساء، في سبيل الحصول على لقمة العيش، وأي لقمة ! لقمة من فتات، من بقايا اللحم، من عظام ترمى قرب المجازر. هذه هي الصعلكة السلبية، ويقابلها الصعلكة الايجابية التي يعتنقها عروة، اليها يدعو وعنها يدافع. انها تتلاقى وعمليات الغزو التي اشعلت الصحراء وتحدث الناس عنها بفخر واعتزاز، على ما كان يتم فيها من تعدّ وظلم

(١) راجع مقطوعته « مذهب الصعلكة » ص ٨٩.

(٢) المقطوعة نفسها ص ٩٠ ومقطوعة « جود في الغنى وعفة في الفقر » ص ١٠٧.

(٣) ص ٩١.

وقهر، مع فارق واحد هو أن الغزوات تتم بحافز مادي وبحافز عصبي : انها بين قبائل اتفقت على الخصومة والعداوة فتناوبت الهجوم والدفاع. أما حافز الغزوات الصعلوكية فهو مادي بحت، وان كان يرفده حافز اجتماعي انساني عند عروة بالذات. وفيما تنحصر الغزوات في القبائل المتعادية، فإن الصعلوك يسطون على جميع الناس، وأحياناً على قبائلهم.

ان عروة الذي يرسم للصعلوك الخامل صورة مزرية به، يعطي صورة مشرقة للصعلوك الثائر الأبي : انه مضيء الوجه، مخوف الجانب، يُفلق أعداءه فلا ينامون، خوفاً منه، يسهرون ليلهم في زجره واعادة زجره. وهو لا يخشى الردى لأن له خياراً من اثنين : الموت الشريف الكريم أو الغنى.^(١)

ج - مفهوم عروة لدوره في الصعلكة : إن مفهوم الصعلكة عند عروة : أن يثور المرء على جماعته التي لم ترع حقه، حقّ انتمائه إليها، وأن يضرب في الأرض الواسعة يطلب الرزق، لعلّ الأيام تسوق إليه صاحب إبل يجمعها ويحميها، فيسطو عليه ويأخذ ماله ويصيب الغنى.^(٢)

الصعلكة عند عروة هي اغتراب وأسفار، طواف، بحث،^(٣) تتبع أثر ونصب شراك ورسم مكائد، وهي سطو منفرد^(٤)، أو في جماعة قليلة^(٥) تنظم وتوزع الادوار وتعيّن المهاجم والريئة والحارس^(٦)... ولا بد هنا من الإشارة الى أن

(١) أنظر مقطوعته : « صعلوك فقير وصعلوك أمير » ص ١٤٢ وما بعد.

(٢) انظر « منايا النفس خير من الهزل » ص ٢٠٠.

(٣) المقطع السابق و« الموت في طلب الغنى » ص ١٧٢.

(٤) انظر « هل في كريم ماجد ما يعير » ص ١٦٢.

(٥) أنظر « للمقام أطوف » ص ١٩٦.

(٦) انظر « منايا القوم خير من الهزل » ص ٢٠٠.

مفهوم الصعلكة هذا هو مفهوم عام يشارك فيه عروة جميع الصعاليك. لكن عروة يتميز عن سائر الصعاليك بأمور :

— أولها أنه ليس انساناً ناقماً على المجتمع، ينتقم منه انتقاماً نفسياً فيسطو اينما استطاع السطو، يأخذ مال الغني والفقير على السواء. كلا، فالحوافز عند عروة تختلف عنها عند غيره. ان عروة تصعلك ويسطو، لا ليأكل ويشبع، أو ليدخر زاداً يتناوله أيام الجذب والقحط، وانما عروة ينطلق من الحسرة التي يورثه اياها توزيع للأموال غير متكافئ : بعض الناس عندهم أكثر مما يلزمهم، وبعضهم ليس عندهم ما هو ضروري. لذلك أخذ على عاتقه القيام بعمل اصلاحي : أن يعيد التوزيع بشكل عادل، أن يأخذ مال الغني البخيل ليعطيه الفقير المعدم.^(١)

— عن هذا تنجم الميزة الثانية لعروة وهي أنه لم يتصعلك لنفسه، بل تصعلك للآخرين.

كانت هموم عروة، في تصعلكه، تتجمع في سبيلين : الأول ايجاد الضحية التي يأخذ منها، والثاني توزيع المغنم على المستحقين. وقد حدّد لنا عروة، بدقة، الضحية النموذجية التي يختارها لغارته : انها رجل صاحب قطيع من الإبل يحميها بيخله ويمنعها أهله، يتضجّر منه أقرباؤه، وينقّم عليه ذوو الحاجات والأصحاب. لا أحد يرافقه لحمايتها، ولا أحد يلحقه ليتفقّده^(٢)، فلا أحد، اذن، يطالب بشأه اذا اصابه مكروه. إن المغنم كبير والمخاطر قليلة، وردات الفعل محدودة. بل إن فتك عروة بهذا البخيل قد يكون خدمة فعلية يقدمها لأهله وذويه.

(١) يقول :

دعيني أطوّف في البلاد لعنسي . أصيبُ غنيّ فيه، لذي الحق، محمّل
(ص ٢٢٣)

(٢) انظر « ان منايا النفس خير من الهزل » ص ٢٠٣.

أما توزيع المغانم على المستحقين، فكالبحث عما يمكن أن يوزَّع عليهم، هم يشغل عروة ليل نهار. من هؤلاء المستحقين يذكر عروة « عزيز قوم ذل » أو، كما يسميه، « كريم أصابته خطوبٌ تُجَرِّف »^(١)، كما يذكر الاطفال والجيران في الحي^(٢)، ويذكر الفقير الذي يرفع صوته بالطلب^(٣). وفي الديوان لوحة فريدة تمثل جماعة من هؤلاء المستحقين انتظروا عودة عروة بالغنائم، حتى اذا صار بينهم نصبوا القدر الكبيرة، وهي قدر اسودت وظهرت فيها خطوط لكثرة ما استعملت ونقلت. في القدر راح اللحم يغلي وعليه المرق، وحول القدر تحلق الاطفال والايام والنساء والارامل^(٤).

— وهنا نستخلص الميزة الثالثة لعروة في تصعلكه وهي أنه « صعلوك أمير ». لقد وصف عروة نفسه، في مواضع كثيرة من ديوانه، بصفات السيادة ؛ لكنه، في قصيدته البائية « مذهب الصعلكة »^(٥) يصف نفسه كصعلوك مع المحافظة على صفات السيد، وهذا ما جعلنا نسميه « الصعلوك الأمير ». ففي هذه القصيدة يحدد سبب تصعلكه بضيق ذات اليد وتخلي الأقارب، مما ترفضه نفس أبية كنفسه فتجعله يستقبل فجاء الأرض ينشد فيها بديلاً من الفقر ونسياناً لظلم الأهل. إلا أنه يستبق ما قد يتبادر الى الذهن من أن التصعلك ثورة، والثورة تقود أحياناً الى التطرف، يقسو معها القلب وتتجلى فيها الأنانية، فيقول : إنه ملتحم بإخوانه التحاماً عضوياً، لا يتركهم للمخاطر ما دام فيه نفس يرعش... وثورته على الفقر لا تهدف الى اشباع بطنه وانما الى استمرار فضيلة القرى والعطاء. إن تصعلكه لا يُزري به، لأنه يحافظ على نجدته ومروءته، فإذا ما نزل به جار نال حق الجوار كاملاً : لا

(١) انظر « للمقام أطوف » ص ١٩٤.

(٢) انظر « اذا أجديت يحلو العطاء » ص ١١١.

(٣) انظر « رأيي ورأي البخل مختلف » ص ٩٦.

(٤) انظر « عقوق أهل الكنيف » ص ٢٠٦ وما بعد.

(٥) ص ٨٩ وما بعد.

ضَيِّمَ يَصِيْبِهِ، وَلَا تَمْلَمَلْ يَنْقُصَ عَلَيْهِ أَقَامَتُهُ، وَلَا غِيْبَةُ تَسْرِي مِنْ وَرَائِهِ... أَمَّا النُّخْوَةُ الْعَرِيْبَةُ وَتَقْدِيسُ الْمَرْأَةِ فِي نَفْسِ عُرْوَةٍ، صَعْلُوكًا وَأَمِيرًا : إِنَّ جَارَتَهُ تَسْرَحُ وَتَمْرَحُ لَا تَخَافُ تَلَصُّصًا. وَإِذَا فَاجَأَتْهَا رِيحٌ وَاقْتَلَعَتْ بَيْتَهَا لَمْ تَخَفْ أَيْضًا، لِأَنَّ سِيَاجًا آخَرَ يَحْمِيهَا هُوَ سِيَاجُ التَّعَفُّفِ فِي نَفْسِ جَارِهَا^(١).

د - غَزْوَةُ صَعْلُوكِيَّةٍ نُمُوذَجِيَّةٍ : نَعْرُضُ لَوْحَةَ غَزْوٍ أَخَذْنَا عُنَاصِرَهَا شَذَرَاتٍ مِنْ مَقْطُوعَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ :

* بَعْدَ بَثِّ الْعَيُونِ وَدِرَاسَةِ الْمَوَاقِعِ حَدَّدُوا مَكَانَ الْإِبِلِ الَّتِي يَنْوُونَ الْإِغَارَةَ عَلَيْهَا. وَهُمْ فَضَّلُوا الْإِبِلَ السَّارِحَةَ فِي الْمَرْعَى^(٢) عَلَى الْإِبِلِ الْمَحْبُوسَةِ فِي الْحِظَائِرِ : فِي الْمَرْعَى تَكُونُ الْإِبِلُ تَحْتَ حِرَاسَةٍ مَحْدُودَةٍ، بَعِيدَةً، نَوْعًا مَا، عَنْ أَصْحَابِهَا وَفَرَسَانِهِمْ. وَفِي الْمَرْعَى يَسْهَلُ اقْتِيَادُ الْإِبِلِ إِذَا يَكْفِي لِذَلِكَ تَنْفِيرُهَا.

* أَتَوْا إِلَى أَوَاخِرِ الْإِبِلِ يَضْرِبُونَهَا عَلَى أَدْبَارِهَا. أَجْفَلَتْ وَانْدَفَعَتْ لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ، فَتَفَرَّتْ مَا أَمَامَهَا مِنَ الْمَاشِيَةِ، وَتَدَقَّقَتْ جَمِيعًا.

* دَخَلَ الصَّعَالِيكُ بَيْنَ الْإِبِلِ وَحُمَاتِهَا. بَعْضُهُمْ اعْتَرَضَ طَلِيعَةَ الْقَوْمِ يَقَاتِلُهُمْ بِالرَّمَاكِ وَبِالسَّيُوفِ الْخَفِيفَةِ لِيَشَاغَلَهُمْ عَنْ مَالِهِمْ، وَبَعْضُ الْآخَرِ يَتَابِعُ تَنْفِيرَ الْإِبِلِ وَتَوَجِيْهِهَا^(٣). وَرَاحَتْ خَيْلُ الصَّعَالِيكِ تَعْدُو بِهُمْ طَارِدَةً أَمَامَهَا الْإِبِلُ الْكَرِيمَةُ، وَقَدْ أُحْكِمَتِ الْخَدَمَاتُ فَوْقَ أَرْسَاقِهَا وَشُدَّتْ إِلَيْهَا سَيُورُ نِعَالِهَا، فَاجْتَازُوا بِهَا طَرِيقَ الْحِجَازِ الضَّيِّقَةَ إِلَى مَعَاقِلِهِمُ الْجَبَلِيَّةِ حَيْثُ يَعِيشُونَ مُجَاوِرِينَ الشَّتَّ وَالْعَرَعَرَ^(٤).

(١) رَاجِعْ « مَذْهَبُ الصَّعْلُوكَةِ » ص ٨٩ وَمَا بَعْدَ.

(٢) هِيَ السَّوَامُ انْظُرْ ص ١٥٤ (سَتَفْزَعُ بَعْدَ الْيَأْسِ...).

(٣) رَاجِعْ ١٥٤ (يَطَاعِنُ عَنْهَا...).

(٤) رَاجِعْ ص ١٥٥ (يُنَاقِلُنَ بِالشَّمْطِ الْكَرَامَ...).

وصل الصعاليك بغنائهم الى منهل الماء في معقلهم. تركوا الإبل ترتاح، وترجلوا عن خيلهم... نصبوا في المكان المرتفع رقيماً لهم بقي ثابتاً كجذع شجرة مقطوعة لا يتحرك فيه الا عيناه تقلبان الطرف في الأرض الفضاء...^(١)

ثم نُصبت القدر وأوقدت النار، وقُطعت الجزور وأخذت القدر تغلي بها. وراح الناس يتحلّقون حولها : نساء وأولاد وشبان، يطيفون بها، يقتربون منها ويتعدون عنها، ويتجرأ بعضهم على مد أيديهم في الماء الغالي يتناولون قطعة « لحم بعظم » يأكلونها ولما تنضج...^(٢)

هكذا تنقضي الأيام : يوم على نجد يغيرون، ويوم على أرض الجبال، يأكلون وينعمون.^(٣)

رابعاً : فلسفة عروة وأخلاقه

انها فلسفة واقعية تنهل من نبعين رئيسيين : ايمان بأن الموت حق يأتي الانسان في مياعده، اينما كان، وإيمان بأن خير الناس أنفعهم للناس. وكان تجليها على مستويات ثلاثة :

١ — المستوى الأول : ابراز صفاته الشخصية وخلقيته المميزة، بداعي الفخر ونشر الفضائل. بهذا المنظار، يتجلى عروة في الديوان متحلياً بصفات السيد وأخلاقه، بل نموذجاً للعربي الأصيل. من هذه الصفات :

أ — الشجاعة : وهي مظهر تجلي القوة في الساعد وفي النفس. فعروة شجاع

(١) انظر ص ٢٠٤ (اذا ما هبطنا ...) .

(٢) انظر ص ٢٠٨ وما بعد (واذا ما يُريح الحي ...) .

(٣) راجع ١٥٥ (فيوماً على نجد ...) .

لا يخشى الحرب ولا تزعجه نتائجها^(١)، يستنجد به قومه عند الملمات فيقدم عندما يحجم الآخرون أو يدبرون، ويختار أقوى الفرسان وأشدّهم بأساً وأكثرهم سلاحاً ليقارعهم ويتركهم على الثرى مجندين^(٢).

ب - ازدراء الموت وعدم تهيبه : هو يؤمن بأن الموت خاتمة طبيعية لكل حياة، والدنيا ممرّ ومكان لقاء لا يلبث أن يتبعه الفراق^(٣). والموت ليس دائماً أمراً مكروهاً، فهو أحياناً المنقذ وهو المريح من حياة الحرمان والذل^(٤)...

على ضوء هذه القناعة يمكن تفسير شجاعة عروة التي تحدثنا عنها واستخفافه بالموت ووضع لقاءه نصب عينيه، ان سار وغامر أو بقي في مكانه، لأن الموت لا يصيب المغامر وحده، بل يصيب أيضاً المتخلف المتقاعس^(٥).

ج - الكرم : وهو الفضيلة التي يجسّدها عروة في أسمى معانيها، انه يعطي كما يتنفس، وكما يشرب ويأكل، بل انه يعطي أكثر من ذلك، يعطي اللقمة، التي ليس عنده سواها، لجائع يحتاجها. قد نقول ان عروة آمن بالاشتراكية لأنه يعتد كلّ ما عنده قابلاً لمشاركة الضيف وطالب القرى والعطاء : ففراشه فراش الضيف،

(١) يقول :

فلا أنا مما جرّت الحربُ مُشْتَكٍ ولا أنا، مما أحدث الدهرُ، جازعُ
(ص ١٨٤)

وعروة صاحب قناعة بأن أية معركة يخوضها تكون نتائجها لصالحه. لذلك كان دائماً يتحدى منافسيه مؤكداً ترحيبه بالحرب اذا أرادوها. (انظر « يلحق بالخيرات من كان أهلها » ص ٨٤) (وانظر « نبوءة ووعيد » ص ٢١٨).

(٢) انظر « اذا قيل يا ابن الورد » ١٨١ وما بعد.

(٣) انظر ص ١٦١ (وأن المنايا ثغر...).

(٤) انظر ص ١٠٨ (فرغم العيش...) وص ٢٠١ (أقيموا بني لبني...).

(٥) انظر ص ١٨٠ (تخوفني ريب المنون...) وص ١٨٦ (لبوس ثياب الموت...)
وص ١٩٥ (لعل الذي نخوفتنا...).

وبيته بيت الضيف^(١)، وبردته يلتف بها وضيّفه اذا اشتد البرد^(٢)، أما ماله فمشارك بينه وبين جاره^(٣).

الا أن فضيلة الكرم العربية تذهب أبعد من الاشتراكية فتقارب التضحية. وقد عُرِف ذلك عن حاتم الطائي، وما كان عروة يقل عنه ايغالا في هذا الميدان. ان عروة يرهن نفسه، فكره وانتباهه، وجميع امكاناته لضيّفه. انه يلقاه بالبشاشة والترحاب، وهكذا يبدأ القرى^(٤). ثم يقف وقته على ادخال البهجة الى نفسه : يحدثه ويسلّيه ويجعله يشعر بالراحة النفسية والانبساط، ويبقى كذلك الى أن يغلب الضيف النعاس فيهجع ويفك أسر عروة^(٥).

ويتجاوز عروة بكرمه حدود القرى والضيافة، والعطاء لمن يطلب، يتجاوز ذلك كله الى المشاركة في رفع الأعباء عن قومه : يسخر ما يملك لتخفيف البؤس

(١) انظر ص ١٩٠ (فراشي فراش الضيف).

(٢) انظر ص ١٨٩ (فإنك والاضيف في بردة ...).

(٣) انظر ص ١١٦ (فإذا غيت ...).

(٤) يقول عروة : (ص ١٥٧).

أيسفر وجهي؟ أنه اول القرى، وأبذل معروفني له، دون منكري

ويعلق المرزوقي على هذا البيت بقوله : « يريد أن اظهار البشاشة للضيف وتطلق الوجه معه، واظهار السرور بقصده ومثواه، من أوائل قراه؛ ثم الترحيب به وايناسه من بعد، حتى كأنه يُتَنَظَر كما يُتَنَظَر الغائب الآيب؛ ثم المبالغة في الانزال وحط الأثقال واظهار سعة الحال والمكان، الى غير ذلك مما ييسط منه ويزيل الحشمة والانقباض عنه... وقوله : « ابذل معروفني »... دخل تحته كل محمود من الأفعال والرسوم، كما أن قوله « دون منكري » اشتمل على نفي كل مذموم من الخصال والامور. وقيل إن المنكر هو أن يُسأل عن حاله ونسبه وقصده في سفره وكيفية مأثاه حين نزل به، لأن جميع ذلك مما يجلب عليه حياء ويوسعه نفوراً وامساكاً.. (شرح الحماسة ج ٤ ص ١٥٧٦).

(٥) انظر ص ١٩٠ (احديثه، ان الحديث من القرى...).

عنهم في أيام البؤس، ويبدل كل ما عنده في تحمل الديات والجرائر عن جماعته. انه كرم يشع وينتشر ولا يعرف قيوداً أو حدوداً، وهو كرم ايجابي متحرك لا سلبي جامد. ولعل أطرف ما في عروة أنه يستنكر أن يصاب أناس من قومه دون أن يقوم بنصيبه في الدفع عنهم،^(١) ويستعظم أن تلم بقومه ملامة دون أن يشارك في تحمل الحقوق، ويعتد موقفاً كهذا مرفوضاً تأباه نفسه ويفضل الموت على أن يقفه.^(٢)

ويتعالى عروة بكرمه الى مستوى الايثار،^(٣) ويدمج عطاءه بنفسه حتى لنراه يحس أنه لا يعطي الأموال وانما يعطي ذاته، وهذا سبب هزاله، لأن من يتحمل الحقوق لن يستطيع أن يشبع^(٤). وكيف يستطيع أن يشبع وهو يعلم أن جائعاً في الحي^(٥) ؟ وكيف تمتد يده الى السمن ووعاء السمن عند جاره فارغ^(٦) ؟

وفي تقديس، للكرم يبدو البخل في نظره نقيصة كبرى. انه يستنكر مواقف الزوجة التي ترتاع لعطاءاته، ويستنكر أن تدعوه الى امساك اليد، أياً كانت الأسباب، ويؤكد أن البخل مكروه، مردود، مرفوض، لا يمكن لعروة أن يتقبله، سواء عطش أو روى. انه والبخل ضدان لا يلتقيان أبداً.^(٧) وحين هجا آل سلمة بن الخرشب الاندلسي تلخص هجاؤه لهم بالبخل. فرسم لهم صورة فريدة في بخلهم : انهم يبخلون في النهار ويبخلون في الليل، يبخلون ربيعاً ويبخلون شتاءً.

(١) انظر ص ١٥٢ (اهلك معتم وزيد...)

(٢) انظر ص ٢٢٣ (اليس عظيماً أن تلم...)

(٣) يقول : (ص ٩٨)

وَرُبْتُ شُعْبَةً آثَرْتُ فِيهَا يَدًا جَاءَتْ تُغَيِّرُ، لَهَا هَتِيبٌ

(٤) انظر ص ١٢٤ (أقسم جسمي في جسم كثيرة...) وص ١٢٥ (ومن يؤثر الحق النوادب...) وانظر ص ١٤١ (أقب ومخماض الشتاء...) .

(٥) انظر ص ٩٨ (ورُبّة شعبة آثرت فيها...) .

(٦) انظر ص ٩٨ (فان حميتنا أبداً حرام...) .

(٧) راجع مقطوعة « رأيي ورأي البخل مختلف » ص ٩٦ وما بعد.

لا هم يعطون الناب المسنة، ولا أنفسهم تجود بالجمل الفتى الشاب، ان بخلهم يتجلى كيفما قلبت النظر فيهم^(١).

د — الالباء والعفة : ان اشتراكية عروة بقيت من طرف واحد : هو يشارك الآخرين ما معه، لكنه لا يتطلع ابداً الى مشاركتهم ما معهم. ان نفسه الكبيرة، تأبى عليه أن يطلب، خوفاً من أن تصدّه نفس صغيرة فتلحق به اهانة لا تُغتفر. ماذا يفعل عروة^(٢) إذا افتقر؟ انه يقتات بما تنبت الأرض ويشرب الماء الصافي ويكتفي بذلك. انه يأبى وقفة الذل والطلب يقفها الانسان أمام غني لئيم يسأله عما تجود به نفسه. ان هذه الصورة بعيدة جداً عن عروة ويفضل عليها أن يدخل المفاوز المهلكة متعرضاً لأسباب الردى وأفانينه، في بحث عسير عن الرزق^(٣)... أما الوقوف في افناء البيوت وخلف الأقبية فمرفوض رفضاً قاطعاً لأن الاحساس بالذل هنا لا يمكن أن يغطيه شيء ولا حتى أن يكون المعطي جواداً كريماً يذل عن طيبة خاطر ويحسن معاملة المحتاج. ان عروة يأبى هذه الوقفة، والموت أسهل عليه منها^(٤).

ولأن الفقر ذل، ولأن تقبله والعيش معه استكانة، فإن عروة يدفع الفقر ويسعى أبداً في طلب الغنى. وبذا يعد عن زوجته.

٢ — المستوى الثاني : حوار الزوجة.

الى أي مدى تتقبل زوجة عروة تصرفاته، تبديده المال وافتقاره ثم رحلته الدائمة ومغامراته ؟ الى أي مدى تفهم بواعثه واهدافه ؟

(١) انظر مقطوعة « بخل ابن أكرم » ص ١٦٧ وما بعد.

(٢) يقول عروة : (ص ١١٦).

واذا افتقرت فلن أرى متخشعاً لأخي غني، معروفه مكدود
(٣) انظر ص ١٦٢ « قطعت بها شك الخلاج... ».

(٤) انظر « جود في الغنى وعفة في الفقر » ص ١٠٧.

إن كثرة ذكر الزوجة اللائمة في الديوان دليل على أنها تقض مضجع الشاعر،
تذمر وتزجر، تغضب وتنفعل، تبكي وتنتحب^(١)، وقد تستخدم الدلال لتعدل في
سياسة الزوج. ومما لا شك فيه أن عمل الزوجة هذا كان دائماً متواصلاً، آناء الليل
وأطراف النهار، على الطعام وعلى الوسادة، لا تني ولا تكلّ، وهي تلوم... فماذا
تقول الزوجة اللائمة ؟

تقول : لك الويلات، هل أنت تارك ضُوءاً، يَرَجُل، تارة، وبِمَنَسِيرٍ ؟^(٢)

ونحن نرى بوضوح هذا النقد المتكرر :

أرى أم حسان، الغداة، تلومني^(٣)

واللوم الذي يطفح منه الكيل :

أَقْلِي عَلَيَّ اللُومَ يا بنتَ مندر، ونامي، وإن لم تشتهي النوم، فاسهري^(٤)

بل اننا نرى، من خلال البيت السابق، تضجّر عروة الذي يلامس الغضب
ويجعله يقسو على الزوجة المُتعبَة فيأمرها بالاقلاع عن اللوم وبالصمت، بالذهاب
الى الفراش، بالسهر اذا لم تستطع النوم، المهم أن تغرب عن وجهه لتريحه من
المناخرة المتواصلة ؛ مع العلم أنها المحبوبة المفضلة عنده، الأثيرة لديه.

ويبدو أن مفهوم الزوجة للغنى والفقر يختلف عن مفهوم الزوج، وكذلك
تقديرها للهدف من كسب المال. انها قد ترى المال غنى لها ولعائلتها وأولادها،

(١) انظر ص ١٨٥ « تقول : ألا أقصر من الغزو... ».

(٢) ص ١٤٦.

(٣) ص ١٩٤.

(٤) ص ١٤٣.

تراه نعمة تظهر عليها تميزها عن الصواحب وتثير حسد الجارات. انها قد لا تفهم تبديد المال، كل المال، دفعة واحدة في فورة للكرم أو نفحاً لطالب عطاء محتاج، انها قد لا تفهم تعب زوجها ونضاله وتعرضه للمخاطر في طلب المال، ثم سهولة تخلصه منه دون أن يقيم حساباً لنفسه ولا لزوجته ولا لأولاده. كيف يمكن أن يكون المال مالهم، فيطعمون به الجائعين ويبيتون هم على الطوى ؟ لقد وصل بها الأمر الى أن تكره هؤلاء السائلين وتشعر بنقمة على هؤلاء الاضياف، ويطير عقلها لمرأى المال يُعطيه زوجها لاول طارق، فتصاب، من ذلك، بنوبة عصبية، مظهرها التشنج والبكاء والانتحاب حتى يسخ منها الصوت، نوبة تستمر الليل كله، بينما يرفض جنبها الفراش، ويمر الوقت بها ورأسها بين يديها، وهي مستندة على مرفقيها^(١)... ان هذه الصورة شديدة التعبير وتمثل بوضوح موقف المرأة. فليس غريباً بعد ذلك أن نراها نقمة عارمة على سفر زوجها وانطلاقه في الفيافي والقفار بحثاً عن الرزق. انها تفضل أن يبقى بجانبها، وتعيش بالقليل الذي يملكون^(٢) على أن يجمع المال، ويقضي حياته بعيداً عنها. ولكي تشده اليها وتقنعه بصحة موقفها تنبأ بأيام مقبلة شديدة يحافظ فيها الانسان على القليل القليل الذي لديه لأنه سيكون بأمر الحاجة اليه^(٣)، وقد تصوّر له المخاطر التي تنتظره في سفره وخوفها الشديد عليه.^(٤)

ازاء هذا التصميم من الزوجة على متابعة اللوم، يطالعنا تصميم من عروة على الثبات في مواقفه وعلى متابعة شرح وجهة نظره لزوجته. ما هو مفهومه للمال ؟ ليس المال طريقاً لرفاهية ولمباهاة الزوجة والأولاد، انه وسيلة للقيام بواجب الحقوق وتقديم الخدمات الاجتماعية التي تخفف من صعوبة الحياة ومن

(١) انظر قصيدته على التاء ص ٩٦ و ٩٧.

(٢) انظر ص ١٤٧ « ومستثبت في مالك العام... ».

(٣) انظر البيت السابق والذي يليه ص ١٤٨.

(٤) انظر ص ١٩٤ « للمقام أطوف ».

ويلايتها^(١). ومع ذلك فالغنى لا يكفي وحده للسيادة، إنما يسود الإنسان بفعاله^(٢). ويحاول عروة أن يفهم زوجته مدى ازدرائه للمال واستعداده لبذله في حالتي الغنى والفقر؛ فسواء امتلأت حظائره، أو فرغت، سيبقى عطاؤه عطاء السيد الكريم^(٣). والبخل كما رأينا كلمة مستثناة من صفاته وأعماله ولا سبيل إلى اقناعه بجدواه^(٤).

ويحاول عروة أحياناً أن يسير مع التيار فلا يعارض زوجته بعنف، بل يؤكد لها أنه يرغب في الاستقرار. ولكن، حين يظن أنه جمع من المال ما يكفيه لذلك، يفجأه رجل كريم أذرت به الأحداث وذاق من المصائب ألواناً، يشكو إليه حاله وحال عياله، فماذا يستطيع، حينذاك، سوى أن يجرد بما لديه؟

إذا قلتُ: قد جاء الغني، حال دونه أبو صبية، يشكو المفاقر، أعجف^(٥)

أما عن السفر فيتحدث عروة إلى زوجته بأسلوبين: الأسلوب الأول هو إثارة مصلحتها فاهتمامها، إذ يؤكد لها أنه يسافر لأجلها، لكي يمنع عنها موقف الذل الذي تُجبر عليه الحاجة^(٦). الأسلوب الثاني هو النظرة الواقعية اللاعاطفية إلى الأمور: صحيح أن السفر فراق، ولكن كل اجتماع في هذه الحياة ينتهي بفراق، إنها سنة لا مفر منها^(٧). صحيح أن من يسافر ويُغامر يتعرض للمخاطر ويواجه

(١) يقول: (ص ٢٢٣)

دعيني أطوف في البلاد لعلي أفيد غنى فيه لدي الحق مَحْمِلُ
(٢) يقول: (ص ١١٥)

ما بالكـ سراء يسود كل مسودٍ مُسرٍ، ولكن بالفعال يسود
(٣) انظر ص ١٥٨ «يريح عليّ الليل...».

(٤) انظر ص ١٠١ «وقد علمت سليمي أن رأيي...».

(٥) راجع ص ١٩٦.

(٦) انظر ص ١٤٦ وإن فاز سهمي...

(٧) انظر ص ١٦٠ «ألم تعلمي يا أم حسان أننا...».

الموت، ولكن من يبقى في مكانه يواجهه أيضاً، وقد يسلم المغامر وينال الردى من القاعد المستقر^(١) : لا شيء يمكن أن يحمي الانسان من قدره. وماذا يستطيع عروة، ازاء مسؤوليته عن عياله (صعاليكه) سوى أن يرمي نفسه في مشرق الأرض ومغربها، لينال الغنى، أو يكسب « ثواب المجتهد » ويجد لنفسه العذر؟^(٢)

٣ - المستوى الثالث : تعاليمه الموجهة الى صعاليكه.

ينطلق عروة من واقع جماعته، الواقع الذي رآهم عليه فأثار فيه نخوة العربي وإباء السيد، وجعله يعطف عليهم ويتولى قضيتهم. إنه يصف هذا الواقع ويسلط الأضواء على ما فيه من استكانة وخنوع ليشير فيهم الاشتمزاز منه، ثم الثورة عليه. ان في وصفه الصعلوك الفقير، في عيشه خلف أفناء البيوت، في قيامه بأعمال النساء، في رضاه بالقليل من الزاد مقابل العمل المضني الذي يقدمه، في تدنيه الى ارتياد أماكن النفايات يجمع العظام ليمشها، في اكتفائه بالنوم على الحصى والرمال، في انعدام طموحه حتى ليجد غناه في شبة يؤمنها له صديق ذو يسار^(٣)... إن في هذا الوصف اثارة لكل نفس فيها بقيا كرامة :

فَرَّغُمُ الْعَيْشِ إِلْفُ فِنَاءِ قَوْمٍ، وَإِنْ آسَوْكَ، وَالْمَوْتُ الرَّوَاحُ^(٤)
ويتجاوز عروة الفرد في وصفه ليرسم صورة الجماعة : انهم بنو لبنى، أو هم أصحاب الكنيف. وقد ارتبط التكنف، في شعره، بالتعبير عن حياة الذل والبؤس

(١) انظر ص ١٩٥ « لعل الذي خوفتنا... ».

(٢) انظر ص ١٠٥ « ومن يلك مثلي ذا عيال... ».

(٣) انظر « صعلوك فقير وصعلوك أمير » ص ١٤٩ وما بعد.

(٤) ص ١٠٨.

والْيَأْس^(١)، كما أن أصحاب الكنيف صاروا يجسّدون فعلَ عروة الاجتماعي : انهم الذين أحياهم بعد مَوْت، أحياء فيهم الجسد وبعث فيهم عزة النفس... ماذا يقول عروة لهذه الجماعات ؟

يقول : إن الموت واقع، لا محالة، فلماذا يجلس الإنسان في انتظاره ولا يهَبْ لملاقاته ؟ أليس الموت في الحرب والقتال خيراً من الموت جوعاً وهُزالاً ؟ فليتركوا الخنوعَ اذن، وليسرجوا المطايا :

أقيموا، بني لبني، صدور مطيكم فكلُّ منايا النفس خيرٌ من الهزل^(٢)

بالسفر وركوب المخاطر قد يلقون الموت، ولكنهم أيضاً يلقون به الحياة، الحياة الحقيقية المتحررة من عبودية اللقمة وذل الجوع. وهذان هما الخياران اللذان يضعهما أمامهم : إما مغامرة فيها شبع للنفس والبطن، وإما موت كريم^(٣).

هكذا يعيد عروة الدعوة الى المسير، ويكرر الحث على المغامرة، على الرحلة في سبيل الغنى أو الموت دون ذلك. ومتى وضع المرء الموت نصب عينيه سهّل عليه القاء نفسه في المهالك، وفي ذلك انتصار عليها وأخذ للحياة غصباً^(٤).

وأخيراً، يشير عروة، في صعاليكه، روح المسؤولية، المسؤولية عن انفسهم وعن يلود بهم لأنه يكرّر على مسامعهم فكرة العُذر والمسوّغ : انهم لا مسوّغ

(١) يقول : (ص ١٩٧)

رأيت بني لبني، عليهم غضاضة، يُوتئهم، وسط الحُلُول، التكتُّفُ
(٢) ص ٢٠١.

(٣) يقول : (ص ١٠٠)

فقلت له : ألا احْي، وأنت حُر، ستشبع، في حياتك، أو تموت
(٤) أنظر ص ١٠٤ و ١٠٥ « أقول لقوم في الكنيف... ».

لديهم للبقاء عالّة على الناس، فقراء خاملين، لكنهم، اذا أقدموا ولم ينالوا الغنى،
عذروا أنفسهم وعذروهم من وضع أمله فيهم. « ومبلغ نفس عذرها مثل منجج^(١) »
فسير في بلاد الله والتمس الغنى تعيش ذا يسار، أو تموت فتعذرا^(٢)

(١) ص ١٠٥.

(٢) ص ١٧٣، وانظر ص ١٩٦ « فإني لمستأف البلاد بسرية... ».

القسم الرابع : شرح الديوان.

١ - لغة عروة

لم يكن شعر عروة صعباً على الفهم، ولم يقصد عروة اختيار الألفاظ الغريبة، إنما ما نعرفه عن الصعاليك أنهم كانوا يعيشون حياة شطّفٍ، وكانوا يؤمّون الأماكن النائية الخطرة، وكاد مجتمعهم أن يكون مُغلّقا ؛ فلا غرابة، إذن، إن كانت أشعارهم تمثل الصلابة وإن كانت ألفاظهم أكثر ألفاظ الشعر العربي غرابة... وما نعرفه عن الشعر الجاهلي أنه وجداني غنائي، كما سبق لنا القول، وأنه ملتزم كذلك. ^(١) فنادرأ ما نرى شاعراً جاهلياً ينفث وجدانيته لتراتح نفسه. كان الشعر الجاهلي هادفاً يتوجه الى الجماعة : يتّهم، يتحدى، يعتذر، يدعو ويدحض وما الى ذلك. وليس استحضار المستمع أو المشاهد أو الرفيق المجهول، في أشد لحظات الشعر وجدانية. (عند وصف الاطلال وذكر المحبوبة، مثلاً) الا دليلاً على أن الشعر الجاهلي كان يُقال يُسمع ويُنقل ويُؤدى رسالة تخدم التزاماً.

وشعر عروة فيه ذلك كله وفيه ميزة من الشعر الجاهلي عموماً، ومن شعر الصعاليك خصوصاً.

(١) راجع ص ٤٥ من هذه المقدمة.

فمن الشعر الجاهلي يتميز شعر عروة، كما سبق لنا القول^(١)، بوحدة الموضوع حتى أمكن وضع عنوان مقبول لجميع قصائده، وبعدم مراعاة هيكلية القصيدة الجاهلية. أما من شعر الصعاليك فيمتاز بألفاظ أقل غرابة وأسلوب أكثر سهولة. ويعود ذلك الى سببين : السبب الاول هو أن عروة الصعلوك كان، في الوقت نفسه، أميراً أو كأمير، وأنه لم ينسلخ تماماً عن قبيلته. فهو لم يعيش حياة الذئاب فقط، بل عاش أيضاً حياة الناس في جماعة انسانية، وهذا ما حفظ له رقة الناس العاديين ولين طباعهم وأساليب تعبيرهم. (بقدر ما يمكن الحديث عن الرقة واللين، في الشعر الجاهلي عموماً).

والسبب الثاني يعود الى ما ذكره الدكتور يوسف خليف عن اسلوب عروة من أنه « أسلوب شعبي، سهل اللفظ بالقياس الى شعر سائر الصعاليك، واضح المعنى، قريب التعبير، لا تكلف فيه ولا تصنع... (اذ) ان عروة كان يقوم، في حركة الصعلكة، بدور الداعية المذهبي، أو الزعيم الشعبي الذي يحرص على استمالة الجماهير اليه. »^(٢)

ومع ذلك فنحن لن نذهب الى القول بسهولة لغة عروة وبإمكان استيعاب معانيه من القراءة الأولى، ويبعد الوقوع في اللبس عند محاولة فهم استخداماته لكلماته وتعابيره. بل عكس ذلك هو ما نذهب اليه. ان ما نتحدث عنه من سهولة ولين أمر نسبي قياساً على شعر الصعاليك الآخرين. فعروة استخدم لغة بيئته وعبر عن واقع معاشه، وكلاهما صعبان قاسيان مرتبطان بالصلابة. بل إن استخدام عروة لبعض الكلمات كان في أشد معاني هذه الكلمات غرابة، حتى غدت شواهد للباحثين اللغويين على الاستعمال الخاص لها. وتكفي الإشارة، دليلاً على ذلك، الى أن

(١) راجع ص ٤٥ من هذه المقدمة.

(٢) الشعراء الصعاليك ص ٣٢٨.

شواهد شعر عروة جاءت في خمسة وثلاثين موضعاً من « لسان العرب »،^(١) على صغر ديوانه وقلة انتاجه الشعري. وهذه إحدى صعوبات الشرح التي ستحدث عنها.

٢ - الشروح السابقة للديوان

يبدو أن ابن السكيت^(٢) ليس أول من جمع شعر عروة فحسب،^(٣) لكنه أيضاً أول من شرحه. ومن المؤكد أن جميع من نشروا الديوان وشرحوه، فيما بعد، انطلقوا من عمل ابن السكيت.

نُشر الديوان الذي قدّمه ابن السكيت، وحده، ونُشر ضمن مجموعة من خمسة دواوين شاركه فيها : النابغة الذبياني وحاتم الطائي وعلقمة الفحل والفرزدق.

وقد أُعيد نشر الديوان، بشكله، عدداً من المرات. فالمطبعة الوهبية بمصر نشرت الدواوين الخمسة، وأعدت المطبعة الأهلية في بيروت نشر هذه الدواوين. والديوان المنفرد طُبِع في الجزائر بعناية الشيخ محمد بن أبي شنب وتصحيحه. وهذه الطبعة مأخوذة من طبعة المستشرق نولدكيه، مع اضافة أبيات وشروح.

(١) راجع « معجم الشعراء في لسان العرب » ص ٢٨٥ و ٢٨٦.

(٢) هو يعقوب بن اسحق السكيت (ابو يوسف)، « من أكابر أهل اللغة، وكان مؤدب ولد جعفر المتوكل على الله... وأخذ عن أبي عمرو الشيباني والفراء وابن الاعرابي... قال ابو العباس المبرّد : ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق... احتاج الى الكسب فجعل يتعلم النحو. وكان يقول : أنا أعلم من أبي بالنحو وأبي أعلم مني بالشعر واللغة... » (توفي عام ٢٤٤ هـ) (نزهة الألباء في طبقات الادباء. ص ١٧٨).

(٣) الديوان الذي جمعه هو الوحيد المعروف حتى الآن. وقد يكون هناك نسخة من جمع الأصمعي لكنها غير معروفة. (راجع ابراهيم الخواجه - عروة بن الورد - ص ١٤٣).

كذلك طُبع الديوان في سوريا بأشراف وزارة الثقافة والارشاد القومي وتحقيق الاستاذ عبد المعين ملّوحي. وهذه الطبعة تعتمد نسخة المطبعة الوهبية... وضمن مجموعة « شعراء النصرانية »، نشر الأب لويس شيخو شعر عروة، معتمداً شرح ابن السكيت وشرح التبريزي لما ضمّه كتاب حماسة أبي تمام من شعر عروة، ومقتبساً من الاغاني حكايات عن عروة.

وأخيراً، نشرت دار صادر في بيروت طبعتين للديوان : مستقلاً أو مع ديوان السموأل. والطبعة بتحقيق الاستاذ كرم بستاني، وتفيد من مجمل الطبعات والشروح والمقدمات الواردة في الطبعات الأخرى.^(١) وهذه النسخة هي التي اعتمدناها، كما سبق القول.

والواقع اننا لم نستطع الاطلاع على جميع النسخ الوارد ذكرها، ولم يكن ذلك ضرورياً، في رأينا، لأنها كانت تتألي آخذة، بعضها عن البعض الآخر مع اضافات طفيفة. اطلعنا على نسخة ابن السكيت، طبعة سوريا، وعلى شعراء النصرانية وعلى المجموعة من شعر عروة التي نشرتها جماعة « موسوعة الشعر العربي » (العصر الجاهلي) والتي لا تحيط بمجمل الديوان. ونشير الى أن هذه الجماعة حاولت أن تقدم شرحاً اجمالياً لمعاني الأبيات وتوطئة لمضمون القصائد، بهدف جعل الشاعر أقرب متناولاً وأسرع الى الفهم.

لقد قام الشارحون بجهد مشكور اذ حاولوا تقديم عروة، في معانيه وعباراته، الى جمهور الخاصة والعامة. وكان بعضهم يميل الى الشرح اللغوي فيدرس الكلمة في جذورها وفروعها أو استعمالها أو اعرابها، والبعض الآخر كان يلخص المعنى الذي يتضمنه البيت أو الأبيات ليجعله داني القطوف الى ذهن الانسان العادي.

لكن كلمات كثيرة بقيت دون شرح يبيّن وظيفتها في معنى البيت، وبقيت أبيات تحمل معاني تجعلها غريبة عن سياق القصيدة، معاني لا تظهر وظيفتها في هدف عروة.

(١) راجع في ذلك كله : ابراهيم الخواجه — عروة بن الورد — ص ١٤١ الى ١٤٦.

٣ - خطتنا في الشرح

مع اعترافنا بالفضل الكبير للجهود التي أشرنا إليها، لم نجد شرحاً يتوقف عند كل كلمة ليعطيها حقها من شرح معناها، ولا نقصد الشرح المطلق، ولكن شرح المعنى الذي يجعلها تتوافق وما سبقها أو تبعها، بشكل يكون معه الشرح المجمل عملية تكامل للمعاني الجزئية تربطها، بعضها ببعض، وتضعها في الاطار المناسب لشخصية عروة وظروف حياته ومناسبة القصيدة والهدف منها. وهذا ما كان دأبنا في شرحنا.

لقد أخذنا على عاتقنا ألا نترك كلمة واحدة دون تحديد معناها بدقة، المعنى المناسب لسياق الشعر، بحيث لا تبدو أية كلمة نافرة، ولا تظهر أية عبارة غريبة، لأننا نؤمن بأن لكل كلمة أو عبارة مهمة، وأنها تخدم غرضاً في نفس عروة وهدفاً في ذهنه. ونلفت هنا الى أننا تحاشينا، في غالب الأحيان، ذكر معان متعددة للكلمة، مما لا ننوي استخدامه في الشرح المجمل، فذهبنا مباشرة الى المعنى الذي انتقناه.

هكذا رحنا نقدم الكلمة في معناها، مجردة، ثم نقدّمها في جملتها، اذا لزم الأمر، ونعمد، بعد شرح جميع كلمات البيت، الى اعطاء المعنى العام له وربطه بما سبقه وبما أتى بعده. وعند الضرورة الفنية، كنا نجمع، في الشرح الاجمالي، معاني غير بيت واحد. واذا وجدنا فائدة في تقديم شرح اضافي أو تعليق ذي أهمية، أوردنا ذلك في الهامش.

٤ - ظروف الشرح وصعوباته

لقد اعتمدنا، للشرح والتقديم، معاجم اللغة وكتب الأدب والحضارة. وكان مرجعنا الأول « لسان العرب ». فهو من اغنى المعاجم وأوفاهها وأكثرها استقصاءً للمعاني اللغوية والملاحم الحضارية، مدعومة بالشواهد والسند الصحيح. وقد تبين لنا أن معظم المعاجم التي جاءت بعده أخذت الكثير عنه، وإن لم تُفَضِّ إفاضته. ولا شك في أن بعضها حاول استدراك ما نقص منه، أو ما قصر عنه جهد مؤلفه، فكنا

نفيد من ذلك، وإن تجشمتنا مشقة الانتقال والبحث، لأن التقاء المعنى المناسب الذي يُزيل اللبس ويجلو الغموض كان ينسينا الجهد والتعب. والواقع أن التعب والمشقة لم يحملهما الانتقال بين المعاجم والكتب وحده، بل كان لهما أسبابٌ نوجزها فيما يلي :

أ — طبيعة اللغة العربية : ففيها تتعدد المعاني للكلمة الواحدة تعدداً كبيراً، كما تتناقض وتتباعد، على حسب مناسبات استعمالها. وفي اللغة العربية عدد كبير من الكلمات الاضداد، أي التي تدل على المعنى وضده. ^(١) فاقترضى هذا منا توقفاً طويلاً عند بعض الكلمات، نقلّب ما نقع عليه من معاني لها، نوازن بينها، نخوص الى اعماقها ونبحث عما وراء المعنى الظاهر، الى أن نهتدي الى المدلول المناسب. ولم يكن عروة يستخدم كلماته كلها بالمعنى الأكثر شيوعاً، وهذا طبيعي لدى من يحيا أغرب حياة في أقسى ظروف طبيعية.

ب — طبيعة المعاجم الموسوعية، وخصوصاً « لسان العرب ». فالغنى المتوافر فيها، والاحاطة المقصودة بجميع دلالات الكلمة، كل ذلك يزيد، بلا شك، امكان الوصول الى المعنى الصحيح. لكنه، في الآن نفسه، يزيد من صعوبة البحث ويوقّع في الحيرة ويستهلك الوقت الطويل في التدقيق، حين يستوفي شرح الكلمة صفحات عديدة، بل عشرات الصفحات، وغالباً ما يستوفي !

ج — طبيعة شعر عروة التي تحدثنا عنها في لغته وخروجه على وحدة البيت وهيكلية القصيدة وفي التزامه وحدة الهدف في المقطوعة. لقد كان هذا العنصر

(١) من الأمثلة على ذلك جملة « بلغت دار الحفاظ قرارها. » فالحفاظ تعني المحافظة والمنع. وتعني الحفيظة والغضب. والقرار تعني الهدوء وتعني الموقف يتخذ. وقد اقتضانا الأمر الرجوع الى المناسبة، واقامة موازنة دقيقة للوصول الى شرح مقبول. راجع ص ١٧٠.

الأخير عاملٌ ضبط يساعد على اختيار المعنى الذي يخدم الهدف، ويسمحُ بإجراء التعديل المستقًى من الروايات المختلفة، حيناً، وإجراء التقديم والتأخير على بعض الأبيات ليستقيم المعنى العام، انطلاقاً من هذا المبدأ : « التواصل والتكامل في مقطوعات عروة ».

الا أن تجاوز وحدة البيت الشعري جعل عروة لا يتحاشى التضمين، فكان يتابع فكرته، أو صورته، في غير بيت، وأحياناً في أكثر من بيتين. والصعوبة هنا تكمن في أن المعنى الذي يُستكمل خلال بيتين أو ثلاثة، يتخللها بعضُ الجمل المعترضة والصفات التي يمكنُ نسبتها الى غير موصوف واحد^(١)، كل ذلك يدعو الى التفكير ملياً قبل اختيار مدلول الكلمة وتحديد موضعها من الترتيب الكلي. فالمعاني المتعددة، والمتعارضة، للكلمة الواحدة تجعل غير معنى واحد صالحاً لتفسير هذه الكلمة، ولكن كل معنى يجنح بالشرح في وجهة خاصة... ولا شك في أن النقلات التي يستخدمها عروة من اسلوب التكلم الى الخطاب أو الغائب، وكلها تعني المتكلم أحياناً، تخلق بعض اللبس اذا تتابعت خلال أبيات تتناول معنى واحداً.

(١) للتدليل على ذلك نذكر البيتين التاليين يصف بهما عروة طريقاً وعرأ في الصحراء :

وغبراء مخشّي رداها، مخوفة، أخوها بأسباب المنايا مُغرّر
قطعت، بها شكُّ الخلاج، ولم أقلّ لخيابة هيابة : كيف تأمر ؟

فشك الخلاج ليس مفعولاً به لقطعت وإنما بها شك الخلاج « صفة أخرى للغبراء. ولو أردنا إعادة ترتيب البيتين لكانا كما يلي : وغبراء، مخشي رداها، مخوفة بها شك الخلاج، وأخوها بأسباب المنايا مغرّر، قطعتها ولم أقلّ لخيابة هيابة : كيف تأمر ؟

النجاة

لقد عشنا مع عروة رديحاً من الزمن، وبذلنا ما أمكننا من جهد ووقت لفهمه والتغلغل في نفسه واستيعاب المشكلات التي اعترضت طريقه والاهداف التي أخذ على عاتقه تحقيقها. وحاولنا اعطاء الشرح وضوحاً وتناسقاً وتكاملاً تجعل من عروة، هذا الفارس، الصعلوك، الأمير، قريباً الى الفهم، كما هو قريب الى النفس... عسى أن نكون قد وُفّقنا الى تقديم خدمة للمعرفة. والله وليّ التوفيق.

سعدي ضناوي

طرابلس — لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمْرُو بْنُ الْوَرْدِ

حرف الباء

١ - يلحق بالخيرات مَنْ كان أهلها

(البحر الطويل)

يبدو أن عروة يقوم، في هذه القصيدة، بتصفية حساب بينه وبين جماعات من قبيلته عبس : يتهم بني ناشب بالتخاذل وبالتهرب من حمل المسؤولية الجماعية، ويلوم بني عوذ على تركهم سفهاءهم يتناولونه باللسنة السوء، ويدعوهم الى ردّهم عنه أو يكون للحرب الكلمة الفصل : بها يقاسي بنو عوذ الجهد والشدة، وبنتيجتها تعلم عبس من هو الشريف الموفور الكرامة.

١ - أيا راكباً، إمّا عَرَضْتُ قَبْلُغْنُ بني ناشب، عني، وَمَنْ يَتَشَبُّ

يا راكباً : لا يقصد بالنداء راكباً بعينه، انما هي صيغة في الخطاب يستحضر بها الشاعر الجاهلي، عادةً، اشخاصاً من خياله لإسماع نجواه أو نقل انفعالاته. فالراكب الذي يناديه غير موجود فعلاً، ولم يكن يراه أمامه، إن هو الا صورة غامضة لراكب، يتخذها عروة مطيةً تحمل مقولته.

إمّا : بمعنى إذا ما. (١)

(١) إمّا : مركبة من [إن] حرف شرط و [ما] حرف زائد. فعل الشرط هو « عرضت » وجواب الشرط هو فعل « بَلَّغْنِ ».

عَرَضَتْ : أتيت العَروض وهي : مكة والمدينة وما حولها^(١)، وفيها كانت بعض منازل عيس.

بني ناشب : قبيلة من عيس. وتَنَشَّب : انتسب الى بني ناشب أو تشبه بهم.

يريد الشاعر، في هذا البيت، ايصال رسالة الى بني ناشب أجمعين : الأصيل منهم والمنتسب بالولاء، أو من يريد التشبه بهم. وهو يكلف نقل الرسالة أي راكب يتوجه الى مكة والمدينة، حيث منازلهم... أما مضمون الرسالة فيحمله البيت التالي.

٢ - أَكُلُّكُمْ مُخْتَارُ دَارٍ يَحُلُّهَا وَتَارِكُ هَذِمٍ لَيْسَ عَنْهَا مُذْنَبٌ ؟

الدار : البلد، المنزل، ودار القوم : كل موضع حلُّوا به^(٢).

هَذِم : ج هَذِمَ : الدم المهدور أو جمع هَذِمَ : الشيخ الذي انحطم^(٣)
المذنب : من يُحْمَلُ الذنب. وتَذْنَبَ على فلان : تجنّى وتجَرَّم^(٤). ليس عنها مُذْنَبٌ : ليس من يُحْمَلُ الذنب سواها.

* يأخذ عروة على بني ناشب تخاذلهم عن نُصرة قومهم وتهربهم من تحمُّل ذنوب الجماعة. فهم ينسلخون عن القبيلة واحداً بعد آخر، كلُّ منهم يختار منزلاً له، بعيداً، يحلُّ به. فلا يبقى الا الشيوخ والعجائز

(١) لسان العرب ج ٧ ص ١٧٣ وأساس البلاغة، مادة [عَرَضَ]. وعن الهمداني :

العروض، بلاد اليمامة والبحرين وما والاها. وفيها نجد وغور، لقربها من البحر، وانخفاض مواضع منها ومسائل اودية. والعروض يجمع ذلك كله. » (الدكتور عبد

الوهاب عزام - مهد العرب - ص ٣٦).

(٢) لسان العرب ج ٤ ص ٢٩٨، مادة [دَر] .

(٣) لسان العرب ج ١٢ ص ٦٠٤ و ٦٠٥، وأساس البلاغة مادة [هَذِمَ].

(٤) تاج العروس مادة [ذنب].

يواجهون بالذنوب فيهدر دُمهم، إذ لا مُدافع عنهم. وتجدر الإشارة الى أن الذنب، في عالم الجاهلية، لا يتحمّله صاحبُ الجريمة، بل تحمله جماعته بأسرها، وأنّ بعض الذنوب موروثة وتشكل عداوةً تقليديةً بين قبيلةٍ وأخرى.

٣ - وَأَبْلَغُ بَنِي عَوْذِ بْنِ زَيْدٍ رِسَالَةً بِآيَةٍ مَا إِنَّ يَقْصِبُونِي يَكْذِبُوا :

بنو عوذ بن زيد : بطن من عبس (ونرى في البيت الأخير أن عروة يدعو القبيلة الأم، « عبس » الى أن تكون الحكم بينه وبينهم).

الآية : العلامة

يقصبوني : يشتموني. قَصَبَهُ : شَتَمَهُ وَعَابَهُ وَوَقَعَ فِيهِ^(١)، أَوْ قَطَعَهُ بِاللُّومِ^(٢)
(من القَصَبِ بمعنى القطع)

* وهذه رسالة أخرى يوجهها عروة الى بني عوذ بن زيد الذين يفترون عليه الأكاذيب ليعيبوه ويشتموه (يأتي مضمون الرسالة في البيتين التاليين).

٤ - فَإِنْ شِئْتُمْ، عَنِّي، نَهَيْتُمْ سَفِيهَكُمْ وَقَالَ لَهُ ذُو حِلْمِكُمْ : أَيْنَ تَذْهَبُ؟

السفيه : الجاهل، الخفيف العقل، الطائش (من السَفَاةِ والسَّفَاهَةِ : خفة الحِلْمِ، الطيش، نقيض الحِلْمِ)
الحِلْم : العقل والأناة.

* إن موقف بني عوذ غامض : هم لا يُناصبونه العداء صراحةً، وهم لا يقفون الى جانبه برذع سفائهم عنه. وعروة لا يحتملُ هذا الموقف المُلتبس

(١) لسان العرب ج ١ ص ٦٧٧ مادة [قصب].

(٢) أسامس البلاغة مادة [قصب].

فُريد أن يجلوّه بوضع بني عوذٍ أمامَ خيارين لا ثالثَ لهما : إما أن يعرفوا
قُدْرَه وكذِبَ ما يذهب اليه السفهاءُ منهم فينبري ذورَ الحلم لهم ينهونهم
عن الاساءةِ اليه ويسألونهم : ماذا تقصدون والى ماذا تهدفون ؟

٥ - وَإِنْ شِئْتُمْ حَارِثُتُونِي إِلَى مَدَى فَيَجْهَدُكُمْ شَأْوُ الْكِظَاطِ الْمُغْرَبُ

مدى : مدى الشيء : ما بينه وبين غايته، ومنه قولهم : هو مني مدى
البصر، أي هو حيث يناله بَصَرِي... ثم كثر ذلك حتى قيل للغاية :
مدى^(١). فالمدى : هو الغاية والقَدْر^(٢).

يَجْهَدُكُمْ : من جَهَدَ : أتعب. جَهَدْتُ فلاناً : بلغتُ مشقته وأجهدته على
أن يفعل كذا...

الشَأْوُ : الشوط، السَبَقُ، المدى، الغاية، الأمد...

المُغْرَبُ : البعيد. والشَأْوُ المُغْرَبُ : الغاية البعيدة المنال

الْكِظَاطُ : الشدة والتعب، طول الملازمة على الشدة... الكِظَاطُ في
الحرب : الضيق عند المعركة، المضايقة والملازمة في مضيق المعركة.

* يتابع عروة رسالته الى بني عوذ : اذا لم يلتزموا الخيار الأول تكون
نيأتهم قد انكشفت ويغدو موقفُ السفهاء موقفَ الجماعة بأسرها. حينها
يكون الخيار الثاني محتوماً، وهذا الخيار هو الحرب. لكن الحرب، اذا
قامت بينه وبينهم، ستكون طويلة المدى، دون غايتها الأهوال. معها
سيعرف بنو عوذ مشقةً تفوق ما يستطيعون تحمُّله، وسيُعانون منها الضيقَ
والشدة.

(١) العسكري - الفروق اللغوية - ص ٢٤٢.

(٢) لسان العرب، ج ١٥ ص ٢٧٣. مادة [مدى].

٦ - قَلِحْتُ بِالْخَيْرَاتِ مَنْ كَانَ أَهْلَهَا وَتَعْلَمُ عَبَسُ : رَأْسُ مَنْ يَتَصَوَّبُ

الْخَيْرَاتِ : جمع خَيْرَةٍ، وهي الفاضلة من كل شيء. ويقصد بها هنا : الشرف والمكارم.

يَتَصَوَّبُ : يُنْكَسُ. من التصوَّب : وهو الانحدار. والتصويب : خلاف التصعيد.. صَوَّبَ رَأْسَهُ : خَفَضَهُ.

* يعرض عروة أخيراً تصوّره لنهاية الصراع، إذا نَشَبَ بينه وبين بني عوذ : سَيُثْبِتُ ذو الشرف، وصاحبُ الحق الذي اعتاد المكارم (ويقصد نفسه) فيرفع رأسه بفخر. وسيخسر الكاذبُ المُفْتَرِي (ويقصد بني عوذ) فينْكَسُ رأسه بِدَلَّةٍ.

٢ - الورد بن مالك يخسر أمجاده

(بحر الرمل)

يدافع عروة عن والده ذاكراً أنه لا مأخذ عليه سوى أنه تزوج في بني نهد. لكن هذا الزواج كان غلطة العُمر.

١ - لا تَلُمْ شَيْخِي، فَمَا أَذْرِي بِهِ غَيْرَ أَنَّ شَارَكَ نَهْدًا فِي التَّسَبُّ

لا تلم شيخِي : الشيخ، هنا، هو الورد والد عروة. ولعل الخطاب موجّه إلى من يصوّر الوردَ شَوْماً على عبس بسبب دوره في إشعال حرب داحس والغبراء^(١).

فَمَا أَذْرِي بِهِ : فَمَا أَذْرِي بِهِ مِنْ عِلَّةٍ.

(١) راجع المقدمة ص ٢٧.

نَهْد : قبيلة والدَة عُرْوَة، وهي من قبائل اليمن^(١). ويبدو من حديث الشاعر عنها^(٢)، أنها لم تكن ذات نسب يُعتدُّ به.

٢ - كَانَ فِي قَيْسٍ حَسِيًّا مَاجِدًا فَأُثِّتَ نَهْدٌ عَلَى ذَاكَ الْحَسَبِ

قيس : هو قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. اليه ينتسب القيسيون. وقد ترأست قيس العصبية المضرية أو العدنانية لعرب الشمال خلال حقب طويلة فُعرفت هذه العصبية بالقيسية. (وذلك مقابل اليمنية التي هي عصبية عرب الجنوب).

« من الواضح أن العصبية القيسية هي التي تتحدث بلسان عروة : فوالده لا لومَ عليه اذا راهن حذيفة، لأنه، بانتسابه الى عبس القيسية، ذو نسب يُعتدُّ به. وهو، في عبسٍ ذو حسب وصاحبٌ أمجاد. أما خطؤه الذي لا يُغتفر فهو زواجه في بني نهد المنتمين الى اليمنية : اذ يكفي انتمائهم لتجريدهم من كل مكرمة في عين القيسيين، وتكفي مصاهرة الورد لهم ليفقد هذا كل شرفٍ له وكل مجد.

-
- (١) نَسَب « نهد » هو : نهد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة (العقد الفريد ج ٣ ص ٣٧٥) ويذهب بعض النسابين الى أن قضاة هو ابن معد بن عدنان، وأن معداً كان يُكنى « أبا قضاة » (تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٢٣) فتكون قضاة، في الأصل، من عدنان وتنتمي الى عرب الشمال. لكنها، حين تيامنت الى حنير بن سبأ (المرجع السابق) واختارت العيش مع عرب الجنوب، انتمت فعلاً الى العصبية اليمنية. هذا، ويقول المسعودي ان بني قضاة يرفضون الانتماء الى معد بن عدنان ويدعون الانساب الى مالك بن حنير بن سبأ (مروج الذهب ج ٢ ص ٨٣).
- (٢) راجع قصيدته الدالية : ما بي من عارٍ... ص ١١٣.

٣ - أسماء العبسية وليلى الهلالية

(البحر الطويل)

سبى عروة امرأة من بني عامر بن صعصعة يقال لها ليلي بنت شعواء، فمكثت عنده زماناً الى أن احتالت للوصول الى أهلها. ثم إن بني عامر أخذوا امرأة من عبس يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم يوماً حتى استنقذها أهلها. وحين بلغ عروة فخر عامر بن الطفيل بأخذ أسماء العبسية قال يُذَكِّرُهُ أخذه ليلي الهلالية :^(١)

١ - إِنْ تَأْخُذُوا أَسْمَاءَ مَوْقِفَ سَاعَةٍ فَمَا تَأْخُذُ لَيْلَى، وَهِيَ عَذْرَاءٌ، أَعْجَبُ

مَوْقِفَ : اسم مكان وزمان من وَقَفَ، ويدل على مدة الوقوف. وموقف الساعة : هو اليوم الذي بقيت فيه أسماء أسيرة. وقد عبّر الشاعر عن اليوم بالساعة ت قليلاً من شأنه.

مأخذ : مصدر ميمي من أَخَذَ. ومن معانيها : أَسَرَ^(٢). فالمأخذ هو الأسر. العذراء : البكر، لم يمسه رجل. أعجب : من العُجب، وهو الزهو

« يردّ عروة على ابن الطفيل فخره نافياً أيّ داعٍ له. فما كَسَبَهُ بنو عامر من أسر أسماء، التي بقيت عندهم يوماً أو بعض يوم، أمرٌ لا يدعو الى الزهو، بعكس أسر عروة ليلي. ولبيان قيمة عمله يُقيم عروة مقارنةً بين الانثيين : أسماء امرأة من عبس، متزوجة في بني سُكَيْن، فهي ليست عذراء. أما ليلي فبكرٌ لم يمسه رجل. والمعروف أن الرجال يشتدون

(١) انظر الاغانى ج ٣ ص ٧٨.

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٤٧٣ مادة [أخذ].

عادةً في حماية عذارى القبيلة، حفاظاً على بكرتهن. وتأكيّد عروة عذرية ليلي هو للتشفي من بني عامر.

٢ - لِبْسُنَا زَمَانًا حُسْنَهَا وَشَبَابُهَا وَرُدَّتْ إِلَى شَعْوَاءَ، وَالرَّأْسُ أَشْيَبُ

لبسنا : من لباس الرجل : امرأته. وقال تعالى في النساء : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(١). ذكر الزّجاج في تفسيره : تعانقونهن ويعانقنكم. والعرب تسمي المرأة : لباساً وإزاراً. فإذا قيل : لبستُ امرأةً عني : تمتعتُ بها زماناً.^(٢)

شعواء : والدّة ليلي، يقصد بها قومها.

* يتابع عروة المقارنة بين أسماء ويلي، على صعيد مدة أسْرِ كلٍ منهما. فبينما كانت مدة أسْرِ أسماء ساعة (أو ساعات) فإن ليلي أسّرت وهي شابةٌ حسناء، وحين أُعيدت إلى أهلها كان الشيب قد دبَّ إلى رأسها. وفيما بين أسْرِها وإعادتها كان عروة يتمتع بحُسْنِها وشبابها.

* ولعبة الوقت التي يلعبها هنا ذات دلالة : فسُرعة انقضاء أسماء دليل على حَمِيّة عبس ورفضها السكوت على الضيم، وهي دليل أيضاً على البأس والقدرة. أما بقاء ليلي في الأسر عمراً بكامله فدليل على تخاذل بني عامر وقلة نجدتهم، ودليل كذلك على ضعفهم.

٣ - كَمَا أَحْدَنَا حَسَنَاءَ كُرْهًا، وَدَمَعُهَا، غَدَاةَ اللَّوَى، مَغْصُوبَةً، يَتَصَبَّبُ

اللوى : مُنْقَطِع الرمل. ويقصد به الموضع الذي تم فيه الأسر.

* هذه الصورة للأسيرة الحسناء، ساعة اقتيدت، مغلوبةً على أمرها تبكي

(١) القرآن الكريم سورة : البقرة الآية : ١٨٦.

(٢) لسان العرب مادة [لبس].

بعين هَتُون، استدركها عروة، زيادة في النكاية والتجريح. اذ لا يخفى ما في هذه الصورة من طَعْنٍ في رجولة قومها الذين لم يُحرِّكْهم ذُلُّها فلم يخفوا لنجدتها، أو لم يَجْرؤوا على ذلك..

٤ - مذهب الصعلكة

(البحر الطويل)

حاول عروة، في مطلع هذه المقطوعة، أن يحدّد الحافز على التصعلك، فاذا هو : الفقر وتخلّي الأهل. ثم عمد الى تحديد مبادئ الصعلكة وهي : رفض استبداد الاقرباء، والضرب في الارض بحثاً عن الرزق. ثم حاول عروة ان يغيّر الصورة المرتسمة في الأذهان عن الصعلوك من أنه الفقير الخامل، ليتجلّى في صورة السيّد : هو نجدة للاخوان يحميهم من الموت، وهو حافظ للجار من أن تُذلّه الأيام، وهو عفيف يَغُضُّ بَصَرَهُ اذا انكشف البيت عن جارته...

١ - إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْعَثْ سَوَاماً وَلَمْ يَرِخْ عَلَيْهِ، وَلَمْ تُعْطِفْ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ،

السَّوَامُ : كُلُّ مَا رَعَى مِنَ الْمَالِ فِي الْفُلُوتِ، إِذَا تُحْلِيَ وَسْوَمُهُ يَرعى حيث يشاء. ^(١) (السَّوْمُ : الرّعي)

بَعَثَ : (البعير) : حَلَّ عِقَالَهُ فَأَرْسَلَهُ. (وبعث : أرسل)
أراح عليه : (الحق) رَدَّه عليه. وَرَوَّاحُ الْإِبِلِ : أَنْ تَأْوِي، بعد غروب

(١) لسان العرب ج ١٢ ص ٣١١ مادة [سوم].

الشمس، الى مُراحها الذي تبيت فيه. ويُقال : أرحتُ الإبل، إذا رددتها الى المراح^(١)

* اذا لم يكن للمرء إبل (مال) يتركها تسرح، نهاراً، في الفلوات، ترعى حيث تشاء، ثم تُردُّ، مساءً، الى مُراحها، فهو مُعَدَم. ^(٢) فإذا تخلّى عنه أهله، ولم يجد عندهم عَوْضاً عما أصابه الدهر به، فلا مفرّ له من حياة الفقر.

٢ — فَلَلَمَوْتُ خَيْرٌ لِّلْفَتَى مِنْ حَيَاتِهِ فَقِيراً، وَمِنْ مَوْلَى تَدْبُ عَقَارِبُهُ

المولى : يذكر ابن منظور عن أبي الهيثم أن المولى تعني : ابن العم والعم والاخ والابن والعصبات كلهم^(٣). فهي ترمز إذا الى الأهل الأقربين.
العقارب : المنن، والعقارب : التمام. ومنها المثل : دبّت عقاربُه أي تمّ واقترض أعراض الناس. فديب العقارب يرمز الى التنكّر وإساءة المعاملة، والمنّة.

* يتابع الشاعر استثمار المقدمات التي عرضها في البيت الأول : اذا حكّم الدهر على الفتى بالفقر، واذا لم يجد هذا الفتى من أهله العون، وانما وجد الكيد له وسوء المعاملة، والمنّة، حينها يكون أمام أحد أمرين : الأول أن يقبل هذه الحياة الذليلة، والموت أشرف له من ذلك. والأمر الثاني لا يذكره عروة وانما يُضمّره ويدل عليه البيت التالي. أما مضمونه فهو : أن يرفض هذا الواقع المخزي. ويضرب في الأرض متصعلكاً.

(١) لسان العرب، ج ٢ ص ٤٦٥ مادة [روح].

(٢) المصدر السابق وفيه أن العرب تقول لمن لا يملك شيئاً : « ما له سارحة ولا رائحة ».

(٣) المصدر السابق ج ١٥ ص ٤٠٨ مادة [ولي].

٣ - وسائلية : أين الرحيل ؟ وسائل ، وَمَنْ يَسْأَلِ الصُّعْلُوكَ أَيْنَ مَذَاهِبُهُ ؟
المذاهب : ج مَذْهَبٌ : المكان الذي يُذْهَبُ إليه، المقصد.

* وكأن عروة يتابع المعنى المضمر المُشار إليه، ويرد على السائلين :
في أية أرض يضرب المتصعلك، وأين يذهب ؟ والجواب أن السؤال لا
يُطرح على الصعلوك، فمن اعتنق الصعلكة لا يعرف موطناً ولا يجد له
مُستقراً.

٤ - مَذَاهِبُهُ : أَنَّ الْفِجَاجَ عَرِيضَةٌ، إِذَا ضَنَّ عَنْهُ، بِالْفَعَالِ، أَقَارِبُهُ^(١)
المَذْهَبُ : هنا المُعتَقَد الذي يُذْهَبُ إليه، وقد تعني الأصل^(٢).
الْفِجَاجُ : ج الفَجَّ وهو الطريق الواسع في الجبل، أو هو كل طريق بَعْدَ.
ضَنَّ عَنْهُ : (ويصبح ضَنَّ عليه) أمسك

* إذا حبسَ الأهل عن الفردِ ما يقدِّمه الأهل عادةً لأبنائهم من حسن
المعاملة والإكرام، اختار التصعلك بديلاً عنهم، وذلك، إما لإيمانه بأن أرضَ
الله الواسعة تُغنيه عنهم، وأنَّ فيها متسعاً من الرزق للجميع، وإما لأنه يجد
فيها أصلاً بديلاً عن أصله في أهله. (ولعله يشير من طرف خفي الى
الرابطة التي تجمع الصعاليك الضارين في الآفاق).

(١) ان تشديد عروة على ربط ظاهرة الصعلكة بتخلي الأهل، أمر ملفت للنظر، وهو تعبير
عن احساس دفين لديه، فيه الكثير من المرارة.

(٢) لسان العرب ج ١ ص ٣٩٤ مادة [ذهب] ويقال : ما يُدرى له أين مَذْهَبٌ ولا يُدرى
له ما مَذْهَبٌ أي لا يُدرى أين أصله.

٥ - فَلَا تُتْرَكُ الْإِخْوَانُ، مَا عَشِثُ، لِلرَّدَى كَمَا أَنَّهُ لَا يَشْرُكُ الْمَاءُ شَارِبُهُ

الردى : الهلاك

شاربُهُ : المقصود هو العطشان.

* يريد عروة أن يؤكد صلابة الرابطة التي تنشأ بين الصعاليك (مقابل التخلي الذي يلقونه من أهلهم) فيعلن أن من تربطه بهم رابطة الأخوة (في الصعلكة) لهم عليه حق أن يُنجدهم ويساعدتهم إذا حاق بهم الخطر. وللدلالة على قوة هذه العلاقة يشبّـهها بعلاقة الشارب (العطشان) بالماء : يتمسك به ولا يتخلى عنه. ولهذا التشبيه بُعِدَ نفسي يُدركُهُ جيّداً من ذاق عطش الصحراء.

٦ - وَلَا يُسْتَضَامُ، الدَّهْرُ، جَارِي وَلَا أَرَى كَمَنْ بَاتَ تَسْرِي، لِلصَّدِيقِ، عَقَارِبُهُ

يُستضام : يُظلم

الجار : من يُجاوِرُ قوماً، أي يتحرّمُ بجوارهم، فيكونُ له عليهم حُرمةٌ نزولِهِ في حِمَاهِم.

* يصف عروة نفسه بالنجدة والوفاء. فهو لا يَسْمَعُ بأن ينال جاره ظلمٌ، طالما هو على قيد الحياة، ولا يدعُ صديقَهُ يَسْمَعُ منه مِنَّةً، أو عن لسانه نيممة وقدحاً. وكأنه يذهب الى أن الصعلوك المثالي لا يقل عن السيّد المثالي.

٧ - وَإِنْ جَارَتِي أَلُوْثُ رِيَاخُ بَيْتِهَا، نَعَاقَلْتُ، حَتَّى يَسْتُرَ الْبَيْتَ جَانِبُهُ

ألوت به : ذهبت به

البيت : (في العجز) صاحبة البيت

الجانب : الناحية، الفناء

* أخيراً يصف عروة نفسه بالعفة ؛ وآيتها أنه يَغْضُ الطرفَ عن جارته،

إذا حملت الرياحُ بيثها، الى أن يحجبها الفناء (أو جانب البيت) عن أنظاره.

٥ — ملحق بحرف الباء

(الطويل)

وجدنا بيتاً مفرداً، على قافية الباء، منسوبا الى عروة في « ديوان المعاني »، وقد ورد تحت عنوان « أبلغ ما قيل في الجبن ».^(١)
وأشجع، قلَّ أدركتهم فوجدتهم يخافون خطف الطير من كل جانب
الأشجع من الرجال : الذي كأن به جنوناً.^(٢) ولعل المقصود هو
الاضطراب الناجم عن الخوف والمتجلي في عدم الاستقرار (أما الأشجع
المقصود فقد يكون الشاعر)
الخطف : سرعة أخذ الشيء. ومَرَّ يخطف خطفاً : مرَّ مرّاً سريعاً.^(٣)
وخطف الطير : طيرانه المفاجيء السريع.

* المعنى لا يمكن توضيحه الا بمعرفة ما قبله وما بعده، وهذا بعيد
المنال. ولعل المقصود أن الشاعر، وهو خائف مضطرب، أدرك هؤلاء القوم
فوجدتهم أكثر منه خوفاً وهلعاً، يجفلهم مرَّ الطير السريع قربهم؛ فإذا ما
تطاير من كل جانب باتوا في حالة من الهلع والاضطراب تشبه الجنون.

(١) راجع ديوان المعاني ج ١ ص ١٩٥.

(٢) لسان العرب ج ١ ص ١٧٣ مادة [شجع].

(٣) اللسان ج ٩ ص ٧٥ مادة [خطف].

(البسيط)

ينسب ابنُ منظور البيت التالي الى عروة، في معرض استشهاده
على معنى كلمة « المقاضيب »^(١).

— لَسْتُ لِمُرَّةٍ، إِنَّ لَمْ أُوفِ مَرْقَبَةً، يَدُو لِي الْحَرْثُ مِنْهَا وَالْمَقَاضِيبُ

مُرَّةٌ : أبو قبيلة من قيس عيلان هو : مُرَّة بن عوف بن سعد بن قيس عيلان.
أُوفِي : أبلغ.

مَرْقَبَةٌ : موضع مشرف يرتفع عليه الرقيب، المَنْظَرَةُ في رأس جبل أو
حصن.

الْحَرْث : الزرع

المقاضيِب : جمع مقضاب ومَقْضَبَةٌ وهي أرض تنبت القَضْب، أو القَضْبَةُ.
(القَضْب : كل شجر سَبَطت أغصانه وطالت)

* بهدف القَسَم أو النذر، ينفي عروة عن نفسه نسبته الى مُرَّة، إن لم
يصل الى مرقبة في رأس الجبل، يُطلُّ منها على الأرض كلها، ما زرع منها،
وما كان مَنِيئاً للشجر البري ينمو فيه على هواه فتطول أغصانه وتنيسط.

(الطويل)

ينسب ابن منظور بيتاً آخر الى عروة على قافية الباء، في معرض
استشهاده على معنى كلمة « نظر »^(٢).

(١) لسان العرب ج ١ ص ٦٧٩ [قضب] ويذهب ابراهيم الخواجه الى ان البيت منسوب
الى عروة لأنه ليس في جردوده من يُدعى مرة ويرجح أنه لعروة بن مرة الهذلي (عروة
بن الورد ص ١٦٢).

(٢) المصدر نفسه ج ٥ ص ٢١٨ [نظر] .

— ولا أَجْعَلُ المعروفَ حَلًّا أَلِيَّةً، ولا عِدَّةً في الناظرِ المتغيِّبِ

الناظر : هنا بمعنى المنتظر . العِدَّة : الوعد.

في الناظر المتغيِّب : في حال وجود غائب يُنتظر رجوعه . والعطاء، في هذه الحال، له هدف استدرار دعاء السائل المحتاج عسى أن يشفع ذلك لردِّ الغائب^(١). أو يكون العطاء مجرد وعد أو نذر ينفذ في حال عودة الغائب.

الألَّة : اليمين والقسم.

« ان الاحسانَ عند عروة لا يكون كفارةً عن قَسَمٍ لم يفِ به، ولا استدراراً لدعاءٍ بعودة غائبٍ يُنتظر رجوعه بفارغ الصبر، انما المعروف عنده لا يرتبط بمناسبة فهو هدف لذاته.

(١) لا نزال نسمع في دعاء المستعطي الذي يستشير به كَرَم المحسنين : « يا ربِّ رُدِّ كُلُّ غريب... ».

حرف التاء

٨ - رأي ورأي البخل مُخْتَلِفٌ

(البحر الوافر)

تلوم الزوجة عروّة على عطاءٍ قدّمه لجار فقير، فيُقرّعها الشاعر ويقابل بخلها الذي يؤرّقها بكرمِ الفطري الذي يمنعه أن يشبّع بينما جارةٌ يجوع، ويحثّه على طلب الحق قبل أن يفوته زمنُ الطلب.

ويؤكّد عروّة لزوجته أن رأيّه ورأي البخلِ مفترقان، وهو يعرف أن رأيّه صائبٌ فقد اثبتت انتصاراته ذلك. ولكنه، اذا عمي عليه أمر، لا يجد، في استشارة أهل العلم، أي غضّ من كرامته.

١ - أَفِي نَابٍ مَنَحْنَاهَا فَقِيرًا كَهْ، بِطَنَابِنَا، طُنْبٌ مُصَيِّثٌ،

الناب : الناقة المسنة.

طَنَاب : ج طُنْب وهو حبل يَشُدُّ الخباء أو السُرَادِق الى الوتد. وتعني الطناب، مجازاً، ما تشتمل عليه المساحة التي تحدها هذه الحبال، من الخباء وساكنيه وعاداتهم وتقاليدهم. يُقال : ردّه الى أَطْنَاب بيته، أي الى ما اعتاده أهله^(١). وهو مُطَانِي تعني هو جاري.

(١) لسان العرب ج ١ ص ٥٦١ مادة [طنب].

مُصِيَّت : يصدر عنه صوت^(١). والطَّنْبُ الْمُصِيَّتُ : كناية عن بيتٍ تخرج منه أصوات النداء والصياح (من الجوع).

٢ - وَفَضْلَةٍ سَمْنَةٍ ذَهَبَتْ إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُ حَقِّهِ مَا لَا يَفُوتُ

الفضلة : البقية من الشيء.

حقه : هنا، حق الضيف والجار وهو حق قدّسته العرب في الجاهلية وكرّسه الاسلام.^(٢)

يفوت : من فات : ذهبَ وسَبَقَ، أو تجاوز فلم يُدْرِك. يفوت هو ما تذهب الحاجة اليه، أي يصبح خارج الاستعمال. أما « ما لا يفوت » فهو ما لا تزال الحاجة ماسةً اليه.

« إِنَّ مَا أُعْطِينَاهُ جَارَنَا الْفَقِيرَ، صَاحِبَ الْعِيَالِ الصَّارِخِينَ مِنْ أَلَمِ الْجُوعِ، مَجْرَدُ نَاقَةٍ مُسَنَّةٍ لَا قِيَمَةَ لَهَا، وَبَقِيَّةٌ مِنْ سَمْنٍ. وَهَذَا الْعَطَاءُ هُوَ مَا يُعْطَى لِلْسَائِلِ وَلَا يَشْكَلُ إِلَّا جِزْءاً يَسِيراً مِمَّا يَحِقُّ لِلْجَارِ عَلَيْنَا وَلِلضَيْفِ. أَمَّا الْجِزْءُ الْأَكْبَرُ مِنْ هَذَا الْحَقِّ فَهُوَ عَطَاءٌ مِنْ صَلْبِ مَالِنَا، مِمَّا نَخْصُ بِهِ أَنْفُسَنَا، لَا مِمَّا تَفُوتُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ وَيُهْمَلُ.

٣ - تَيْيْتُ عَلَى الْمُرَافِقِ أُمٌّ وَهَبٍ، وَقَدْ نَامَ الْعَيُونُ، لَهَا كَيْيْتُ؟

تَيْيْتُ : تمضي الليل. « وَقَالَ الزَّجَّاجُ : كُلُّ مَنْ أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ فَقَدْ بَاتَ، نَامَ أَوْ لَمْ يَنَمْ. »^(٣)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٧، [صوت] وصَوَّت : نادى وصاح. ويقال : صَوَّت : إذا صَوَّت بِإِنْسَانٍ فَدَعَاهُ.

(٢) لسان العرب ج ١٠ ص ٥١ [حقق] وقد جاء فيه الحديث : « أَيُّمَا رَجُلٍ ضَافَ قَوْمًا

فَأَصْبَحَ مُحْرُومًا، فَإِنَّ نَصْرَهُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حَتَّى يَأْخُذَ قَرْيَ لَيْلَتِهِ مِنْ زَرْعِهِ وَمَالِهِ ».

(٣) لسان العرب ج ٢ ص ١٦ مادة [بيت].

العيون : العيون الساهرة ، المراقبون.

كَنَيْت : صوت الغليان ؛ والكَنَيْت : صوت في صدر الرجل يشبه صوت
البكارة (ذكور الإبل) من شدة الغيظ

« يتساءل عروة مستغرباً ومعنفاً : لأجل العطاء المذكور، الذي كُنّا فيه
مُقَصِّرِينَ عن حق الجار، ثَبِيتُ أُمُّ وَهْب (زوجته) أَرْقَةً لا تستطيع أن تأوي
إلى فراشها من شدة حَنَقِهَا، فتَقْضِي ليلها واضعةً رأسها بين كَفَئِهَا، مستندةً
على مِرْفَقِهَا، وللغَيْظِ في صدرها هدير ؟؟

٤ - فَإِنْ حَمَيْتَنَا، أَبَدًا، حَرَامٌ، وَلَيْسَ لِجَارِ مَنْزِلِنَا حَمِيثٌ

الْحَمِيث : وعاء السمن

« كَأَنَّ عُرْوَةَ يَسْتَأْنِفُ شَرْحَ مَوْقِفِهِ مِنَ الْجَارِ وَحَقِّهِ الَّذِي يُوْجِبُ لَهُ
مِشَارَكَةَ كَامِلَةٍ فِي مَالِهِ : أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ اعْطَاءَ الْجَارِ فَضْلَاتٍ مِنْ سَمْنِهِ، بَلْ هُوَ
يَحْرَمُ السَّمْنَ عَلَى نَفْسِهِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ جَارِهِ سَمْنٌ^(١).

٥ - وَرُبَّتْ شُبْعَةٌ آثَرَتْ فِيهَا يَدًا، جَاءَتْ تُغَيِّرُ، لَهَا هَتِيتٌ

رُبَّتْ : رُبَّ : (هنا) للتكثير بمعنى « وكم من ».

شُبْعَةٌ : مقدار ما يُشْبَعُ مرة.

آثَرَتْ فِيهَا : من آثَرَهُ عَلَيْهِ : فَضَّلَهُ وَقَدَّمَهُ، وَمِنْهَا الْإِثَارُ. وَيُقَالُ : آثَرَهُ
بِالشَّيْءِ إِذَا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ. أَمَّا آثَرْتُ فِيهَا : فِيمَا أَنْ يَكُونَ

(١) يوضح هذا الموقف قول بشر بن المغيرة :

وَكُلُّهُمْ قَدْ نَالَ شُبْعًا لِيَطْنَهُ
وَشُبْعُ الْفَتَى لَوْمٌ، إِذَا جَاعَ صَاحِبُهُ

لسان العرب ج ٨ ص ١٧١ [شُبْع].

استخدم « في » بدلاً من « الباء » لإقامة وزن الشعر، وإما أن يكون قصده « أثرت في أمرها » أي أقمت مفاضلة في أمرها بين نفسي وصاحب اليد الممدودة، ففضّلته.

هتيت : من رجل مُهِتَ وهَتَات، أي خفيف، مهذار، كثير الكلام، ويَدُّ لها هتيتٌ : كناية عن السائل الذي مَدَّ يده طلباً للعطاء، ولسانه يَلَجُّ في الطلب. يُغِير : بمعنى يستغير (أي يطلب الخير). وتأتي بمعنى يدخل الى طعام القوم بلا دعوة.^(١)

• يصعدُ عروة هنا حرارة وفائه بحقّ الجار، فينقلُ موقفه من المشاركة والمناصفة الى الإيثار. فهو، اذا لم يكن لديه ما يشبع اثنين، ولم يملك الا ما يشبعه وحده، ولمرة واحدة، فإنه يُؤثّر سائلاً بشبعته هذه، اذا كان السائلُ جائعاً وجاءه مستنجداً.

٦ - يَقُولُ : الْحَقُّ مَطْلَبُهُ جَمِيلٌ وَقَدْ طَلَبُوا إِلَيْكَ، فَلَمْ يَقْبِضُوا الْحَقَّ : هنا، ما يجب أدائه، من حَقِّ الأمر، يحقُّ : وَجِب. فالحق كناية عن الواجب.^(٢)

طلبوا اليك : من طلب اليّ بمعنى : رغب. ويُقال : طَلَبَ اليّ فأطلبته أي أسعفته بما طلب

أَقَاتَ (الشيء) وأقَات عليه : أطاقه فهو مُقَات. ومن أسماء الله تعالى : الْمُقَات : هو الحفيظ وقيل : المقتدر.^(٣)

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٣٦ [غور] وفي الحديث : « من دَخَلَ الى طعامٍ لم يُدْعِ اليه، دخل سارقاً وخرج مغيراً ».

(٢) وجاء في الحديث : « ليلة الضيف حقٌّ. فمن أصبحَ بِفَنائه ضيفٌ فهو عليه دين. » ويقول ابن منظور معلقاً : « جعلها حقاً من طريق المعروف والمروءة » المصدر السابق ج ١٠ ص ٥١ [حقق].

(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٥ [قوت].

• كَأَنِّي بِعُرْوَةٍ يُنْقَلُ إِلَيْنَا مَا يَقُولُهُ صَاحِبُ الْيَدِ الْمَمْدُودَةِ وَالْفَمِ الْجَائِعِ الْمَهْذَارِ : إِنَّ إدْرَاكَ الْحَقِّ وَالْقِيَامَ بِوَاجِبِ الْمَرْوَةِ وَالْمَعْرُوفِ أَمْرٌ جَمِيلٌ لَكِنَّهُ عَسِيرٌ شَاقٌّ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ كُلُّ إِنْسَانٍ، وَإِنْ كَثِيرِينَ اسْتَهْدَفُوا عُرْوَةَ أَنْ يَجَارَوْهُ فِي ذَلِكَ، لَكِنَّهُمْ مَا أَطَاقُوهُ.

٧ - فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا آخِي، وَأَنْتَ حُرٌّ، سَتَشَبَعُ، فِي حَيَاتِكَ، أَوْ تَمُوتُ

• يرد عُرْوَةُ عَلَى رُوحِ الْإِنْهَزَامِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي حَدِيثِ طَالِبِ الْمَعْرُوفِ وَيَقُولُ : عَلَيْكَ التَّصَرُّفُ كَالسَّيِّدِ الْحُرِّ، لَا الْعَبْدِ التَّابِعِ. وَالسَّيِّدُ يَأْخُذُ وَلَا يَطْلُبُ، فِيمَا يُدْرِكُ الْغَنَى، وَالشَّبَعُ مَعَهُ، وَإِمَّا يُعِينُهُ الْمَوْتُ الشَّرِيفُ. (وَهَذَا النَّمْطُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ يَسْتَخْدِمُهُ عُرْوَةُ، عَادَةً، مَعَ صَعَالِيكِهِ).

٨ - إِذَا مَا فَاتَنِي لَمْ أَسْتَقِلَّهُ، حَيَاتِي، وَالْمَلَائِمُ لَا تُفَوْتُ

فاتني : قَصُرْتُ عَنْهُ وَلَمْ أَدْرِكْهُ. وَمَا يَفُوتُهُ هُوَ طَلَبُ الْحَقِّ أَيْ آدَاءُ الْمَعْرُوفِ.

لَمْ أَسْتَقِلَّهُ : مِنْ اسْتِقَالٍ : طَلَبِ الْإِقَالَةِ وَهِيَ الصَّفْحُ (عَنْ الذَّنْبِ) وَنَسْيَانِهِ^(١). لَمْ أَسْتَقِلَّهُ : يَعْنِي لَا أَغْفِرُ لِنَفْسِي هَذِهِ الْعَثْرَةَ. الْمَلَائِمُ : وَالْمَلَاوِمُ : ج مَلَامَةٌ وَهِيَ الْأَمْرُ يُلَامُ عَلَيْهِ. لَا تُفَوْتُ : لَا تَتَجَاوِزُنِي وَلَا تَذْهَبُ عَنِّي بَلْ تَلَازِمُنِي.

• إِذَا قَصُرْتُ فِي طَلَبِ الْحَقِّ (آدَاءِ وَاجِبِ الْمَعْرُوفِ وَالْمَرْوَةِ) وَلَمْ أَدْرِكْهُ، أَرْنَكِبْتُ عَثْرَةً لَا أَغْفِرُهَا لِنَفْسِي وَلَا أَنْسَاهَا مَدَى حَيَاتِي، بَيْنَمَا اللَّوْمُ يُدْرِكُنِي فَلَا يُقْصِرُ عَنِّي وَلَا يَتَجَاوِزُنِي (كَأَنَّهُ يَقَابِلُ مَوْقِفَ زَوْجَتِهِ بِوَجْهَةٍ نَظَرِهِ).

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٥٨٠ [قيل] .

٩ - وَقَدْ عَلِمْتُ سَلِمَى أَنَّ رَأْيِي وَرَأْيَ الْبُخْلِ مُخْتَلِفٌ شَتِيتٌ

رأي البخل : رأي البخيل في موضوع البخل.

شتيت : متباعد.

* يعود عروة الى موقف زوجته يستغربه منها وهي التي تعرف أن رأيه في البخل يختلف تماماً عن رأي البخيل، ويتعد عنه فلا يتقاربان أبداً.

١٠ - وَأَلْيَ لَا يُرِينِي الْبُخْلَ رَأْيِي، سَوَاءٌ إِنْ عَطِشْتُ وَإِنْ رَوَيْتُ

* ورأيه في البخل رأي ملتزم، فما من ظرف، مهما قسا، يمكن أن يزین له اعتناق البخل. إنه يرفضه اذا جاع كما يرفضه وهو شبعان، يرفضه اذا عطش كما يرفضه وقد ارتوى.

١١ - وَأَلْيَ، حِينَ تُشْتَجِرُ الْعَوَالِي، حَوَالِي اللَّبِّ، ذُو رَأْيٍ، زَمِيْتُ

تُشْتَجِرُ : تتداخل وتتشابك، وتشتجر العوالي : تتشابك الرماح^(١) وذلك كناية عن احتدام المعركة في الحرب.

حوالي : مخففة من حوالي وهو الرجل الجيد الرأي، ذو الحيلة. وحوالي اللب : ذو عقل واسع الحيلة.

ذو رأي : يحسن تقدير الأمور واتخاذ المواقف.

زَمِيْتُ : رزین، متزن، قليل الانفعال ؛^(٢)

* بعد ذكر موقفه من البخل وتشدده في الرأي ضده، يحاول عروة اثبات أن رأيه المتطرف هذا ليس رأي انسان احمق قليل البصر، بل هو

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٣٩٦ [شجر].

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥ [زمت].

لإنسان يحسن التصرف وقت الشدة، ذي عقلٍ واسعٍ الحيلة وذي رأيٍ صائب، وهو رزين متزن.

١٢- وَأَكْفَى، مَا عَلِمْتُ، بِفَضْلِ عِلْمٍ، وَأَسْأَلُ ذَا الْبَيَانِ، إِذَا عَمِيتُ

أَكْفَى : من كفاه الأمر : تولاه عنه وقام به.
ذَا الْبَيَانِ : العارف بالأمر القادر على إيضاحه (مِنْ بَانَ : اتضح)
عَمِيتُ : جهلت

* يعطي عروة برهاناً آخر على اعتدال رأيه، وبُعده عن الغرور والتصلب : فهو يعتمد هذا الرأي في الأمور التي تقع في حدود معرفته، لكنه لا يحسُّ غضاضة إذا استشار أهل العلم والمعرفة في الأمور التي تخفى عليه.

حرف الحاء

٩ — تَرَوْحُوا، تَنَالُوا الْغَنَى أَوْ تَجِدُوا رَاحَةً فِي الْمَوْتِ*

(البحر الطويل)

تتابعت على سعد سنواتٌ جَهِدَ النَّاسُ فِيهَا جَهْدًا شَدِيدًا. وكانت غطفان من احسن سعد فيها حالا. وفي بعض تلك السنين، كان عروة غائباً، فرجع مُخَفَّفًا قد هلكت ابله وخيله وجاء قومُه بحالٍ شديدة، فوجدهم في حظيرة قد حَظَرُوا على انفسهم لَمَّا اعوزتهم المكاسبُ وقالوا : نموت فيها جوعاً خيراً من أن تأكلنا الذئاب. فأتاهم عروة ونزع عنهم كنيفهم وقال : اخرجوا، وهذه قُلُوصِي فَقَدُّدُوا لِحَمَّهَا، واحملوا أسلحتكم على هذه القلوص الأخرى حتى أصيبَ لكم ما تعيشون به أو أموت. فخرج، وهم معه.^(١) قال عروة يذكر شدة أهل الكنيف وَمَنْ بِمَاوَانَ، وتَذَبَّه اياهم حتى خرجوا معه، وقيامُهُ بأمرهم حتى صَلُّحُوا :

(١) راجع تفاصيل اوفي ص ٣٧ من المقدمة.

* في الأغاني قصة مخالفة. يقول الاصفهاني: « خرج عروة وأصحابه، حتى أتى ماوان. فنزل أصحابه وكنف عليهم كنيفاً من الشجر، وهم أصحاب الكنيف. » (ج ٣ ص ٨٢) والكنيف هو الساتر (معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ١٤٢ [كنف]).

١ — أَقُولُ^(١) لِقَوْمٍ، فِي الْكَنِيفِ: تَرَوْحُوا، عَشِيَّةَ يَتْنَا، عِنْدَ مَاوَانَ، رُزْحٍ: ^(٢)

الكنيف : حظيرة من خشب أو شجر تُتخذ للإبل وللغنم تقيها الريح والبرد. وقد اتخذها جماعة عروة لهم للغرض نفسه.

تَرَوْحُوا : سيروا في الرواح. والمقصود : سيروا لساعتكم، لأن وقت الحديث هو العشي، وقد يكون المقصود السير المطلق دون ربطه بوقت العشي لأنه يقال : تَرَوْحُوا بمعنى سيروا^(٣).

رُزْح : نعت لقوم وهو من رَزَحَ : سقط من الإعياء هزالاً، أو ضَعُفَ وذهب ما في يده، أو ضَعُفَ ولصق بالأرض فلم يكن به نهوض. (أقول لقومٍ رُزْحٍ في الكنيف : تَرَوْحُوا)

ماوان : وادٍ فيه ماء بين النقرة والرَبْذة.

* حين أمسينا في وادي ماوان، وجدت القوم يسقطون من الإعياء والهزال وقد أقاموا حظيرة أووا إليها (وسلموا فيها أنفسهم للأقدار). فقلت لهم : (دعوا الاستسلام)، هَبُوا، من ساعتكم راحلين (في طلب الرزق).

٢ — ثَنَالُوا الْغَنَى، أَوْ ثَبُلُغُوا بِنَفْسِكُمْ إِلَى مُسْتَرَاكِ مِنْ حِمَامٍ^(٤) مُبَرَّحٍ

مُستراح : مَخْرَج، الراحة ومكان الاستراحة وزمان الاستراحة. ومُستراح من حِمَام : مخرج من الموت أو استراحة يأتي بها الموت. مُبَرَّح : شديد، شاق.

(١) وردت « قلت » في الديوان، والتصحيح من الأغاني (ج ٣ ص ٨٢).

(٢) في الأغاني « عَشِيَّةَ قَلْنَا حَوْلَ مَاوَانَ رُزْحٍ » (ج ٣ ص ٨٢).

(٣) لسان العرب ج ٢ ص ٤٦٤ [روح].

(٤) في امالي القاضي : من عَنَاءٍ (ج ٢ ص ٢٣٤).

« المعنى الظاهر : « ان مسيركم يقودكم الى الغنى أو الى الموت وفيه راحة مضمونة ». ولكن وصفه الموت بالمبرح يجعلنا نستبعد استحضاره ليحمل الراحة. ورأينا هو التالي : « ان مسيركم يقودكم الى الغنى. وان لم يفعل فهو يخرجكم من حظيرة الموت التي حبستم فيها انفسكم فيريحكم من انتظاره ومعاناة شدته وآلامه. »

٣ - وَمَنْ يَكُ مِثْلِي ذَا عِيَالٍ وَمُقْتِرًا مِنْ الْمَالِ، يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحٍ.

مُقْتِرًا : من أَقْتَرَ : ضاقَ عيشه، ومُقْتِرًا من المال : من قَلَّ ماله وافتقر. يَطْرَحُ : يرمي ويقال : طَرَحَ به الدهرُ كُلَّ مَطْرَحٍ، اذا نَأَى عن أهله^(١). وطرح نفسه كل مَطْرَحٍ : بَعُدَ بها عن أهله.

* انني، اذ أدعوكم للمسير، فإنما أدعوكم لتفعلوا فعلي، لأن من كان مثلي قليل المال، كثير العيال، لا بد له من أن يطرح نفسه، كما أطرَحُ، في كل اتجاه وفي كل مكان بعيد، سعياً وراء الرزق (بدلاً من أن يبيع في مكانه يائساً متكاسلاً).

٤ - لِيُبَلِّغْ عُذْرًا، أَوْ يُصِيبَ رَغِيَّةً،^(٢) وَمُبْلِغٌ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحٍ.

العُذْرُ : الحُجَّةُ يقدمها المذنب. ويبلغ عُذْرًا : يقيم حُجَّةً على أنه فعل ما بوسعهِ.

مُبْلِغٌ نفس عُذْرَهَا : من يُخرجها من الاحساس بالذنب ومن تهمة التقصير الرغبة : ما يُرْغَب فيه من ثواب عظيم أو عطاء كثير أو غنم كبير... مُنْجِحٌ : ذو النُجْح وهو الظَّفَرُ بالشيء.

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٥٢٦ [طرح].

(٢) في الأغاني [غنيمه] (ج ٣ ص ٨٢).

* ان الدعوة الى السعي حافزها واجب الانسان نحو نفسه وعياله، ونتيجتها أن يغنم ما يسعى اليه أو لا يوفق في مسعاه فيُعذر لأنه لم يأل جهداً في سبيل ذلك. وكأن عروة يضع قاعدة لتقدير العمل اساسها الجهد المبذول لا النتائج التي يؤدي اليها. وبذلك يتساوى، في نظره، من غنم ومن لم يغنم اذا استحق أن يُعذر.

٥ - لَعَلَّكُمْ أَنْ تَصْلُحُوا بَعْدَ مَا أَرَى ثَبَاتِ الْعِضَاهِ الثَّائِبِ الْمُتَرَوِّحِ

العضاه : كل شجر له شوك^(١)

الثائب : الراجع (من تاب : رجع) والمقصود : العائد الى حاله المعروفة.
تروّح الشجر : تفضّر بالورق قبل الشتاء، من غير مطر^(٢) (وذلك حين يبرد الليل)

• يتمنى لهم، اذا سمعوا نصيحته، أن تصلح حالهم سريعاً، كما يعود العضاه، أحياناً، الى نضارته ويتفتق بالورق، قبل أوانه.

٦ - يَتَوَوَّنَ بِالْأَيْدِي، وَأَفْضَلُ زَادِهِمْ بَقِيَّةُ لَحْمٍ مِنْ جَزُورٍ مُمْلَحٍ^(٣)

ناء بحمله : نهض بجهد ومشقة، نهض مُثْقَلًا. وناء به الحمل : أثقل عليه.
ينوؤون بالأيدي : تثقل عليهم أيديهم فلا يرفعونها إلا بجهد.

(١) الثعالبى - فقه اللغة ص ١٤.

(٢) لسان العرب مادة [روح] . ج ٢ ص ٤٦٦.

(٣) وضع هذا البيت هنا غير طبيعي فهو يتابع وصف اصحاب الكنيف الذين ذكروهم في البيت الأول، والنقلة من الخطاب في البيت الخامس الى ضمير الغائب في هذا البيت، لا مسوّغ لها. وقد وجدنا بيتاً منسوباً الى عروة في «لسان العرب» مادة [ملح] يوافقه في العجز ويخالفه في الصدر وهو :

أَقْمَنَا بِهَا حَيًّا، وَأَكْثَرُ زَادِنَا بَقِيَّةُ لَحْمٍ مِنْ جَزُورٍ مُمْلَحٍ =

جَزُور : ناقة مذبوحة.

مُمَلَّح : (نعت للجزور) من المَلَح : السِّمَن القليل. والجزور المُمَلَّح : الناقة التي سمنت قليلاً.

• يعود، اذ يتحدث عن حالهم التي يتمنى لها أن تصلح، الى وصف هذه الحال وما هم عليه من الجهد والأعباء حتى لتثقل عليهم ايديهم فلا يرفعونها الا بمشقة، وما هم عليه من فقدان الطعام حتى ليعدوا قطعة لحم من ناقة قليلة السمن أفضل زاد يحصلون عليه.

١٠ — جود في الغنى وعفة في الفقر

(البحر الوافر)

١ — إذا آداك^(١) مالك، فامتهنه لَجَادِيه ؛ وَإِنْ قَرَعَ المَرَاخُ،

آداك : أعانك. اذا آداك مالك : اذا توافر عندك المال فأعانك على العطاء امتنه : ابتذله، لا تشبث به.

الجادى : طالب الجدوى وهي العطية. فالجادى هو المستعطي.

= والأرجح لدينا أن يكون بيت عروة على هذه الصورة وموقعه في القصيدة موقع البيت الثاني، فيؤكد حينها مناسبة القصيدة ويكون معنى البيتين الأول والثاني : أننا، عشية وصلنا الى ماوان، ووجدنا القوم يكادون يسقطون هزالاً وأعباء وقد كنفوا على انفسهم، نحرت لهم ناقتي القليلة السمن، ثم أقمنا فترة معظم طعامنا من بقايا لحمها، وقلت لهم : دعوا التخاذل وسيروا...

(١) في الديوان « آذاك » بدلاً من « آداك » والتصحيح عن ابن منظور الذي أورد البيت منسوباً الى عروة بن أذينة. (لسان العرب ج ٨ ص ٢٦٨ مادة [قرع]) وعن امالي القالي (ج ٣ — ذيل، ص ٥٨).

قَرَعَ : خلا (ومنه قَرَعَ الرأس اذا خلا من الشعر)
المُراح : الموضع تأوي اليه الإبل في المساء وتبيت فيه . ويقال : قَرَعَ
مأوى المال، ومُراحه، من المال، اذا هلكت ماشيته فخلا .

٢ - وَإِنْ أُخْنِيَ عَلَيْكَ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَتَبَّتْ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ الْقَرَاخُ

أُخْنِيَ عَلَيْكَ : أي أُخْنِيَ الدهر عليك : مال عليك وأهلكك .
لم تجده : أي لم تجد المال .
الْقَرَاخ : الماء الذي لا يخالطه شيء، وهو ايضاً الماء الذي يُشرب إثر
الطعام .

• ومعنى البيتين : اذا توافر عندك المال فمكّنك من العطاء، ابتذله
للمستعطي . وان هلكت ماشيتك فخلا منها المراح، ومال عليك الدهر
بمصائبه فأفقرك، وطلبت المال فلم تجده، فعليك بنبت الأرض تقوّت به،
وبالماء الصافي اشربه بعده (وأنت موفور الكرامة) .

٣ - فَرَّغُمُ الْعَيْشِ إِلْفَ فَنَاءٍ قَوْمٍ، وَإِنْ آسَوْكَ، وَالْمَوْتُ الرِّوَاخُ

الرَّغْمُ : الاكراه والذل . ورغم العيش : ذل العيش أو العيش الذليل .
إِلْفٌ : اعتيادٌ .

الفناء : سعة بجانب الدار . وفناء الدار : ما امتدّ من جوانبها . وإلف الفناء :
اعتياد العيش الى جانب دار قومٍ لتقديم خدماتٍ لهم ونيلٍ ما يجودون به،
وهذا عملٌ كان يمتنه بعض الصعاليك .

آسوك : خففوا من مصيبتك بكلامٍ لطيف .

الرِّوَاخ : الراحة . يقال : ما لفلان من رِواحٍ أي من راحة .

• أما ارتياد اطراف البيوت، ولو أحسن أهلها معاملتك، فهو الذل، كل
الذل . وان لم تستطع منه بديلاً، ففي الموت راحة لك .

١١ - المال مهابة والفقر مذلة

(الكامل)

في حين كانت سلمى، زوجة عروة، تأخذ عليه كثرة غزواته وتحثه على الاستقرار، كانت ثماضر تنعى عليه القعود وتدعوه الى المخاطرة لأجل الغنى، وتقول : انّ الفقر ذلّ والمال عزّ. (١)

١ - قالت ثماضر، إذ رأث مالي خوى، وجفاً الاقارب، فالفؤاد قريح :

خوى : خلا. وخوى مالي : تلاشى. والمال، في الادب الجاهلي، غالباً ما يعني الأبل.

جفا : تجنّب، نبا، وتباعد.

قريح : جريح، متألم.

* حين تلاشى مالي، وتجنّبي الأقارب فبات القلب جريحاً متألماً، قالت لي ثماضر :

(١) يذهب ابراهيم شحاده الخواجه الى أن هذه الأبيات، على الأرجح، منسوبة خطأ الى عروة لأن مضمونها يخالف ما يدعو اليه عروة في معظم قصائده من ضرورة الحركة وكسب الرزق، وأن من عادة زوجته أن تلومه على المغامرة والاسفار لا على القعود والاستكانة. (انظر « عروة بن الورد » ص ١٥٥) والذي يزيد من قوة هذا الرأي أن ثماضر هذه لم يأت ذكرها في نساء عروة. ومع ذلك أثبتنا المقطوعة لأن احتمال نسبتها الى عروة غير بعيد. فقد يكون ثقاعس في فترة من حياته لأسباب نجهلها، وقد تكون له زوجة اسمها ثماضر غير زوجته السبيّتين سلمى وليلى. والقارئ لمقطوعته « للغني ربّ غفور » يجد اشارة واضحة الى أقوال ثماضر من سوء وضع الفقير بين أهله ومن احتقار اهل المجلس له وازدراء زوجته وكذلك اطفاله. (انظر ص ١٧٤).

٢ - ما لي وأنتك في الندى منكساً، وصياً، كأنك، في الندى، نطيح؟

الندى : المجلس، ما دام القوم مجتمعين فيه. ومثله النادي.

وصب : مريض، متألم.

منكس : مطأطيء الرأس (من ذل)

نطيح : رجل نطيح أي مشؤوم^(١). والنطيح من اصابه الثور بقرنه.

* ما قالته ثماضر هو التالي : لماذا أراك قانعاً بوضعك المشين، تكون بين الناس في المجلس مطأطيء الرأس ذليلاً كأنك انسان مشؤوم يتجنبه اقرانه ؟

٣ - خاطر بنفسك كئي نصيب غيمة، إن القعود، مع العيال، قبيح

* ان القعود في البيت، بين النساء والأولاد، لا يليق بالرجال. فانفض عنك غبار الكسل والخوف، وارم بنفسك الى المخاطر علك تغنم فتغنى.

٤ - المال فيه مهابة وتجلية، والفقر فيه مذلة وفضوح

التجلية : الجلالة وهي العظمة.

الفضوح : كشف المساوي.

* من يحوي المال يكسب الجلال والتعظيم والاحترام، ومن يصيبه الفقر يناله الذل، وتنكشف للناس جميع مساويه. (لأن الناس يغفرون للغني ما لا يغفرونه للفقير).

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٦٢١ [نطح].

١٢ — اذا اجديت، يحلو العطاء

(البسيط)

١ — هَلَّا سَأَلْتُ بَنِي عَيْلَانَ كُلَّهُمْ، عِنْدَ السَّنِينَ، إِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ

بَنِي عَيْلَانَ : بَنِي قَيْسِ عَيْلَانَ : هِيَ الْقَبِيلَةُ الْأُمُّ الَّتِي يَنْتَمِي إِلَيْهَا الْعَبْسِيُّونَ وَمُعْظَمُ قَبَائِلِ عَرَبِ الشَّامِ.

السَّنِينَ : جَمْعُ « السَّنَةِ » وَهِيَ سَنَةُ الْقَحْطِ وَالْجَدْبِ.
إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ : فِي سَنَةِ الْجَدْبِ تَهْبُ الرِّيحُ بَارِدَةً، يَأْتِي بِرَدِّهَا عَلَى مَا أَبْقَاهُ الْجَدْبُ مِنْ إِنْسَانٍ وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ. فِي أَيَّامِ الْجَدْبِ يَقِلُّ الزَّادُ وَيُضْنُ بِهِ صَاحِبُهُ، فَتَزْدَادُ قِيَمَةُ الْعَطَاءِ.

* فِي سَنَةِ الْجَدْبِ وَالْقَحْطِ، إِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ الْبَارِدَةُ حَامِلَةُ الْمَوْتِ، يَعْرِفُ بَنُو قَيْسِ عَيْلَانَ جَمِيعَهُمْ أَنَّنَا لَا نَأْكُلُ زَادَنَا، وَحَدَّنَا.

٢ — قَدْ حَانَ قَدْحُ عِيَالِ الْحَيِّ إِذْ^(١) شَبِعُوا وَآخَرَ لِذَوِي الْجِيرَانِ مَمْنُوحُ

الْقَدْحُ : وَهُوَ أَيْضاً الزَّمُّ (جَمْعُهَا أَزْلَامٌ) : السَّهْمُ لَا رِيشَ عَلَيْهِ وَلَا نَصْلَ لَهُ، يُسْتَخْدَمُ فِي مَعْرِفَةِ الْحِظِّ وَفِي الْمَيْسَرِ وَفِي تَقْسِيمِ أَجْزَاءِ الْجُزُورِ (النَّاقَةُ الْمَذْبُوحَةُ) عَلَى الْمَشْتَرَكِينَ فِي ثَمَنِهَا. لِذَا هُوَ يَعْنِي « النَّصِيبُ » مِنْهَا وَ« الْحَصَّة ».

(١) اذ : تدل على ما مضى وسبق من الزمان. لكن الشيع هنا ليس سابقاً في الزمن لخروج القدح، وإنما يليه مباشرة وبصورة سريعة. وهذا ما جعل الشاعر يدغم الزمنين: زمن خروج القدح وزمن حصول الشيع حتى كأنهما زمن واحد. فالمعنى : ما إن خرج القدح حتى أكل العيال وشبعوا. (راجع، في معنى قريب، لسان العرب مادة [اذذ] ج ٣ ص ٤٧٧).

ممنوح : من مَنَح : أعطى، وهب.

* ان في زادنا حصّة لعيال الحي تُخرج لهم فيشبعون، وحصّة أخرى تُمنح للجيران.

قافية الدال

١٣ — ثعالب في الحرب وأشد في السلام

(الطويل)

سبق لعروة أن عدّ مأخذاً أوحّد على والده زواجه في بني نهد.
وعروة يُقرّ هنا أن ما فيه من أصل نهدي هو العار الوحيد الذي
أصابه. ذاك ان بني نهد جبناء في الحرب، وأشد حين تنفرج
الشدة.

١ — ما بي من عار إخال عِلْمُهُ سوى أن أخوالي، إذا تُسيوا، نهْد
إخال : أظن.

نهد^(١) : من بني نهد، وهم قبيلة والدِ عروة.

* ان العار الوحيد، الذي أظنه يلحق بي، هو أنني، حين انتسب الى
الأخوال، انتمي الى نهد.

٢ — إذا ما أردت المجد قصّر مجدهم، فأغيا علي أن يُقارِبني مجد
قصّر مجدهم : قصّر عن أن يرفدني.

(١) راجع ص ٢٩ وص ٤٧ وص ٨٦.

* من عادة العرب أن تفخر بالنسب. واكتمال النسب هو شرف
الجدين : والد الأب ووالد الأم، فيقال عمن يجتمع له ذلك : مُعِمَّ مُحُول.
والمكتفي بجدي واحد هو كطائر يطير بجناح بدلاً من اثنين. وهذا بالضبط
هو احساس عروة : ان كل ما يقوم به ويفعله يقوده الى المجد، وهو
واصل اليه حتماً لو لم يكن في نسبه هذه الصلة النهدية التي لا يمكن لها
أن تحلق معه، فتشده وتقصّر به فينأى عن المجد ويتعد.

٣ - قَيَّا لَيْتَهُمْ لَمْ يَضْرِبُوا فِي ضَرْبَةٍ، وَأَنْتَي عَبْدٌ فِيهِمْ، وَأَبِي عَبْدٌ

* يتمنى لو لم يكن لبني نهد أية مشاركة في تكوين شخصيته، وأن علاقته بهم
كانت علاقة أخرى، غير علاقة النسب، أيّاً كانت تلك العلاقة. إنه يرتضي أن يكون
فيهم عبداً، وأن يكون أبوه أيضاً عبداً لديهم، بدلاً من أن يصهر اليهم. (فعلاقة
العبودية تزول، والعبد يتحرر، ولكن كيف التحرر من صلة النسب ؟)

٤ - ثَعَالِبُ فِي الْحَرْبِ الْعَوَانِ، فَإِنْ بُحَّ وَتَفَرَّجَ الْجُلَى، فَهُمْ الْأُسْدُ

الحرب العوان : الحرب المترددة التي دارت مرة وتعود لتدور مرة أخرى.
والعرب يتشاءمون بها نظراً لما قاسوه من الحروب الطويلة المترددة.
باخت الحرب : خمدت وسكن أوارها.
الجلّى : الأمر العظيم، وهنا بمعنى الشدة.

* من الواضح أن عروة ينعت بني نهد بالمرأوخة والجبن : فهم يُحسنون
التهرب اذا اشتدت الحرب، بينما يدعون القوة والعنفوان اذا ما زالت
الشدة.

١٤ — بِالْفَعَالِ يَسُودُ

(الكامل)

قيل ان عروة بلغه عن رجل من بني كنانة بن خزيمة أنه من أبخل الناس وأكثرهم مالاً. فبث عليه عيوناً فأثوه بخبره، فشذ على إبله فاستاقها ثم قسمها في قومه. فقال عند ذلك، محدداً موقفه من الشراء :

١ — مَا بِالشَّرَاءِ يَسُودُ كُلُّ مُسَوِّدٍ مُثَرٍّ، وَلَكِنْ، بِالْفَعَالِ، يَسُودُ

الفعال : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه.

« رأي عروة أن الثري يمكن له أن يصبح سيّداً، لكن ذلك لا يتأتى له بمجرد امتلاك المال، وإنما باستخدام ماله في الكرم وحسن الفعل.

٢ — بَلْ لَا أَكْثَرُ صَاحِبِي، فِي يُسْرِهِ، وَأَصْدُّ، إِذْ فِي عَيْشِهِ تُصْرِيْدُ

أكثر صاحبي : لعل المقصود : أكثره في الزيارات فأزوره أكثر مما يزورني.

أصد : أجفوه وأنقطع عنه.

العيش : المطعم والمشرب وما به تكون الحياة^(١)، وقد ترمز الى العطاء والنفع، في مثل : «أنت مرة عيش ومرة جيش. أي تنفع مرة وتضر أخرى. »^(٢) فالعيش هنا بمعنى العطاء والمنفعة.
تصريد : قلة. والتصريد في العطاء : تقليله.

(١) لسان العرب ج ٦ ص ٣٢٢ [عيش].

(٢) المصدر نفسه.

« أنا لا أكثر التردد على صاحبي حين يكون ميسور الحال فاذا أُعسرَ
وقلَّ عطاؤه انقطعت عنه.

٣ - فاذا غَنِيْتُ، فإنَّ جاري، ثِيْلُهُ مِنْ نائِلِي، ومُيسَّرِي مَعْهُوْدُ

ثِيْلُهُ : ما يناله ويحصل عليه.

النائِل : العطاء.

المُيسَّر : من فعل : يَسِّرُهُ : سهَّلَ له ووسَّعَ عليه. فالميسَّر : هو التوفيق
والوسعة.

المعهود : الذي عُهد وعُرف.

« يقابل عروة سلوكه مع الآخرين في حالي غناهم وفقرهم، بسلوكه
معهم في حالي عُسرِهِ ويُسرِهِ : اذا غَنِيْتُ غنيَّ معي جاري، وكان له في كلِّ
ما أحصل عليه عطاء وحصة. فتصرفي في حال التوفيق والوسعة، معروف
من الجميع.

٤ - وإذا افتقرْتُ، فَلَنْ أَرى مُتَخَشِّعاً لِأُخِي غِنًى مَعْرُوفُهُ مَكْدُودُ

تَخَشَّعَ : رمى ببصره نحو الأرض وَغَضَّه وَخَفَضَ صَوْتَهُ، أي وقف وقفة
الخشوع والتذلل.

مكدود : (وكديد) من كَدَّ : أَلَحَّ في السَّوَال. ويقال : بئر كدود : لا
يُنال ماؤها الا بجهد ؛ وناقية كدود ورجل كدود : لا يُنال دُرُّها وخيرُها الا
بعد عسر. ^(١)

ومعروفه مكدود : لا يُنال الا بجهد، بعد عسر والحاح في السَّوَال.

« أنا في فقري أبَيَّ : اذا افتقرت لا أقف أبداً وقفة الذل والخضوع أمام
غني شحيح لم يعتد العطاء الا بعد لأيٍ والحاح في السَّوَال.

(١) اساس البلاغة [كدد].

١٥ - جزى اللهُ خيراً أبا مالك

(الطويل)

كان مالك بن حمار الفزاري قد تلقى عروة وجماعته الذين أخرجهم من الكنيف، فأحسن استقبالهم وتَّخَّرَ لهم. ^(١) وحين نزل عروة وقومه في بني زبَّان أظهر شريك الزبَّاني ضيقه بهم ورغبته في رحيلهم.

يقابل عروة هذين الحداث مسجلاً تقديره لمالك ومعبراً لشريك عن انفته وابائه.

١ - جَزَى اللهُ خَيْراً، كُلَّمَا ذُكِرَ اسْمُهُ، أَبَا مَالِكٍ، إِنَّ ذَلِكَ الْحَيَّ أَصْعَدُوا،

إِنَّ : هنا بمعنى إذ ^(٢)، وليست بمعنى الشرط. فهي تفسر سبب الدعاء وتربطه بإصعاد الحي وما تبعه من تصرف مالك.

الحي : يقصد به الجماعة التي قادها عروة. والحي من أحياء العرب يقع على بني أبٍ كثروا، أم قلوا.

أصعدوا : ساروا في الأرض، وأصعدوا : قصدوا جهات نجد والحجاز واليمن ^(٣)

* يدعو عروة لأبي مالك بالخير، دعوة دائمة متروكة بقدر ما يتردد ذكر اسمه، بسبب ما فعله ابنه لجماعة عروة من أقاربه الذين هربوا من الموت جوعاً وساروا في الأرض (فتلقاهم مالك وأكرمهم).

(١) راجع مناسبة القصيدة الحائية ص ٢٦.

(٢) لسان العرب ج ١٣ ص ٣٥ [انن].

(٣) لسان العرب ج ٣ ص ٢٥٣ [صعد] وفيها « يكون الناس في مباديهم (أماكن إقامتهم في البادية) فإذا يس البقل ودخل الحر أخذوا إلى حاضرتهم. فمن أم القبيلة فهو مُصعد، ومن أم العراق فهو مُنحدر. »

٢ - وَزَوَّدَ خَيْرًا مَالِكًا، إِنَّ مَالِكًا لَهُ رَدَّةٌ^(١) فِينَا، إِذَا الْقَوْمُ زُهَّدَ،

الرَّدَّةُ فِيهِمْ : العطفة عليهم، والرغبة فيهم والاهتمام بهم.

إِذَا : بمعنى إِذْ أَي فِي حِينٍ...

الْقَوْمُ : الجماعة من الرجال. وقد يقصد بها رجال العشيرة على الإطلاق.
زُهَّدَ : زُهَادٌ، جمع زَاهِدٍ وهي مثل زَاهِدٍ ومُزْهِدٍ : الذي يُزْهِدُ فِي مَالِهِ لِقَلَّتِهِ.

* هو يدعو الله أن يجعل الخير زاداً لمالك لأن مالكا كان له عطفة عليهم واهتمام بهم حين كان الجذب شديداً وقومه مُقْلِينَ مُزْهِدِينَ.

٣ - فَهَلْ^(٢) يَطْرَبُنْ فِي إِثْرِكُمْ مَنْ تَرَكْتُمْ إِذَا قَامَ يَغْلُوهُ حِلَالٌ فَيَقْعُدُ ؟

يَطْرَبُنْ : يَتَشَوَّقُ (من الطَّرَب : الشوق)^(٣). وَيَطْرَبُنْ فِي إِثْرِكُمْ : يَتَشَوَّقُ إِلَى مَا يَرْجُوهُ مِنْكُمْ.

حِلَالٌ : بمعنى انحلال (من حَلَّ : ضد شد) وانحلت قواه : تراخت.

* يخاطب مرافقيه متحدثاً عن اخوانهم الذين تركوهم في الكنيف، وهم في قلة وعسر، متسائلاً : أَلَا يَأْمَلُونَ بِمَا وَعَدْتُمُوهُمْ بِهِ وَيَتَشَوَّقُونَ إِلَى ذَلِكَ وَهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ إِعْيَاءٍ : إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ لِأَمْرٍ، غَلِبَ عَلَيْهِ الضَّعْفُ وَالْإِنْحِلَالُ فَتَقَعْدُ ؟ وَلَعَلَّ الْإِسْتِفْهَامَ لَيْسَ هُوَ الْمَقْصُودُ، بَلِ التَّأْكِيدُ. (و « هل » تأتي بمعنى بل، وبمعنى قد...) .

(١) وردت « رَدَّة » في الديوان. والتصحيح عن لسان العرب.

(٢) وردت « فَهَلْ » في الديوان. والتصحيح عن شعراء النصرانية ص ٩٠٧.

(٣) لسان العرب ج ١ ص ٥٥٧ [طرب].

٤ - ثَوَلَىٰ بَنُو زَبَّانَ عَنَّا بِفَضْلِهِمْ، وَوَدَّ شَرِيكَ لَوْ نَسِيرُ، فَتَبَعَهُ
ثَوَلَىٰ عَنَّا : أَعْرَضَ عَنَّا.

* قطع عنا بنو زبّان ما سبق من عطائهم واحسانهم، وصار قربنا منهم
ثقيلاً عليهم، حتى تمنى شريك أن نرحل عنهم ونبتعد (لينفرد وقومه بالمال
والخيرات).

٥ - لِيَهْنِيءَ شَرِيكاً وَطَبْءُ وَلِقَاحُهُ، وَذُو الْعُسِّ، بَعْدَ النَّوْمَةِ، الْمُتَبَرِّدُ
الوطب : سقاء اللبن.

اللقاح : ذوات الألبان من النوق، واحداً منها لقوح ولقحة.
ذو العسّ : صاحب القدح الضخم يروي الثلاثة أو الأربعة.
النومة : المرة من نام.
المتبرّد : الذي يطلب البرودة.

* يؤكد عروة : نحن لن نبقي بين قوم لا يريدوننا. سترحل ليخلو الجو
لشريك، ينفرد بوعاء اللبن وبنوقه التي تدر اللبن، ولصاحب القدح الضخم
(لعله يقصد به شريكاً أيضاً) يفيق بعد نومة يتبرّد بلبنه^(١).

(١) كأن عروة يقارن في هذا البيت بين شرب اللبن لحاجة الشبع والارتواء (وهو لا وقت
مميزاً له وإنما يتم عندما يتيسر الشرب) وشرب اللبن للمتعة، يُتَخَيَّرُ له أفضل
الأوقات، ساعة يُفِيقُ صاحبُ القدح من نومة، وفي حلقه جفاف، فيتناول قدحه الضخم
المليء باللبن يشربه ليتبرّد به... ونحن نحس هنا غصّة في حلق الشاعر ونستشف في
وصفه نعمة المحروم على صاحب النعمة المرفّه.

٦ - وما كان مِنَّا مَسْكِنًا، قَدْ عَلِمْتُمْ، مَدَافِعُ ذِي رَضْوَى، فَعُظْمُ، فَصَنَدُ

رَضْوَى : جبل بالمدينة^(١)

مَدَافِعُ : مجاري المياه مفردتها مَدْفَع.

عُظْمُ : ذو عُظْم : عُرض من اعراض خيبر فيه عيون جارية ونخيل غامرة.^(٢)

صَنَدُ : اسم جبل معروف.

* يعدد عروة هذه المناطق من الحجاز (ولعلها منازل بني زُبَّان)
قائلاً : من المعروف للجميع أننا لم نسكن هذه المناطق، (لذلك ليس
هناك ما يربطنا بها، فنحن نتركها غير آسفين).

٧ - لَكِنَّهَا، وَالْدَّهْرُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، بِلَادُ بِهَا الْأَجْنَاءُ وَالْمُتَّصِيْدُ،

الأجناء : جمع جَنَى : هو الكَلأ وما يُجْنى من الأرض كالكمأة، وهو أيضاً
ما يُجْنى من الشجر كالثمار. والجَنَى، كذلك، هو العسل.
الْمُتَّصِيْدُ : ما يُصَاد.

* يذكر عروة سبب نزوله في هذه المناطق، وكأنه يسوّغ وجوده غير
المرغوب فيه، فيقول : ان الدهر المتقلب بين ليلٍ ونهار، بين قلةٍ وسعة،
رمى بنا في هذه الأماكن (وكلها خصبة) فأملنا أن نجد هنا ثمرأ نجنيه أو
صيداً نرميه.

(١) عند القزويني : « رضوى : جبل بالحجاز، منيف، ذو شِعَاب وأودية يُرى من البُعد
أخضر وبه مياه وأشجار كثيرة. زعم الكيسانبة أن محمد بن الحنفية مقيم فيه... » آثار
البلاد وأخبار العباد ص ٨٨.

(٢) لسان العرب ج ١٢ ص ٤١١ [عظم].

٨ - وَقُلْتُ لِأَصْحَابِ الْكُتَيْفِ: تَرَحَّلُوا، فَلَيْسَ لَكُمْ، فِي سَاحَةِ الدَّارِ، مَقْعَدٌ

* لم يبق إلا الرحيل، قلت لأصحاب الكتيف الذين ساروا معي : اتركوا دار هؤلاء القوم، فلم يُعَدُّ لَكُمْ مكانٌ في ساحتها.

١٦ - ملحق :^(١)

(الطويل)

اِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ بَعْدَهُ، عَلَى مَجْدِهِ، غَمْرُ الْمُرْوَةِ سَيِّدٌ

غمر المروعة : صفة لسيد. والعمر : الواسع، الكثير.

* يذهب الى أن المروعة تعيش بينهم باستمرار، وإن المجد يقيم عندهم بصورة متواصلة : فسادتهم يتابع الواحد منهم مسيرة سابقه، في كسل الأمجاد وبذل المعروف.

١٧ - بوجهي شحوب الحق^(٢)

(الطويل)

لعروة، مع أخيه الكبير، تاريخ طويل حفل، أبان حياة والديهما، بتفضيل الورد ابن القيسية البكر على ابن النهدية الأصغر. ويبدو أن

(١) وجدنا هذا البيت في شرح ديوان الحماسة ينسبه المرزوقي الى عروة. فإذا صححت النسبة لا نستبعد أن يكون البيت من هذه القصيدة وأن يصف رهط مالك بأنهم اسياد تعيش المروعة بينهم. (انظر شرح المرزوقي ج ١ ص ١٢١).

(٢) ورد في الديوان الأبيات ١ و ٢ و ٤. وقد وجدنا البيتين ٣ و ٥ في ديوان المعاني (ج ١ ص ١٠٧) منسويين الى عروة ومعهما تعليق عبد الملك بن مروان الذي أورده =

هذه المعاملة تركت طابعها على علاقة الأخوين، فكان التنافس غالباً عليها. وفي تصوّرنا أن الأخ الأكبر كان يأخذ على عروة نمطَ عيشه وصعلكته وفقرته ويفخرُ عليه بالحياة المرفهة التي يحياها ؛ وقد يكون الأمرُ ذهبَ به الى لوم أخيه وشتمه ليردّعه، فكان جواب عروة : ان النحول ليس وليد الصعلكة ولكنه وليد الكرم والقيام بواجب المعروف ومشاركة الكريم الآخرين ماله وطعامه، بينما السمن لا يدلّ الا على بُخل صاحبه... وأبيات عروة التالية تحفل بالاباء وبروح العطاء المتفاني لدرجة حُقّ معها لعبد الملك بن مروان أن يقول عند سماعها : « ما وددت أن أحداً من العرب، ممن لم يلدني، ولَدني الا قائل هذه الأبيات » :

= الاصفهاني مع الابيات الثلاثة (الأغاني ج ٣ ص ٧١) ولما كان معنى البيتين يوافق معنى الابيات الثلاثة وموضوعهما يوافق موضوعها ووزنهما يوافق وزنها وقافيتهما قافيتها فقد رجح لدينا أن تكون الابيات الخمسة مقطعاً واحداً لها الترتيب الذي اعتمدناه. ثم وجدنا الأبيات الخمسة في مقطوعة واحدة منسوبة الى عروة في سمط اللّالي (ج ٢ ص ٨٢٢) ولها ترتيب مختلف هو التالي ٣ ، ٢ ، ٥ ، ١ ، ٤ وهو ينقلها عن القالي ويغالطه في نسبتها مدعياً أن البيتين ٣ و ٢ لقيس بن زهير وسائر الابيات لعروة يرد بها عليه. وفي ذلك تجنّ ظاهر على المعنى. ويذكر المبرد الابيات الاربعة التي ذكرها القالي بالترتيب التالي : ٣ ، ٥ ، ١ ، ٤ وينسبها الى رجل من عبس وجهها الى عروة (الكامل ج ١ ص ٥٧).

جاء في « شعراء النصرانية » (ص ٨٨٨) عن مناسبة هذه الأبيات أنها مما أجاب به عروة قيس بن زهير لما قال له :

أَذْنَبَ عَلَيْنَا شَتْمُ عُرْوَةَ خَالَةٍ بَغْرَةُ أَحْسَاءٍ، وَيَوْمًا يَبْدَبِدِ
رَأَيْتُكَ أَلْفًا يَبُوثَ مَعَاشِرٍ تَزَالُ يَدٌ فِي فَضْلِ قَعْبٍ وَمِرْقَدِ

ونحن لا نرى أي ارتباط بين بيتي قيس ومعاني المقطوعة. وقد رجحنا أن ابن الوردة لا يقصد به عروة ، كما أراد المبرد، بل أخوه الأكبر.

١ - إني امرؤ عافي إنائي شِرْكَهٗ وَأَنْتَ امرؤ عافي إنائك واحد

العافي : ما يبقى في أسفل القدر من مَرَق وما اختلط به. والعافي أيضاً : الضيف

عافي انائي : ضيف طعامي.

شِرْكة : اشتراك الجماعة في الشيء. والمقصود به الجماعة.

• اني امرؤ لا أتناول طعامي الا مع أضيافٍ كُثْر، وَأَنْتَ امرؤ تأْكُل طعامَكَ وحدك. فعروة يؤكد فضيلة القرى لنفسه ويصم أخاه بالبخل.

٢ - أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنْتُ وَأَنْ تَرَى، بِوَجْهِي، شَحُوبَ الْحَقِّ^(١)، وَالْحَقُّ جَاهِدٌ؟

شحوب الحق : الاصفرار الذي يصيب من يُجهد نفسه في اداء الحق، أي القيام بواجب المعروف والضيافة والعطاء لذوي الحاجة.

جاهد : مُضْنٍ. والحق جاهد : القيام بأداء الحق يضني صاحبه لأنَّ مَنْ يَحْمِلُهُ، فِي عَالَمٍ طَالَمَا قَلَّ فِيهِ الزَاد، يَفْرُضُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْوَاعَ الْحَرَمَانِ وَالْإِجْهَادِ. وَالْحَرَمَانُ يَعْنِي الْجُوعَ، بَيْنَمَا الْإِجْهَادُ يَعْنِي اسْتِنْفَادَ الْقُوَى، وَكِلَاهُمَا لهُمَا مَظْهَرٌ وَاحِدٌ : الشَّحُوبُ.

* أَتَرَى سِمَنَكَ فَيُعْجِبُكَ وَتَرَى نَحُولِي فَتَهْزَأُ بِهِ ؟ فاعلم ان نحولي يعود الى قيامي بحق القرى وواجب المعروف وتحملي الحرمان والجوع في سبيل ذلك. (أما سِمَنَكَ فيعود الى بُخْلِكَ).

٣ - فَلَا تَشْتُمْنِي، يَا ابْنَ وَرْدٍ، فَإِنِّي تَعُودُ، عَلَى مَالِي، الْحَقُوقُ الْعَوَائِدُ

ابن ورد : أخو عروة

(١) جاءت في الأغاني (ج ٣ ص ٧١) بجسمي مَسُّ الحق.

تعود عليه : تأتي عليه^(١)

العوائد : جمع العائدة. وهي ما عاد به عليك المفضل من صلة أو فضل.
(وبصورة عامة) هي المعروف والصلة يُعادُ بها على الانسان، والعطف والمنفعة^(٢)

* لا تسبني ولا تُعيرني فقري وهزالي، فإن مالي لا يستقر عندي لأن المعروف والصلات تأتي عليه وتستنفذه.

٤ — أَقْسَمُ^(٣) جِسْمِي فِي جُسُومٍ كَثِيرَةٍ، وَأَحْسُو قَرَاخَ الْمَاءِ، وَالْمَاءُ بَارِدٌ

أَقْسَمَ جِسْمِي : أَقْسَمَ الطَّعَامَ الَّذِي يَحْتَاجُهُ جِسْمِي وَيَقُومُ بِأَوْدِهِ لِيَسْتَمِرَّ.
قَرَاخَ الْمَاءِ : أَوَّلَ الْمَاءِ، وَالصَّافِي مِنْهُ. وَحَسُو الْمَاءِ الصَّافِي رَمَزٌ لِلشَّرَفِ
وَالْإِبَاءِ، لِأَنَّ الشَّرِيفَ يَشْرَبُ قَبْلَ سِوَاهُ^(٤).

وَالْمَاءُ بَارِدٌ : وَالزَّمَنُ شَتَاءً. فَهَدَفَ مِنْ ذِكْرِ الْمَاءِ الْبَارِدِ إِلَى تَحْدِيدِ الْإِطَارِ
الزَّمَنِيِّ لِلْمِبَادَرَةِ: فِي فَصْلِ الْقَرِّ وَالْقَحْطِ، وَهَذَا يَعْطِيهَا عُمَقًا: فَحِينَهَا يَقُلُّ
الزَّادُ وَيَتَشَبِّثُ النَّاسُ بِالْقَلِيلِ الْبَاقِي مِنْهُ وَيَتَرَدَّدُ الْكَثِيرُونَ قَبْلَ أَنْ يُعْطُوا.

* إِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَمَعَهُ الْبَرْدُ وَالْجَدْبُ، وَطَلَبَ النَّاسُ الطَّعَامَ فَلَمْ يَجِدُوهُ،
فَإِنَّنِي لَا أَبْخُلُ بِمَا عِنْدِي مِمَّا يَقُومُ بِأَوْدِي، بَلْ أَقْسَمُهُ بَيْنَ آخَرِينَ كَثُرَ،

(١) أساس البلاغة [عود] .

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣١٦ [عود] .

(٣) في الأغاني « أفرق » (ج ٣ ص ٧١) .

(٤) نذكر بيت عمرو بن كلثوم الشهير .

وَتَشْرَبُ، إِنَّ وَرَدْنَا الْمَاءَ، صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا
(انظر المعلقة) .

أَفْضَلُهُمْ عَلَى نَفْسِي، يُحْيِيهِمْ مَا يَمُوتُ مِنِّي وَيُنْعِشُهُمْ مَا يُذْبِلُنِي، وَأَكْتَفِي بِشَرْبِ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ، وَأَنَا شَرِيفٌ أَبِي.

٥ - وَمَنْ يُؤْثِرِ الْحَقَّ النَّوْوبَ يَكُنْ بِهِ خَصَاصَةً جِسْمٍ، وَهُوَ طَيَّانٌ مَاجِدٌ

نُؤُوبٌ : صيغة فعول من نائب (كمثل نؤوم من نائم ودؤوب من دائب...) ونائب : من ناب الى المكان اذا ذهب عنه ورجع اليه، وتناوب القوم في السفر : جعلوا لكلٍ منهم دوراً في إطعام الآخرين.
الحق النؤوب : المعروف الذي يعود مرةً بعد أخرى على المال : يأخذ منه (حتى يأتي عليه).

الخصاصة : الفقر، سوء الحال، الحاجة. والخصاصة : الجوع^(١)

به خصاصة : واهي الجسم من الجوع

طَيَّانٌ : جائع (من الطوى : الجوع)

رجل ماجد : رجل مفضل، كثير الخير، شريف.

• ان من يختار، هدفاً لحياته، الوفاء بحق المروءة والكرم الذي يعود، مرة بعد أخرى، على ماله حتى يأتي عليه، يبيت جائعاً واهي الجسم، لكنه لا يطلب من أحدٍ عطاءً، اباءً منه وترفعاً، فيبقى، وهو جائع، مفضلاً، كبير النفس، شريفاً.

(١) جاء في التنزيل الكريم : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (سورة الحشر، آية ٨).

١٨ — حرف الراء سَقَوْنِي النَّسَاءَ ثُمَّ تَكْتَفُونِي

(الوافر)

ذكر أبو عمرو الشيباني من خبر عروة أنه أصاب امرأة من بني كنانة، بكراً، يقال لها : سلمى، وتكنى : أم وهب. فأعتقها واتخذها لنفسه ؛ فمكثت عنده بضعة عشرة سنة، وولدت له أولاداً، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه، وهي تقول له : لو حججت بي فأمر على أهلي وأراهم ! فحج بها، فأتى مكة ثم أتى المدينة، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير، (حي من اليهود)، فيقرضونه إن احتاج، ويبايعهم، إذا غنم. وكان قومها يُخالطون بني النضير فأتوهم، وهو عندهم. فقالت لهم سلمى : انه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا اليه وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة، منكم، معروفة النسب صحيحة، سبية، وافتدوني منه فانه لا يرى أنني أفارقه ولا أختار عليه أحداً. فلما فادوه بها خيروها فاختارت أهلها^(١). فقال عروة في ذلك :

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٢ وهناك روايتان أخريان في المصدر نفسه ص ٣٧ (راجع ص ٣١ من المقدمة).

١ - أَرَقْتُ وَصُحْبَتِي، بِمَضِيقِ عَمَقٍ، لِبَرْقٍ، مِنْ تِهَامَةٍ، مُسْتَطِيرٍ

أَرَقْتُ : بقيتُ صاحياً ولم أنم^(١).

عَمَقٌ : أرض لمزينة، قرب المدينة.

مستطير : منتشر.

* سهر الليل وصحبته يستمتعون بمنظر البرق يقدح فوق تِهامة، وينتشر في الآفاق، فيراه، وهو متوقف في مضيق عمق قرب المدينة.

٢ - إِذَا قُلْتُ : اسْتَهَلَّ عَلَى قُدَيْدٍ يَحُورُ رَبَابُهُ حَوْرَ الْكَسِيرِ،

اسْتَهَلَّ : رفع صوته. واستهلت السماء : احدث مطرها صوتاً. كما يقال: استهلت السماء في أول المطر. استهل على قُديد : وقع المطر المصاحب للبرق على قُديد، محدثاً صوته المعروف.

قُديد : ماء بالحجاز ؛ وقال ابن الأثير : هو موضع بين مكة والمدينة.^(٢) يَحُورُ : يشتد بياضه كما يشتد السواد المحيط به (تُقال للعين ومنها الحَوْر) يحور ربابه : يشتد البياض في محابه.

الرَّباب : السحاب الأبيض.

الحَوْر : شدة بياض العين في شدة سوادها.

الكسير : الجفن الكسير، وهو الفاتر الذي، ما إن ينحسر لتتكشف العين، حتى يسترخي فيسترها.

(١) منظر البرق، مع ما يصحبه من سحاب ومطر يحمل الخير، تهل له الأرض، يرتوي منه العطشان ويشبع الجائع، هذا المنظر أمر فريد في عالم البداوة، وهو منظر محبب الى البدوي : ينتظره ويسهر له يراقبه متمتعاً.

(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣٤٦ [قدد].

* اذا التَمَعَ البرقُ، وقلْتُ لنفسي إنَّ صَوْتَهُ سوفَ يُجلجلُ فوقَ قُدَيْدٍ،
رأيتُ الغيومَ البيضاءَ يلمعُ بياضُها في ضوئه، لكنه سرعانَ ما يختفي،
كالبياض في العين الحوراء اذا غَطَّاهَا جفنٌ كسير : ما إن ينحسر عنها
ليكشف شدةَ بياضها، حتى يعودَ ليغطيها.

٣ - تَكْشَفُ عَائِدٍ، بَلَقَاءَ، تَنْفِي ذُكُورَ الْخَيْلِ عَنْ وَلَدٍ، شَعُورٍ^(١)

العائد : كل أنثى وَضَعَتْ، مدةَ سبعة أيام، لأن ولدها يعودُ بها. والأنثى هنا
هي الفرس.

بلقاء : في لونها سوادٌ وبياض.

تنفي : تُبعد

شعور : تُشَعِّرُ بقائمتيها، أي ترفعهما عالياً، من الشَّعْر وهو رفعُ الحيوان
« رَجَلَهُ ».

* ان انكشافَ الجفنِ الكسير، عن بياضِ العينِ الملتمع، ثم عودته
السريعة، شبيهةٌ بانكشافِ البياضِ في بطنِ الفرسِ البلقاءِ، اذا رفعت قائمتيها
لتدفع ذكور الخيل عن رضيعيها، ثم انزلتهما بحركةٍ سريعة.

٤ - سَقَى سَلَمَى، وَأَيْنَ دِيَارُ^(٢) سَلَمَى؟ إِذَا حَلَّتْ، مُجَاوِرَةً^(٣) السَّرِيرِ.

حَلَّتْ مُجَاوِرَةً : نزلت بجوار

(١) في الديوان شُفُور (بالفاء) ولكننا لم نجد في معاني هذه الكلمة ما ينسجم مع الصورة
التي حاول الشاعر رسمها، في حين أن شعور (بالعين) تؤدي المعنى. فذهينا الى خطأ
في النقل وأجرينا التصحيح. (أنظر اساس البلاغة [شعر]).

(٢) في لسان العرب « وَأَيْنَ مَحَلُّ سَلَمَى » راجع مادة [سرر] ج ٤ ص ٣٦٢.

(٣) في الأغاني « اذا كانت مجاورة السرير » (ج ٣ ص ٧٤).

السريـر : موضع في بلاد بني كنانة.

« يرقب الشاعر البرق باهتمام ويتمنى أن يكون برقاً خيراً يحمل معه الأمطار، وألا يذهب خيره وأمطاره بعيداً، بل يتجه صوب « السريـر » ليسقي الجوار حيث حلت سلمي، وإن بُعدت الشقة بين منزلها ومنزله.

٥ - إذا حلت بأرض بني علي، وأهلي بين إمرة^(١) وكير.

إمرة وكير : موضعان. وإمرة: منزل في طريق مكة من البصرة، وهو منهل.
« إن الشقة تكون بعيدة فعلاً بين منزل سلمي ومنزلها إذا ما حلت هي بأرض بني علي، من كنانة، بينما أهله بين إمرة وكير.

٦ - ذكرت منازل من أم وهب، محل الحي، أسفل ذي النقيـر^(٢)

النقيـر : موضع بين هجر والبصرة، ماء لبني القين ولكلب.
أم وهب : كنية زوجته سلمي.

٧ - وأخذت مَعْهَدٍ مِنْ أُمِّ وَهْبٍ مَعْرُوسًا بِدَارِ بَنِي النَّضِيرِ.

المَعْهَد : المكان الذي يُعرف لاقامة انسان أو جماعة. يقال : عهدي به في مكان كذا ... أو هو موضع، كنت عهديه، أو عهدي هوى لك فيه، أو كنت تعهد به شيئاً أو أحداً.

(١) في الديوان : بين زامرة وكير. والتصحيح من الاغاني (الهامش السابق) ولسان العرب

ج ٥ ص ١٥٨ [كبير].

(٢) في الأغاني « أسفل من نقيـر » (ج ٣ ص ٧٤).

المُعْرَس : من التعريس، وهو نزول القوم من آخر الليل في السفر، يَقَعُونَ فيه وَقْعَةً للاستراحة، ثم يَنِيخُونَ وينامون نومَةً خفيفة، ثم يثورون، مع انفجار الصبح، سائرين. وقيل : التعريس هو النزول في المعهد، أي حين كان من ليلٍ أو نهار.

هـ معنى البيتين : مع سيف البرق الذي يشق الفضاء فتلتهب له جوانب السماء وتتألق الغيومُ المثقلة بالخير، مع القطراتِ المنتظرة المتحفزة للهبوط تتخير موقعه، يسرح خيال الشاعر، يرود منزل الزوجة الحبيبة المفارقة، يطوف بملاعب الأمس، البعيدة عن جسمه، الحية في قلبه، وتتألى أسماء المنازل والمعاهد والمُعْرَسَات : فأسفل ذي النقيير نزل الحي وفيهم أم وهب، وبادار بني النضير عرسوا، وهناك كان آخر عهده بها.

٨ — وقالوا: ما تشاء؟ فقلت: أَلْهُو، إلى الإصباح، آثِر ذي أثير، آثِر ذي أثير : قبل أي شيء آخر. وألهو آثِر ذي أثير : أبدأ باللهو قبل أي شيء آخر.

٩ — بِأَنَسَةِ الْحَدِيثِ، رُضَابٌ فِيهَا، بُعِيدَ النَّوْمِ، كَالْعَنَبِ الْعَصِيرِ. آنسة : (جارية) آنسة، وهي الطيبة النفس التي تُحِبُّ قُرْبَكَ وحديثك. وَأَنَسَةُ الْحَدِيثِ : جارية طيبة الحديث. الرُّضَاب : ماءُ الفم، ما انقطع من الريق. العنب : يُقصد به الخمر، يذكره ابن منظور، عن لسان أبي حنيفة، على أنه لغة يمانية، وأن العنب هو الخمر في بعض اللغات.^(١) وإذا كان تداول الخمر والعنب، مترادفين، يتم في بعض اللهجات، فكلمة العصير في البيت أعلاه

(١) لسان العرب مادة [عنب] (ج ١ ص ٦٣٠).

قرينة تدل على أن هذا المعنى هو الذي ذهب إليه الشاعر. وتشبيه رُضاب الحبيبة بالخمر معروف في الشعر العربي، قديمه وحديثه.

* حين سأله رأيَه في موضوع المفاداة قال : اتركوني، قبل كل شيء، ألهو وهذه الحبيبة الطيبة الحديث حتى الصباح ؛ فإنَّ رشفَ رُضابها، بُعيدَ النوم، يُسكرني كشرِّب خمر العنب.

١٠- أَطَعْتُ الْأَمْرَيْنِ بِصَرْمٍ سَلْمَى، فَطَارُوا فِي عِضَاهِ الْيَسْتَعُورِ.^(١)

الصرم : القطع، القطيعة، الهجر، والهجران.
العِضاه : كل شجر له شوْك من شجر البرّ، مما يَشْرَبُ من ماء السماء.
اليستعور : شجرٌ تصنع منه المساويك، ومساويكه أشد المساويك تبييضاً للثغر. مَنَابِتُهُ بالسَّراة. ويُقال : هو موضع قبل حرّة المدينة، كثيرُ العِضاه، موحش، لا يكاد يدخله أحد.

* أطعت، (وأنا في حالة السكر) الذين زَيَّنوا لي تركَ سلمى، فلما صَحَوْتُ، طلبتُهم فلم أجدهم : لقد تفرقوا حيث لا تُعلم مواضعُهم ولا يُهْتَدَى اليهم.

(١) يذكر ابن منظور هذا البيت ويورد كمحة عن المناسبة منها : « فاستزارته أهلها (أي سلمى) فحملها حتى انتهى بها اليهم. فلما أراد الرجوع أبث أن ترجع معه، وأراد قومها قتله، فمنعتهم من ذلك. ثم إنه اجتمع به أخوها وابن عمها وجماعة، فشرَبوا خمرًا وسَقَوْه، وسألوه طلاقها فطلقها. فلما صبحا نَدِمَ على ما قَرَطَ منه. »
والبيت المذكور في لسان العرب له العجز التالي : « فطاروا في البلاد اليستعور ». راجع لسان العرب مادة [يستعور] ج ٥ ص ٣٠٠ وفي معجم مقاييس اللغة : « في بلاد اليستعور » (ج ٣ ص ٧٦)

١١- سَقُونِي النَّسَاءَ،^(١) ثُمَّ تَكْتَفُونِي، عُدَاةُ اللَّهِ،^(٢) مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ،

النسء : والنسيء : اللبن الرقيق القليل الماء أو الممدوق بالماء. وقيل :
النسء هو الشراب الذي يزيل العقل.
تكتفوني : أحاطوا بي، احتوشوني.

• سقوني الخمر والتفوا حولي كأنهم يهتمون بي وينصحنوني؛ وكان ذلك كله نفاقاً وكذباً وبهتاناً، بل مؤامرة نفذها أعداء الله هؤلاء، قبحهم الله.

١٢- وَقَالُوا : لَسْتُ، بَعْدَ فِدَاءٍ سَلَمِي، بِمُفْنٍ^(٣) مَا لَدَيْكَ، وَلَا فَقِيرٍ.

• قالوا : اذا قبلت ما يُعرض عليك من مال، فداءً لسلمي، كنت غنياً ومكنت ثروة لا تستطيع تبديدها^(٤).

(١) وردت « النسء » في الديوان وفي لسان العرب (ج ١ ص ١٧٠). وفي الأغاني « سقوني الخمر » (انظر الاغاني ج ٣ ص ٣٦).

(٢) وردت « عُدَاةُ اللَّهِ » في الديوان وشعراء النصرانية والأغاني. والتصحيح عن ابن منظور الذي أوردها منصوبة وقال معللاً : « ونصب عُدَاةُ اللَّهِ على الِذم » (لسان العرب ج ٥ ص ٣٠١).

(٣) جاءت اللفظة في الديوان « بمفن » (بالغين) ومن معانيها صرف الشيء ودفعه فقد يكون المعنى انك تحصل على ثروة لا يمكنك دفعها عنك. ولكننا فضلنا « بمفن » (بالفاء) كما وردت في الأغاني (ج ٣ ص ٣٦) لأنها تلائم المعنى بشكل عفوي، وبلا تكلف.

(٤) في هذا الاتجاه نورد ما ذكره الاصفهاني من تفاصيل المناسبة : « إن قومها أغلوا بها الفداء، وكان معه طلق وجبار، أخوه وابن عمه، فقالا له : والله، لعن قبلت ما أعطوك، لا تفتقر أبداً، وأنت على النساءِ قادرٌ متى شئت. وكان قد سكر، فأجاب الى فدائها. (الأغاني ج ٣ ص ٧٤).

١٣- فَلَا، وَاللَّهِ، لَوْ مُلِكْتُ أُمْرِي، وَمَنْ لِيَّ بِالتَّدْبِيرِ فِي الْأُمُورِ! (١)

* تبلغ الحسرة بعروة أن يهرب، من الواقع المؤلم الذي لا يستطيع تقبله، الى عالم خيالي من صنعه، تعود الأمور فيه أدراجها الى لحظة الاختيار، ليغير قراره السابق : فيقول ليت الفرصة تُتاح لي، ويكون تدبير الأمور في يدي، وأدعى الى الاختيار من جديد.

١٤- إِذَنْ، لَمَلِكْتُ عِصْمَةً أُمٍّ وَهَبٍ، (٢) عَلَى مَا كَانَ مِنْ حَسَكِ الصُّدُورِ.

العصمة : المنع والحماية.. والعصمة (في الزواج) حق تقرير الاستمرار في الحياة الزوجية أو وقفها، وهو عادة بيد الزوج (إلا في حالات استثنائية).

ملكْتُ عصمة أم وهب : تمسكتُ بحق الذودِ عنها وحمايتها، وذلك بابقائها زوجةً لي.

حسكُ الصدور : حقد العداوة.

* اذن كنت أتمسك بأم وهب زوجةً لي، على رغم حقدي على أهلها (بسبب دورهم في التفريق بيني وبينها).

(١) ورد البيت في الديوان كما يلي :

ألا، وأبيك، لو كاليوم أمري ومن لك بالتدبير في الأمور
وقد أثبتنا البيت كما ورد في الأغاني لأنه أكثر انسجاماً مع حديث عروة المنفرد في
الآيات السابقة والآيات اللاحقة. (الأغاني ج ٣ ص ٣٦). وفي الشعر والشعراء (ج ٢
ص ٨١) ورد البيت :

ولو كاليوم كان عليّ أمري ومن لك بالتدبير في الأمور

(٢) جاء صدر البيت في الأغاني على الشكل التالي : اذا لعصيتهم في حب سلمي...
(ج ٣ ص ٣٧).

١٥- قَيَّا لِلنَّاسِ إ كَيْفَ غَلَبْتُ نَفْسِي^(١) عَلَى شَيْءٍ، وَيَكْرَهُهُ ضَمِيرِي!

* يعود الشاعر الى الحقيقة التي باتت واقعاً لا يستطيع منه مفراً، فيستنكر ما جناه على نفسه : أعجبُ للناسِ كيف استطاعوا أن يجعلوني أُجبر نفسي على اتيان أمر يرفضه قلبي !

١٦- أَلَا يَا لَيْتِي عَاصِيْتُ طَلْقاً وَجَبَّاراً، وَمَنْ لِي مِنْ أَمِيرٍ.

عَاصِيْتُ : عَصَيْتُ.

طَلَّقَ وَجَبَّار : شخصان لعبا دوراً حاسماً في اقناع عُرْوَةَ بالمفاداة، حين أشارا عليه بقبول الفدية السخية. وهما أخوه وأبن عمه، حسب رواية الأصفهاني^(٢)، أما ابن منظور فيجعلهما أخا سلمى وابن عمها.^(٣) أمير : مُشِير، مُسْتَشَار.

* يعود عُرْوَة، في قمة حسرتة وندمه، ليتمنى أن الذي كان لم يكن، وأنه لم يطع طلقاً وجباراً وسواهما من المشيرين، في ما أشاروا عليه به.

١٩- لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُسِرِّي نَدَامَةً

(الطويل)

بعد ان تركته زوجته ليلي بنت شعواء^(٤) نازعته نفسه اليها، فراح يزجرها ذاكرة كل ما يُبعدها عنه ويقطع أمله في رؤياها : انها الآن

(١) في الأغاني : « كيف غلبتُ أمري » (ج ٣ ص ٣٧).

(٢) المرجع السابق ص ٧٤.

(٣) لسان العرب مادة [يستعور] (ج ٥ ص ٣٠٠).

(٤) الأغاني ج ٣ ص ٧٧. ومن الواضح أن قصة ليلي هذه شبيهة بقصة سلمى الكنانية، فكلاهما تركته في ظروف متشابهة. ويبدو أن القصتين تداخلتا عند الرواة فاختلط اسم =

في مكان بعيد داخل ديار قومها، والبعْد طلبته هي، بهدف واضح : ألا يعود بإمكان عروة الوصول إليها... وهي هناك محاطة بأهلها، وأهلها غَدُوا أعداءه مذ تهددوه بالقتل وحاولوا دفعه الى أرض الاسود ليلقى فيها حتفه.

ويقوم عروة بلفتة الى ليلي يفصح لها عن الجرح العميق الذي تركته في كرامته حين رفضت أن تخبر صواحبها عن صفاته (وكانت سلمى الكنانية قد اغدقت عليه المديح كرجل وزوج، حين تركته) وحين نعتته بالحمق وخفة العقل لأنه طلب منها إخبارهن. هكذا طفق يسألها عن سبب امتناعها، متخذاً السؤال ذريعة لذكر الصفات التي يراها جذيرة بأن تُعرف عنه : انه كريم يشّ للضيف في أيام الجذب والقحط حين يعبس الآخرون، وهو يعطي حين يرضن الناس بالعطاء، يحمل حاجات الاصحاب طيلة الشتاء، فاذا أهل الربيع طلع عليه وعرضه وافر، وان وجدته هزيل الجسم لشدة ما تحمّل من جوع وحرمان في سبيل اطعام الضيف... ثم يدعو عليها بالغبرة اذا لم تخبر الصويحبات، وبأن تندم على الايام التي قضتها معه. (والدعاء بالغبرة يعني أن تؤخذ أسيرة فتعيش في غير قومها، نزيعة غريبة).

١ - تَحَنُّ إِلَى لَيْلَى بِجَوٍّ^(١) بِلَادِهَا وَأُلْتُ عَلَيْهَا، بِالْمَلَا، كُنْتُ أَقْدَرًا!

= سلمى واسم ليلي فرويت القصيدة تارة « على ذمة » ليلي وطوراً « على ذمة » سلمى. وقد اخترنا أن تكون ليلي هي البطلة طالما أن القصيدة تطابق، الى حد ما، أحداث القصة. (راجع ص ٣٢ من المقدمة).

(١) هكذا وردت في الأغاني (المرجع السابق) أما في « الديوان » و« شعراء النصرانية » فقد جاء « تحنّ الى سلمى بِجَوٍّ بِلَادِهَا ».

الجو : (من كل شيء) باطنه وداخله. جو بلادها : داخل منازل قومها.
الملا : موضع^(١).

* يعاتب عروة نفسه على ضعفها أمام ذكرى ليلي : الآن تحنين الى ليلي
بعد أن تركتني وأصبحت داخل منازل قومها، ولم يكن حالك هكذا حين
كانت بالملا، قريبة مني، وفي متناولي !

٢ - تَحِلُّ بِوَادٍ مِنْ كَرَاءٍ مَضَلَّةٍ، تُحَاوِلُ لَيْلَى أَنْ أَهَابَ وَأُخْصَرَ.

كراء : موضع، ثنية بالطائف، أرض بيضة كثيرة الأسد.
مَضَلَّةٌ : وَمَضَلَّةٌ (وردت مُضِلَّةٌ في «شعراء النصرانية») نعت لوادٍ (وهذا
النعت يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع) وادٍ مَضَلَّةٌ : وادٍ مَجْهَلٌ يتيه
فيه الناس

أهاب : أخاف وأحذر.

أُخْصِرَ : أعيأ، يتعذر عليّ الأمر.

* ان ليلي تركتني وابتعدت عني : حَلَّتْ في وادٍ مَجْهَلٍ من أرضِ
كراء، فكانها تريدني أن أحذر الاقتراب منها، وأن يتعذر عليّ، لو أردته.

٣ - وَكَيْفَ تُرَجِّيهَا، وَقَدْ حِيلَ دُونَهَا، وَقَدْ جَاوَزَتْ حَيًّا، بِتَيْمَنٍ، مُنْكَرًا؟^(٢)

تُرَجِّيهَا : تؤمل فيها.

(١) هكذا فسرها ثعلب في قول قيس بن ذريح :

تبكي على لُبْنَى، وَأَنْتَ تَرْكُتْهَا وَكُنْتَ عَلَيْهَا، بِالْمَلَا، أَنْتَ أَقْدَرُ
(لسان العرب مادة [ملا] ج ١٥ ص ٢٩٢) ونشير الى عجز البيت المشابه لعجز
بيت عروة.

(٢) في الأغاني (ج ٣ ص ٧٧) : « وقد جاوزت حياً بتيماء مُنْكَرًا ».

حِيلَ دونها : أُقيمت دونها الحواجز.

تيمن : أرض قبل جرش، أو أرض في شق اليمن، وفيها كراء.
منكرا : غير معروف.

* في محاولة من الشاعر لزجر نفسه وتثييط همته يقول : كيف لك يا
نفس أن تؤمليها وقد قام بينك وبينها حاجز لا سبيل إلى تخطيه : فهي تنزل
أرض « كراء » من « بيشة » الكثيرة الأسد، في وادي التيه، قرب حي غير
معروف، في مكان ما من أرض اليمن ؟

٤ — تَبْعَانِي الْأَعْدَاءُ إِمَّا إِلَى دَمٍ ، وَإِمَّا غُرَاضِ السَّاعِدِينَ ، مُصَدِّرًا ،
تَبْنَى : طلب.

إلى دمٍ : إلى اراقة دم.

غُرَاض : عريض (وهي صفة للأسد).

مُصَدِّر : قوي الصدر شديده. كذلك الأسد والذئب.

* يريدني الأعداء^(١) أن أدخل هذه المخوفة، فإما ينفردون بي فيها،
يصيبون مني مقتلاً ويهرقون دمي، وإما يلاقيني أسد ضخيم عريض
الساعدين، قوي الصدر، (فيقضي علي).

٥ — يَظَلُّ الْأَبَاءُ سَاقِطاً فَوْقَ مَتْنِهِ ، لَهُ الْعُدُوَّةُ الْأُولَى ، إِذَا الْقِرْنُ أَصْحَرَا ،
الأبَاء : (واحدته أبة) : القصب.

الْمَتْن : الظهر. وسقوط القصب الدائم على ظهر الأسد كناية عن عيشه في
أجمة منه.

(١) لعله يقصد بالأعداء قوم لبلى الذين توعدوه بالقتل، وقد يكونون حاولوا استدراجه إلى
منطقة « بيشة » ليواجه أسودها.

الْعُدْوَةُ : شاطئ الوادي، جانبه وحافته. الْعُدْوَةُ الْأُولَى : إحدى الحافتين.
الْقِرْن : المثل، الكفوء والنظير.
أَصْحَر : برز في الصحراء التي لا تَحْمَرُ فيها فأنكشف.

* إذا كان لَأَسَدٍ آخر أن يبرز إلى الصحراء ويعيش في الفضاء الواسع لا يواريه شيء، فإن الليث الذي يتحدث عنه عروة اختار العيش في واد يحميه ويمنع جانبه، تَكْنُفُهُ فيه أَجْمَةً يتساقط قصبها عليه، فعلى ظهره دوماً بقايا منه.

٦ — كَأَنَّ خَوَاتِ الرِّعْدِ رُزْءُ زَيْئِرِهِ، مِنْ اللَّاءِ يَسْكُنُ الْعَرِينَ بِعَثْرًا.
خَوَات : صوت قوي وغالباً ما يكون للرعد أو السيل أو لجناح العقاب.
الرُّزْء : إصابة جزء من مال إنسان أو خيره.
ورزء زئيره : جزء من زئيره.

عَثْر : موضع باليمن. وقيل هي أرض مأسدة بناحية تَبَالَةَ. ^(١)
* هذا الليث، فضلاً عن ضخامته، رهيبٌ هائل الصوت، تخال الرعد بعضاً من زئيره. ولا عجب من ذلك، فهو من الاسود التي اتخذت عرينها بِعَثَرِ المشهورة.

٧ — إِذَا نَحْنُ أَبْرَدْنَا وَرَدَّتْ رِكَائِنَا، وَعَنْ لَنَا، مِنْ أَمْرِنَا، مَا تَيْسَرَا،
أُبْرَدَ : نزل في فترة الظهيرة طلباً للبرودة. ^(٢)

(١) لسان العرب [عثر] ج ٤ ص ٥٤٢.

(٢) * كان العرب ينزلون للتغوير في شدة الحر ويُقِيلُونَ، فإذا زالت الشمس ثاروا إلى ركبهم فغَيَّرُوا عليها أَقْنَابَهَا ورحالها ونادى مناديتهم : ألا قد أبردتم فاركبوا * وفي الحديث : « ابردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح جهنم » لسان العرب ج ٣ ص ٨٤ [برد].

رُذِّت رُكَابُنَا : انتهت فترة الابتزاز وحن وقت الرحيل فُقدت الرواحل.
عَنْ لَنَا : ظهر.
مَا تَيْسَّرَا : ما تهيأ.

* إذا نحن نزلنا وقت الظهيرة للابتزاز، ونظرنا في أمرنا فظهر لنا منه ما
تهيأ قضاؤه، ثم وضعنا خططنا، أعيدت لنا الرواحل نُغيَّر اقتابها ونستعد
للرحيل،

٨ — بَدَا لَكَ مِنِّي، عِنْدَ ذَلِكَ، صَرِيْمَتِي وَصَبْرِي، إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى فَأَدْبَرَا.
الصريمة : إحكام الأمر والعزم عليه.

* حينذاك يمكنك أن تتبين عزيمة وإحكامي الأمور، وصبري على ما
يفوتني منها إلى أن أدركه. (وهذه صفات قيادية).

٩ — وَمَا أُتْسَمِ الْأَشْيَاءِ لَا أُتْسَ قَوْلُهَا لِحَارَتِهَا : مَا إِنْ يَعْيشُ بِأَخْوَرًا^(١)
الأخور : العقل. وما يعيش فلان بأخور : ما يعيش بعقل راجح (مثل).
* مهما ينس من الأشياء فهو لا يستطيع أن ينسى نعتها إياه بخفة العقل.

١٠ — لَعَلَّكَ، يَوْمًا، أَنْ تُسِرِّي لَدَامَةً عَلَيَّ، بِمَا جَشْمَتِي يَوْمَ غَضُورَا،
غَضُور : ثنية بين المدينة وبلاد خزاعة. وقيل : هو ماء لبني طيء.^(٢) ولعله
المكان الذي جرى فيه الفراق بين عروة وزوجه.

(١) يستشهد ابن منظور بهذا البيت على أنه لِهَذْبَةٍ وأن ابن سيده نسبه لابن أحمر. لسان

العرب. مادة [حور] ج ٤ ص ٢١٩.

(٢) المرجع السابق مادة [غضر] ج ٥ ص ٣٤.

« لقد كانت صدمته في يوم غُضُور كبيرة : صَدَمَهُ مَوْقِفُ لَيْلَى مِنْهُ
وتخليها عنه، وصدَمَهُ، أكثر من ذلك، نَعْتُهَا إِيَّاهُ بِخَفَةِ الْعَقْلِ. وهو يتمنى أن
تُريَهَا الأيام مدى خطئها في تفريطها به، وأن تندم على فعلتها أشدَّ الندم. ^(١)

١١- قَعَّرْتُ، إِنْ لَمْ تُخْبِرِيهِمْ، فَلَا أَرَى لِي، الْيَوْمَ، أَذَى مِنْكَ عِلْمًا وَأُخْبَرًا:
عُزِّيتُ : أَصِبت بالغربة.

« يسأل عروة ليلي : وَلِمَ لَا تخبرينهم عني، وأنا لا أعرف في الدنيا
أحدًا أدرى بي منكِ وأخبر ؟... بل عليك أن تخبريهم، ولئن لم تفعلي
جعلك الله أسيرة في غير قومك، تعيشين غريبة ذليلة، بعيدة عمن تحبين،
(وبذلك يحصل عندها الندم على الأيام التي قضتها عنده. فحين تعرف
سواء تعلم أنها قرطت بالسعادة من حيث لا تدري).

١٢- قَعِيدُكَ، عَمَرَ اللَّهُ، هَلْ تَعْلَمِينَنِي كَرِيمًا، إِذَا اسْوَدَّ الْأَنَامِلُ، أَزْهَرًا،

قَعِيدُكَ : مُقَاعِدُكَ، وتأتي بمعنى حافظك، وهو كناية عن الزوج، كما أن
قعيدة الرجل وقعيدة بيته امرأته.
رجل أزهر : أبيض، مشرق الوجه، مستنير. وإشراق الوجه هنا كناية عن
الكرم والرغبة في الضيف. فالكريم المضيف هو الذي يُشرق وجهه، زمنَ
البردِ والقحطِ، بما يقدمه لسدِّ حاجة الناس.

اسْوَدَّ الْأَنَامِلُ : غَشِيَهَا السَّوَادُ مِنْ دُخَانِ النَّارِ وَرَمَادِهَا. وذلك كناية عن
البرد الشديد الذي يدفع الناس إلى الاصطلاء بالنار. هذا الوقت عادة من

(١) لعله يشير هنا إلى ما ترويه الأخبار عن رفض ليلي العودة معه وتشبثها بالمقام بين أهلها
وعن نعتها إياه بالغباء إذ طلب منها إخبار صواحبها عنه كرجل وزوج.

أصعب الأوقات في البادية إذ يصاحبه القحطُ وقلَّةُ ذات اليد، ويزدادُ فيه طالبو القرى والمعروف.

« اذكرني زوجك، بِحَقِّ الله، ألا تعرفينه سيداً كريماً؟ ألا ترينه، وقت الشدةِ وزَمَنَ القحطِ، حين يشتدُّ البردُ فيكثرُ الناسُ من غشيانِ المواعد حتى تَسْوَدَّ منهم الأناملُ، مشرقَ الوجه، مُرْحَباً بالأضياف وطالبي المعروف ؟

١٣- صَبُوراً عَلَى رُزْءِ الْمَوَالِي وَحَافِظاً لِعِرْضِي حَتَّى يُؤْكَلَ النَّبْتُ أَخْضَراً،

رُزْءُ الْمَوَالِي : من رَزَأَ الرجلُ إذا أصاب من خيره. فرزء الموالي : أصابتهم من خيري.

حَافِظاً لِعِرْضِي : محافظاً على سُمعتي، وذلك بِعَدَمِ التقصير في الكَرَمِ، لأنَّ زَمَنَ الشدةِ وقلَّةِ الخير هو المحكُّ الفعلي لهذه الفضيلة : الكَرِيمُ الحقيقي يظلُّ يعطي ويؤثر الآخرين على نفسه بما عنده؛ ومدَّعي الكرم يتراجعُ محافظاً على ما لديه، عابساً في وجه الضيف، ومذموماً. يُؤْكَلُ النَّبْتُ أَخْضَراً : كناية عن ذهاب الشتاء بقحطه ومجيء الربيع ومَعَهُ الخير.

« يتابع عروة معنى البيت السابق مؤكداً كَرَمَهُ في أصعب الظروف. فهو اذن، في وقت الشدةِ والقحطِ، يحافظُ على سمعته، فلا يقصِّر في المعروف، بل يتحمَّلُ حاجةَ أصحابه اليه، ويرفُدُّهم بما عنده الى أن يذهب الشتاء والبردُ وتدبَّ الحياةُ من جديد في الطبيعة ويكثر الخيرُ، فيخرج الشاعرُ وعِرْضُهُ وافرٌ لم يُذَمَّرَ ».

١٤- أَقْبُ وَمُخْمَاصُ الشِّتَاءِ، مُرْزَأُ، إِذَا آغَبَرُ أَوْلَادُ الْأَذَلَّةِ اسْفَرَا

أَقْبُ : ضامر البطن، دقيق الخصر وهو خبر المبتدأ : قعيدك.

مُخْمَاصُ : كالخميص، وهو الضامر البطن، والجائع.

مُرَّأ : للناس في أمواله نصيب.
اغبر أولاد الأذلة : تجهّم وجه أولاد اللئام، أي عَبَسُوا في وجه الأضياف،
وذلك كناية عن البخل.
أسفر : أشرق. ومنه أسفر الصبح : أضاء.

* في هذا البيت أيضاً إمعانٌ من عروة في استثمار فكرة الكرم الذي
يثبت في أصعب الظروف. إن الشاعر يُعطي، زَمَنَ القحط، فإذا قلَّ ما لديه
ولم يعد يكفيه وطالبي معروفه، آثرهم على نفسه فبات على الطوى
ليشبعوا، وحمل آثار الحرمان هزلاً وضموراً خصر وجوعاً طيلة الشتاء. انه
لا يستطيع ردّ طالبي المعروف عنه بالتجهّم واغبرار الوجه كما يفعل أولاد
اللئام، انه لا يعرف إلا الترحاب واشراق الأسارير.

٢٠ — صعلوك فقير وصعلوك أمير

(الطويل)

يحلو لعروة أن يجعل زوجة تلومه على حياة المخاطر التي يحيها،
وأن يلومها هو على لومها.. وعروة، بذلك، يحقق هدفين : أولهما
إبراز جَزَع الزوجة وخوفها عليه، وهذا يُرضي كل ذكر إذا أتى من
أنثاه. وثانيهما أن ينطلق، من اللوم، الى تمجيد حياة السعي
والمغامرة، جاعلاً من نفسه مثلاً، حاثاً الآخرين على الاقتداء به
والاستماع الى صوت العقل والحاجة، لا صوت المرأة الجزوع...

وفي هذه القصيدة يقوم عروة بتصنيف ومقابلة : يصنّف
الصعاليك صنفين : المستكين والمغامر. ويقابل بينهما مفاضلاً :
يصوّر الاول في اطار الذل والبؤس، فيما يرسم للثاني صورة
مشرقة جذابة. فتكون هذه المفاضلة دعوة ضمنية الى ترك

الخمول، وطلب الغنى تأميناً للعيش الكريم ولواجب الضيافة
والكرم...

١ — أَقْلِي عَلَى اللَّوْمِ، يَا بِنْتُ مُنْدَرٍ، وَنَامِي وَإِنْ لَمْ تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي.

بنت مندر : زوجته سلمى الكنانية^(١). يكنيها « أم وهب » تارة^(٢) « وأم
حسان » تارة أخرى.^(٣)

* يبدو عروة متبرماً بتدخل زوجته في شؤون عمله واكتثارها من لومه،
فيدعوها إلى أن تكف عن ذلك وأن تنصرف إلى شؤونها : أن تنام، وفي
ذلك راحة لها وله، أو أن تسهر، إذا لم تستشعر نعاساً، أن تفعل ما يحلو
لها، شرط أن تتركه لحاله.

٢ — ذَرِينِي وَنَفْسِي، أُمَّ حَسَّانَ، إِنِّي، بِهَا، قَبْلَ أَنْ لَا أُمْلِكَ الْبَيْعَ مُشْتَرِي.

ذريني : اتركني.

البيع والشراء : من الاضداد، وكلتاها هنا بمعنى الشراء.

* اتركني لنفسي أتصرف بها كما أريد، قبل أن يسبقني الزمن وأغدو
عاجزاً عن التصرف بها. دعيني أبدلها ثمناً للمجد والذكر الحسن.

(١) ابراهيم شحاده الخواجه — عروة بن الورد — ص ٦٩.

ويظهر أن سلمى هي المرأة التي كانت تُكِنُّ له ودّاً حقيقياً. فهي التي يقرن اسمها
في شعره بنهي عن الغزو والمغامرة وذلك بحافز حبها له وخوفها عليه ورغبتها في أن
تراه دوماً قريباً منها. ومع أنها تركته فيما بعد لتلحق بأهلها، فإنها قرظته تقريظاً ينضج
بالحب والتقدير، وهذا ما لم تفعله ليلي بنت شعواء في مناسبة مشابهة.

(٢) راجع قصيدته على التاء ص ٩٦. وقصيدته الرائية ص ١٢٩.

(٣) راجع قصيدته على الفاء ص ١٩٤.

٣ - أحاديثُ ثَبَقِي، والفَتَى غيرُ خَالِدٍ، إذا هو أَمَسَى هَامَةً فوقَ صَيَّرٍ،

أحاديثُ : (مفعول به لمشتَرٍ في البيت السابق) فاقوالُ الناس عنها (عن نفسه) هي التي يريد شراءها.

الهامة : طائرٌ اعتقد الجاهليون أنه يخرجُ من رأسِ المقتولِ غُدرًا، يصرخُ : اسقوني، اسقوني ؛ ويبقى على ذلك الى أن يؤخذَ بثأره. ^(١)
صَيَّر : قَبِرَ ^(٢).

« ان كل نفسٍ ذائقةُ الموتِ، والذكرُ الحسنُ هو الذي يبقى بعد أن يوارى الانسانُ الترابَ ويتحولُ الى هامةٍ تصرخُ فوق كومةٍ من حجارة.

٤ - ثَجَاوِبُ أَحْجَارِ الْكِنَاسِ، وَتَشْتَكِي إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ، رَأَتْهُ، وَمُنْكَرٍ، الْكِنَاسِ : المغارِ تَكْنِسُ (تَسْتَتِرُ) فيه الظُّبَاءُ وتَغِيبُ. وقد كَنَّى به عن القبرِ. الْمُنْكَرُ : غير المعروف.

« هذه الهامةُ تلازمُ القبرَ، تصرخُ فتجاوبُها أحجارُها، تستغيثُ بكل من يمرُّ به، معروفًا منه كان أو غيرَ معروف.

٥ - ذَرِينِي أَطَوَّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلِّي أُخْلِيكَ، أَوْ أُغْنِيكَ عَنِ سُوءِ مَخْضَرٍ، طَوَّفُ فِي الْبِلَادِ : سار فيها، دار وتَنَقَّلَ.

أُخْلِيكَ : اجعلك طالقةً (إذا مُتُّ عنك) فقد كان الرجلُ في الجاهلية يقولُ

(١) « كانت العرب تزعمُ ان روح القتيل، الذي لم يُدْرَكْ بثأره، تصير هامة فتزفُو عند قبره، تقول : اسقوني اسقوني. فإذا أدركَ بثأره طارت... وقيل : هو عظام الميت التي تصير هامة... » لسان العرب ج ١٢ ص ٦٢٤ [هوم].

(٢) معنى الكلمة وضبطها عن « لسان العرب » (ج ٤ ص ٤٧٧) [صير].

لزوجته : أنت خلية، فكانت تطلق منه. (وهي، في الاسلام، من كنيات
الطلاق)^(١)

المَحْضَر : المرجع الى أعداد المياه... وكل من نزل على ماءٍ عِدٍ ولم يتحول
عنه، شتاءً ولا صيفاً، فهو حاضر.^(٢) والمحضر هنا كناية عن المُقام الثابت
(على الماء). وسوء المحضر : المُقام في ظروفٍ سيئة.

* دعيني أسير في البلاد. فإذا مُتُّ، غدوت طالقة، حرة في اختيار زوج.
آخر يناسبك. وإذا نجحت وأصبحت الغنى، خلصتكَ من سوء المُقام الذي
تقنعين به. وفي هذا البيت مقابلة بين البقاء مع الفقر، والضرب في الأرض سعياً
وراء الرزق، وهي مقابلة يُكثر عروة من اقامتها.

٦ - فَإِنْ فَازَ سَهْمٌ لِلْمَنِيَةِ لَمْ أَكُنْ جَزَوْعاً، وَهَلْ، عَنْ ذَاكَ، مِنْ مُتَأَخَّرٍ؟

فاز سهم : كناية عن لعبة الحظ أو وسيلة الاقتسام التي يسحب فيها المرء
سهماً من مجموعة أسهم. كُتِبَ على كل منها اسم أو موضوع. فيكون
السهم المسحوب له، أو عليه، أو محدداً لحصته، أو للقرار الذي يتوجب
عليه اتخاذه.^(٣)
جزوعاً : مُشْفِقاً.

-
- (١) المرجع السابق ج ١٤ ص ٢٤١ [خلا].
(٢) مَحْضَر: يقابلها مُنْتَجَع وهو المذهب في طلب الكلأ. والبادي هو الذي يتباعَد عن أعداد
المياه ذاهباً في النَجْع الى مساقط الغيث ومنابت الكلأ. المرجع السابق ج ٤ ص ١٩٨
[حضر].
(٣) راجع ازلام العرب في تاريخ العقوبي ج ١ ص ٢٥٩ والجزور والازلام في ٥ مواسم
الأدب ٥ ج ١ ص ٢٠٣ ولسان العرب مادة [زلم] ومادة [يسر] ومادة [منح]
ومادة [برم]...

• يتابع عروة تفصيل الاحتمالين الواردين في البيت السابق (الموت أو الغنى) فيقول : أنا في سباق دائم مع الموت، ولا أخاف أن أكون الخاسر لأنني لن أموت إلا إذا حان أجلي، وما من إنسان يستطيع تأخير أجله متى حان.

٧ - وَإِنْ فَازَ سَهْمِي كَفَّكُمْ عَنْ مَقَاعِدِ لَكُمْ خَلْفَ أَدْبَارِ الْبُيُوتِ، وَمَنْظَرِ.

كَفَّكُمْ : صرفكم، صانكم، منعكم
المقاعِد خلف أدبار البيوت : الأماكن الخلفية لبيوت الميسورين حيث يكون الخدم وأصحاب الحاجات والسائلون.^(١)

• أما إذا كان الفوز لي، وخلفت الموت ورائي، فإن ما ينالني من الغنى سيعود خيراً يعمكم جميعاً، يصونكم عن مقعد الفقر ومنظر الذل اذ يغنيكم عن ارتياد الأماكن الخلفية لبيوت الأغنياء.

٨ - تقول: لك الويلات، هل أنت تارك ضبوءاً، برجلٍ، تارة، وبمنسِرٍ؟

لك الويلات : نزلت بك المصائب. وهذا الدعاء نوع من التحبب وليس للتشفي، لأن حافزه الخوف على عروة، كما يتبين من الايات اللاحقة.
الضبوء : الزحف المتخفي بقصد الختل والمفاجأة.
الرجل : من يركب رجليه.

المنسِر : والمنسَر : من الخيل ما بين الثلاثة الى العشرة^(٢).

(١) يفسر هذا الوضع بيت آخر لعروة في القصيدة نفسها (رقم ١٧) يقول فيه.

(٢) يُعِين نساء الحي، ما يستعنه، ويُمسي طليحاً كالبعير المُحسَر
وقيل ما بين الثلاثين الى الأربعين، وقيل ما بين الأربعين الى الخمسين أو الى الستين.
وقيل ما بين المئة الى المئتين. (لسان العرب [نسر] ج ٥ ص ٢٠٥).

« تدعو عليه زوجته، دعاء تحبب، بالمصائب والنوائب، للحياة القلقة التي يحياها، ولما تُحسُّه دوماً من خوفٍ عليه ومن اضطراب، وتسأله : أما أن لك أن تُقلع عن الزحف المتخفي المتلصص، مع الرجالة، وعن عمليات الاقتحام مع الحَيَّالة ؟

٩ — وَمُسْتَبِثٌ فِي مَالِكَ، الْعَامَ، إِنِّي أَرَاكَ عَلَى أَقْتَادِ صَرْمَاءَ مُذَكِّرٍ، وَمُسْتَبِثٌ : (معطوف على تارك) أي وهل أنت مستبث : متأنٍ لا تعجل. ^(١)

العام : هذه السنة.

الأقتاد : ادوات الرحل.

صرماء : ناقة قليلة اللبن لأن غُزرها انقطع، أو هي التي تُقطع أوطائها لتشتد. والصرماء : الفلاة من الأرض، والمفاضة التي لا ماء فيها. مُذَكِّر : شديدة، ذات حول.

والمذكر : الناقة التي تلد الذكور. وكانت العرب تكره أن تنتج الناقة ذكراً، ويتشاءمون بذلك، فضربوا الأذكار مثلاً لكل مكروه.

« وهل أنت، هذا العام، مستمرٌّ في تبديد مالك ؟ هلاً تأثيت في الانفاق وحسبت حساباً للأيام المقبلة، فإنني أراك تركبُ ناقةً مشؤومة شديدة (أي تستقبل أياماً صعبة).

(١) في جمهرة أشعار العرب (ص ٢١٥) مُسْتَبِثٌ ومعناها : مرتاح وساكن. فيكون معنى البيت، والذي يليه، مع افتراض أن الصرماء هي المفاضة القاحلة :

« هلاً سكنت وارتحت هذا العام بين أهلك ومالك، فإنني أراك على حافة مفاضة شديدة الخطر، ليس فيها إلا الذئب والغراب، هائلة ذات مزلق، لا يثبت عليها أهل المعروف، يتربص الموت بمن يجتازها، فاحذر لنفسك منها.

١٠- فَجُوعٌ لِأَهْلِ الصَّالِحِينَ، مَزَلَّةٌ،^(١) مَخُوفٌ رَدَّاهَا، أَنْ تُصِيبَكَ فَاحْذَرِ.

فَجُوعٌ : تصيب وتؤلم (وهي نعت ثان لصرماء) والصالحون : ذوو المعروف، لا ذوو الدين.

الْمَزَلَّةُ : المكان الدحض (المنزلق)، وهو موضع الزل.

الرَّدى : الهلاك. و« رداها » مبتدأ مؤخر خبره « مخوف » المتقدم عليه.

« هذه المصيبة المتوقعة (الأيام الصعبة) شديدة على الصالحين، أهل الخير والمعروف، تنال منهم وتؤلم أهلهم، وهي منزلق خطر لا يمكن الثبات فيه، مخيفة، يحسب للردى فيها ألف حساب، فحاذر أن يصيبك أذاها.

وسواء كان المقصود أنه على ناقة مقطوعة الأوطاب، شديدة، منتجة للذكور، مشؤومة (وذلك كناية عن المصيبة)، أو المقصود أنه على حافة مفازة شديدة الهول، فمهلكة (كناية عن الخطر)، فإن الثابت أن الزوجة تستشعر خطراً داهماً يهدد زوجها، في شخصه أو ماله، وتحاول اقناعه بالعدول عن عادته في السفر أو الانفاق.

١١- أْبَى الْخَفْضِ مَنْ يَغْشَاكَ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَوْدَاءٍ الْمَعَاصِمِ تَغْتَرِي.

الْخَفْضُ : الدعة والسكون. أْبَى الْخَفْضِ : أْبَى عَلَى الْخَفْضِ أَي مَنَعَنِي مِنَ الدَّعَةِ وَالسَّكُونِ.

غَشِيَهُ : حَلَّ بِهِ. وَغَشَى الْمَكَانَ : أَتَاهُ.

سَوْدَاءُ الْمَعَاصِمِ : مَنْ اسْوَدَّتْ يَدَاهَا مِنَ الْعَمَلِ وَتَحْرِيكِ النَّارِ وَالرَّمَادِ

(١) في الجمهرة : فجوع بها للصالحين مَزَلَّةٌ. وفجوع وردت في حالة الرفع في معظم الروايات ووجدنا أن استقامة المعنى تقضي بخفضها. فأثبتنا الخفض.

للصلاء. وهي كناية عن المرأة الفقيرة ذات العيال.^(١)
تعترى : تغشى طالبة المعروف.

* أنا لا أستطيع تلبية طلبك بالاستكانة الى الدعة وترك السعي، يمنعني من ذلك واجب المعروف نحو الأقرباء الذين يحلون بيتك، ونحو طالبات العطاء من الفقيرات ذوات العيال اللواتي اسودت معاصمهن لكثرة ما يحركن الرماد يعللن بذلك عيالهن الجائعين.

١٢- وَمُسْتَهْنِيٌّ، زَيْدٌ أَبَوُهُ، فَلَا أَرَى^(٢) لَهُ مَدْفَعًا، فَأَقْتِي حَيَاءَكَ وَاصْبِرِي

مستهنيء : طالب الهنء، وهو العطاء. واستهنأ الرجل : استعطاه.
مدفعاً : دفعاً ، وسيلة لصده وردّه.
اقتي حياءك : الزميه.

* ويمنعني من الدعة أيضاً طالبو العطاء من أبناء العمومة المتممين الى زيد، اذ لا أجد وسيلة أصدّهم بها دون أن أنجّل. وأنت عليك أن تلزمي حياءك وتعرفي حدود الكرامة فلا تشيري عليّ بما يُخجل.

١٣- لِحَا اللَّهِ صَعُولكَا، إِذَا جَنَّ لَيْلُهُ، مُصَافِي المَشَاشِ، أَلِفَا كُلَّ مَجْزِرٍ

لحا الله : قبح الله ولعن.
المشاش : كل عظم لا مخ فيه يمكنك تبعة... ومشه : مصه ممضوغاً.

(١) من حيل النساء الفقيرات، لإلهاء أولادهن عن طلب الطعام، وضع قدر على النار فيها ماء وحصى، يحركنها بين الفينة والفينة معللات أولادهن بطعام يُنتظر أن ينضج، ويُفضلن هكذا الى أن يغلب النوم الأولاد.

ومنها أيضاً أن يطمرن شيئاً صلباً في الرماد، ويداومن على تحريكه معللات أولادهن بقرب نضجه، بانتظار أن يغلبهم النوم. وكثرة تحريك الرماد تترك سواداً على الأيدي.

(٢) في لسان العرب : فلم أجد (ج ١ ص ١٨٦) [هنا].

مُصَافِي : مُسْتَخْلِص.

الْمَجْزِر : مَكَانُ الذَّبْحِ، وَفِيهِ تُتْرَكُ عَادَةً بَقَايَا الْجَزُورِ.

جَنَّ لَيْلَهُ : سَتَرَهُ اللَّيْلُ.

* لَعَنَ اللَّهُ صُعْلُوكًا، يَجْعَلُ هَمَّهُ، إِذَا مَا سَتَرَهُ اللَّيْلُ، أَنْ يَرْتَادَ الْمَجَازِرَ،
يَبْحَثُ فِيهَا عَنِ الْعِظَامِ الَّتِي لَا تُنَجَّى فِيهَا، مِمَّا يَتْرَكُهُ الْجَزَّارُونَ، لِيُمَصَّهَا
مَاضِعًا مُقْتَاتًا بِمَائِهَا.

١٤- يَعُدُّ الْغَنَى، مِنْ نَفْسِهِ، كُلَّ لَيْلَةٍ أَصَابَ قِرَاهَا مِنْ صَدِيقٍ مُيَسَّرٍ،

الْقِرَى : اطْعَامُ الضَّيْفِ وَالطَّارِقِ.

الْمُيَسَّرُ : ذُو الْغَنَى وَالسَّعَةِ.

* هَذَا الصُعْلُوكُ بَلَغَ الْغَايَةَ، فَقَرًّا وَجُوعًا، حَتَّى إِذَا قُضِيَ لَهُ صَدِيقٌ ذُو
غِنَى وَسَّعَةٍ، يُقَدِّمُ لَهُ قِرَى لَيْلَةٍ، عَدَّ نَفْسَهُ مِنَ الْإِغْنَاءِ.

١٥- يَنَامُ، عِشَاءً، ثُمَّ يَصْبَحُ نَاعِسًا، يَحْتَ الْخَصَى عَنْ جَنْبِهِ الْمُتَعَفَّرُ^(١)،

الْعِشَاءُ : أَوَّلُ الظَّلَامِ مِنَ اللَّيْلِ.

حَتَّ : فَرَكَ الشَّيْءَ الْيَابِسَ عَنِ الثَّوْبِ وَغَيْرِهِ.

الْمُتَعَفَّرُ : الْمَتَمَرِّغُ فِي التَّرَابِ.

* هَذَا الصُعْلُوكُ السَّاعِي خَلْفَ اللَّقْمَةِ، يَعْشَى حَيَاةً بَائِسَةً ضَيِّقَةَ النِّطَاقِ،
لَا سُلُوى فِيهَا وَلَا سَمَرٍ. يَنَامُ بَاكِرًا مِنْذُ حُلُولِ الظَّلَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ يُصْبِحُ
وَالنَّعَاسُ فِي جَفْنَيْهِ : إِنْ نَوْمُهُ الطَّوِيلُ لَا يَحْمِلُ الرَّاحَةَ إِلَى جِسْمِهِ لِأَنِّ فَرَّاشَتَهُ
الْأَرْضُ بِغَبَارِهَا وَحَصَايَا، يَلْقَى ذَلِكَ كُلَّهُ بِشَوْبِهِ، فَيَحْتُّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا يَنْهَضُ.

(١) أورد المبرّد صدر البيت بالصيغة التالية : ينام ثقيلًا ثم يصبح قاعداً... (الكامل ج ١

١٦- قَلِيلُ التِّمَاسِ الزَّادِ، إِلَّا لِنَفْسِهِ، إِذَا هُوَ أُمْسَى ^(١) كَالْعَرِيشِ الْمُجَوَّرِ،

التمس : طلب.

العريش : ما يُسْتَظَلُّ به، ما يُعْرَش به الكرم، شبه الهودج، مظلة من جريد النخل يُطرح فوقها الثمام، السقف، الخيمة، البيت المصنوع من جريد النخل والثمام.

المُجَوَّر : المتهدم. والعريش المجوَّر : البيت المتهدم.

* الصعلوك الذي يتحدث عنه عروة انسانٌ أناني (وتلك صفة تعني الحقارة في عالم يمجّد الكرم والإيثار) لا همّ له الا نفسه. يكتفي بتأمين زاده، لا يفكر بسواه. وهو لا فائدة منه لأهله وعياله لأنه، حين يأتي عليه المساء، يتهالك تعباً كأنه رُكّام بيتٍ متهدّم.

١٧- يُعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ، مَا يَسْتَعِينُهُ، وَيُمْسِي طَلِيحاً كَالْبَعِيرِ الْمُحَسَّرِ

الطليح : الذي أصابه الكلل والإعياء حتى كاد يسقط.

المُحَسَّر : الجمل الذي تعب وكلّ أو الناقة التي أتعبت حتى تُنقى (لا يبقى عليها شحم)

* يفسّر عروة سببَ الإجهاد الذي وصف به الصعلوك، فإذا هو لا يعود الى علوِّ الهمة والأعمالِ المجيدة، وانما يعود الى الاعمالِ الحقيرة التي يقوم بها، اذ يقف بين ايدي النساء يلبي طلباتهن ويقوم بأعمالهن ؛ ومتى جاء المساء يكونُ الاعياء قد نالَ منه فأُمسى كالبعير المُجهّد يكاد يتهاوى وقد هزلَ وضعف.

(١) عند ابن منظور « إذا هو أضحى » راجع لسان العرب [عرش] ج ٤ ص ١٥٥.

١٨- وَلَكِنْ صُعْلوكًا، صَفِيحَةً وَجْهٍ كَضَوْءِ شِهَابِ الْقَابِسِ الْمُتَوَّرِ،

الشَّهَابُ : الكوكبُ المنقُضُ، وكلُّ مضيءٍ يتولَّدُ من النار.
القَابِسُ : طالبُ القَبَسِ أو حَامِلُهُ. والقَبَسُ : شِعْلَةٌ من نارٍ (جزء مأخوذ من كل) أو هي نارٌ تؤخذ على طرفِ عُودٍ، بهدف إشعال نارٍ أو إضاءة الطريق.

ضوء شهاب القَابِسِ : الضوء تلقيه النارُ التي يحملها القَابِسُ، حوله وعلى وجهه. وميزةُ هذا الضوء أنه، والعَتمَةُ تُلْفَهُ، يتوهجُ فَيُرى من بعيدٍ، ويكون، على ضآلَتِهِ، أمراً ملحوظاً في سواد الليل.
الْمُتَوَّرُ : المضيء.

* بعد أن قَدِمَ عروة المسوَّغات لحياة الصُعْلوكَةِ، وهي مسوَّغات إنسانية رفيعة، وبعد أن عَرَضَ لوحةً تمثل الصُعْلوكَ الدليلَ التافهَ، يعرض لوحةً أخرى مشرقة لصُعْلوكٍ شريفٍ وكأنه يريد أن يسأل امرأته : أي الصُعْلوكين تريدني أن أكون ؟ فهذا الصُعْلوكُ، الذي يصوِّر نفسه من خلاله، أبني، للمَهَابَةِ على وجهه نورٌ يُذكرُ بالنور المنعكس على صفحة وجه القَابِسِ.

١٩- مُطِلاً على أعدائه يَرْجُرُونَهُ، بِسَاحَتِهِمْ، رَجَرَ الْمَنِيحِ الْمُشَهَّرِ،

رَجَرَهُ : صاح به ينهاه أو يطرده.
الْمَنِيحُ : قِدَحٌ من قِدَاحِ الميسر لا نصيب له. وسمي المنيح لأن صاحبه لا ينال شيئاً إذا خرج، إلا أن يمنَّحه الآخرون من نصيبهم.
وزَجَرَ القِدَاحَ : أن يحيطَ الياسرون بضارب القِدَاحِ يصرخ كلُّ على قِدَاحه، مشجعاً ظهور القِدَاحِ الجيِّدِ، طارداً القِدَاحَ الخاسرَ، كما يفعل المراهنون على خيل السباق.

الْمُشَهَّرُ : المشهور والمُشَهَّرُ أيضاً من اشتهرت فلاناً إذا استخففت به وفَضَحَتْهُ.

* ان نور المهابة يعلو وجه هذا الصعلوك، حين يُطْلُ على الاعداء بساحتهم، فيخافونه ويصبحون به ليطردوه، كما يفعل الأسار بالقدح المنيع الذي لا نصيب له : لا يرغبون في ظهوره، فيزجروته، محاولين طرده، كلما أطل.

٢٠- إذا بُعدوا لا يأمنون اقترابه، تشوف أهل الغائب المتظر، تشوف الى الأمر : تطلع اليه.

* اذا زجروه وطاردوه، ثم عادوا، لا يأمنونه ولا يؤمنون بانصرافه. انهم يترقبونه، ويتظرون ظهوره في كل لحظة؛ فكأنهم، في انتظارهم وترقبهم، أهل لغائب يتوقعون قدومه : يطلون دوماً الى الخارج يستطلعون الأفق.

٢١- فذلك، إن يلقى المنيّة يلقها حميداً، وإن يستغن يوماً، فأجدر. حميداً : محموداً.

يستغني : يصيب غنى.

فأجدر : فأجدر به، أي هو جدير بذلك.

* هذا الصعلوك المهيب جدراً بأن يصيب الغنى في يوم من الأيام، أما اذا أدركته المنية دون ذلك فإنه يموت شريفاً محموداً.

٢٢- أيهلك معتم وزيد، ولم أقم على كذب، يوماً، ولي نفس مُحْطَر؟

معتم وزيد : (من جدود عبس)^(١) والمقصود بنو معتم وبنو زيد.

(١) وجدنا، بين جدود عبس، « زيد » بن عدوان بن قيس عيلان بن مضر. ولم نجد بينهم « معتماً ».

التدب : الخطر.

لم أقم على تدب : لم أعزم على ركوب الخطر (للدفاع عنهم).
المُخطر : المعرض نفسه للهلاك. ولي نفس مُخطر : أنا معروف بتعرضي للأخطار.

• أيهلك بنو زيد وبنو مُعتم فلا أعزم يوماً على ركوب الخطر دفاعاً عنهم، مع أنني معروف بالمغامرة، وتعرض نفسي للمخاطر ؟

٢٣- سَتَفْرِغُ، بَعْدَ الْيَأْسِ، مَنْ لَا يَخَافُنَا، كَوَاسِعُ فِي أُخْرَى السَّوَامِ الْمُنْفَرِ،

كواسع : من كَسَعَ الدابة اذا ضَرَبَهَا على دُبُرِهَا لِيُحِثَّهَا على السير.
والكواسع (هنا) الخيل التي تطرُدُ الإبل:
الأخرى : الأواخر.

السوام : الإبل التي أُخرجت الى الفلوات وَخُلِيتَ وَسَوَمَهَا ترعى حيث تشاء.

المنفر : المستنفر. والسوام المنفر : الإبل التي أُثيرت من مرعاها فاهتاجت وذُعرت، وانطلقت تعدو لا تلوي على شيء. (والاستيلاء على الإبل باقتيادها من المرعى أسهل منه باقتيادها من الحظائر. لأن تنفيرها في مرعاها يكفي لجعلها تعدو. فاذا ضربت الأواخر منها على أدبارها راحت تدفع التي أمامها واستمر الجميع في العدو.)

• ان من لا يخافنا لأنه يمس من قُدْرَتِنَا على الإغارة، سيفاجأ بنا وتُدْعِرُهُ خيلُنا، تنقر قطيعه من مرعاه، تطرُدُ أواخر الإبل فيه (وهذه، بدورها، تدفع الأوائل).

٢٤- يُطَاعِنُ عَنْهَا أَوَّلَ الْقَوْمِ بِالْقَنَّا وَبَيْضِ خِفَافِ ذَاتِ لَوْنٍ مُشْهَرٍ،

يطاعن : الأصح نُطاعن.

القنا : الرماح
البيض : السيوف
المشهور : المشهور.

* يحاول عروة شرح خطئه في الاغارة قائلاً : اننا ندخل بين القوم
وابلهم : فبينا يقوم بعضنا بتنفير الإبل واقتيادها، يلاقي البعض الآخر طليعة
أصحابها فيقاتلهم بالرماح وبالسيوف الخفيفة التي اشتهرنا بها.

٢٥- فَيَوْمًا عَلَى نَجْدٍ وَغَارَاتِ أَهْلِهَا، وَيَوْمًا بِأَرْضِ ذَاتِ شَثٍّ وَعَرْعَرٍ،

الشَثَّ : من شجر الجبال (وردت « شَثَّ » وهذا خطأ)
العَرعر : شجر يقال له « الساسم » و« الشيزي »، ويقال إنه شجر يُعمل به
القطران، أو هو شجر عظيم جبلي لا يزال أخضر تسميه الفرس
« السرو »^(١)

* هكذا تمضي الأيام بالصعاليك : يومٌ يغيرون فيه على بلادِ نجدٍ وأهلِ
نجد، يسوقون المواشي، يقودونها الى الجبال حيث الشَثَّ والعَرعر، وهناك
يمضون يومهم الآخر في استهلاك ما غنموه.

٢٦- يُنَاقِلْنَ، بِالشُّمَطِ الْكِرَامِ، أُولِي الْقُوَى نِقَابَ الْحِجَازِ فِي السَّرِيحِ الْمُسِيرِ^(٢)

يناقل : الفرسُ في جريه اذا اتقى، في عدوه، الحجارَة، لحسن نقله.
الشَّمط : جمع أشمط، وهو الذي في شعره اختلافٌ بلونين، من سوادٍ
وبياض.

(١) لسان العرب [عرر] ج ٤ ص ٥٦٠.

(٢) في اعتقادنا أن موضع هذا البيت قبل الذي سبقه لأنه يتم قصة السطور.

الكِرام : الأَصيلة. والشُّمط الكرام : النوق الأَصيلة التي يخالط السوادُ بياضَ وبرها.

النِّقاب : جمع نَقَب وهو الطريق الضيق بين جبلين. والنِّقاب ايضاً : الطريق في الغَلظ.

السَّيرِج : السَّير الذي تُشدُّ به الخَدَمَةُ فوق الرسغ. والخَدَمَةُ : السَّير الغليظ المُحكَّم قبل الحلقة، يُشدُّ في رسغ البعير، ثم يُشدُّ إليها سرائحُ نعلها. (وَيُنْعَلُ خِفَ البعير بالجلد لكي لا يحفى).

مُسَيَّرٌ : فيه خطوط أو سيور. والسيور ج سَيْر وهو ما يُقَدُّ من الجلد طولاً.

« ان الخيل الكواسع، التي طردت الإبل، تعدو بأصحاب عروة متقية الحجارة لحسن نقلها، دافعةً أمامها الإبل الكريمة التي خالط السوادُ بياضها، القوية التي أُحكمت الخَدَمَاتُ فوق ارساغها وشُدَّت إليها سيورُ نعالها، فتجعلها تعجاز طرق الحجاز الضيقة الصعبة الى معاقلهم الجبلية، حيث أرضُ الشث والعرعر.

* * * * *

(١) الأبيات الثلاثة التالية موضع نزاع بين عروة وآخرين. فابن السكيت يذكر البيتين الأولين معاً ويذكر البيت الثالث في آخر القصيدة الرائية المذكورة أعلاه.

والأصفهاني يذكر البيتين الأولين، والبيت الثالث معداً، في مجموعة أبيات يُتبعها قوله : « من الناس من يروي هذه الأبيات لعروة بن الورد، وهي للعُجير السلولي، (الأغاني ج ١٣ ص ٦٤). وقد أورد أبو تمام البيتين الأولين في « حماسته » على أنهما لعروة. ولأن في الأبيات نفسَ عروة، فإننا نثبتها. وقد الحقناها بالقصيدة الرائية لأنها من بحر القصيدة ورويتها.

٢٧- سَلِيَ الطَّارِقُ الْمُعْتَرَّ، يَا أُمَّ مَالِكٍ ، إِذَا مَا أَتَانِي بَيْنَ قَدْرِي وَمَجْزَرِي،
الطارق : القادم ليلاً طالباً الضيافة.

المُعْتَرَّ : من الرجال الغليظ الضخم الكثير اللحم. وَعَتَرَ الرمح : اضطرب
وتراجع في اهتزاز.

والطارق المعتَر : الضيف القادم ليلاً يطلب القرى، مضطرباً، متردداً.
قَدْرِي : المقصود بها مكان إنضاج اللحم، حيث يُقَدَّم مطبوخاً.
مجزري : مكان النحر، حيث اللحم يُعطى نيئاً.

• يخاطب عروة زوجته سلمى التي يكنيها تارة « أم حسان » وتارة « أم
مالك » وتارة « ابنة منذر »، يدعوها لتسأل عنه الضيف الذي يأتي ليلاً،
مضطرباً متردداً، يطلب القرى، لحماً مطبوخاً من قَدْرِ عروة المنصوبة
دوماً، أو من مكان النحر وفيه يُقطع اللحم من الجُزور مباشرة.

٢٨- أَيْسَفِرُ وَجْهِي ؟ أَنَّهُ أَوَّلُ الْقَرَى، وَأَبْذُلُ مَعْرُوفِي لَهُ دُونَ مُنْكَرِي ؟

أَيْسَفِرُ وَجْهِي : المقصود : ألا يُسَفِرُ وجهي؟ ويُسفر : يتهلل بالبشاشة.
انه أول القرى : المقصود : لأنه (أي إسفار الوجه) أول القرى.
والقرى : أكرام الضيف والإحسان اليه.
معروفي : المعروف : الجود وحسن الصُحبة وغيرها من فضائل التعامل.
الْمُنْكَرُ : ضد المعروف، وهو كل ما قَبَحٌ وَحُرْمٌ.

• السؤال الذي كَلَّفَتْ أم مالك بطرحه على الضيف هو : هل يتهلل
وجه عروة لدى رؤيته فيلاقية بالبشاشة والترحاب وبذلك يكون القرى قد
بدأ ؟ وهل يقدم له عروة كل معاملة حسنة فيكرمه ويحسن صحبته،
ويتحاشى أن يريه ما يكره ؟^(١)

(١) في شرح التبريزي : المنكر : الحُرْم، بمعنى أنه لا يُكُنُّ عنه شيئاً سوى الحُرْم (ج ٣
ص ٦٥).

٢٩- يُرِيحُ عَلَيَّ اللَّيْلُ أَضْيَافَ مَاجِدٍ، كَرِيمٍ، وَمَالِي، سَارِحاً، مَالُ مُقْتَرٍ.

يُريح عليّ : يُعطيني^(١)، يهبني.

الماجد : العظيم الكرم^(٢).

المال : الإبل.

سارحاً : ذاهبة الى المرعى.

مُقْتَرٍ : فقير.

* ان إبلي، حين تسرح في المراعي، تبدو قليلة، إبلاً لانسان فقير ؛ لكن هذا لا يمنعني من القيام بواجب القرى نحو أضياف يحملهم الليل إليّ، هم في كثرتهم، كأضياف أي جوادٍ عظيم الكرم، غني.

٢١ - هل في كريم ماجد ما يعير ؟

(الطويل)

يرى عروة أن الانتماء العائلي عند العرب هو انتماء أبوي، وأن شرف النسب هو شرف نسب الأب والجد. فمتى حاز المرء كرم المحتد الأبوي، فلا شيء يُعاب عليه... اللهم الا أن يكون قومه مغرضين، يتناولونه بالنقد، أحسن أو أساء، وفي جميع الحالات التي يكون عليها : في الفقر وفي الغنى، في الشباب وفي المشيب، وهذا وضع عروة... ولعله، حين يحاول حصر كرم المحتد في الانتماء الابوي، يتجاهل عادة العرب المعروفة في تقدير من يجمع المجّد من طرفيه : كرم الام كرم الأب، وهذا التجاهل يقصده

(١) لسان العرب [روح] (ج ٢ ص ٤٦٥).

(٢) اساس البلاغة [مجد].

عروة لتغطية ثغرة معروفة في نسبه : فأمة نهديّة، وهذا الانتماء لم يكن يُشرفُهُ...

١ — عَفْتُ، بَعْدَنَا، مِنْ أُمِّ حَسَّانَ غَضُورَ، وَفِي الرَّحْلِ مِنْهَا آيَةٌ لَا تُغَيَّرُ،

عفا : درس وهلك، وأرض عافية : لم يُرْعَ نبتُها فوفر. وعفوة المرعى : ما لم يُرْعَ فكان كثيراً... عفت غصنور : درست وذهب أثر النزول فيها، أو هُجرت ولم يُرْعَ نبتُها فوفر.

غَضُورَ : ثنية بين المدينة وبلاد خزاعة، ولعلها عن منازل عروة وزوجاته. ولقد مرّ بنا أنها قد تكون آخر منزل حلّ فيه الشاعر وزوجته ليلي. ^(١) الآية : العلامة.

* ان عروة لم يعد ينزل غصنور، بعد أن فارقت أم حسان؛ هذه المنازل هُجرت واندثرت بينما سلمى لا تزال في نفسه باقية لا تزول، وعلى الرحل الذي كانت تعلوه علامة منها ثابتة لا تتغير.

٢ — وَبِالْغُرِّ وَالْغُرَّاءِ مِنْهَا مَنَازِلُ، وَحَوْلَ الصَّفَا، مِنْ أَهْلِهَا، مُتَدَوِّرُ

الْغُرِّ وَالْغُرَّاءِ : موضعان.

الصفا : موضع بمكة، واسم نهر بعينه. والصفا : اسم احد جبلي المسعى (الصفا والمروة). والصفا : العريض من الحجارة، الأملس.

الْمُتَدَوِّرُ : مكان الدوران، ويقصد به الدار لأن الدار سميت داراً، من دار، يدور لكثرة حركة الناس فيها.

* لم تعد سلمى تنزل غصنورَ، ولم تُعَدْ نحن ننزل فيها بعدها. صارت سلمى تنزل مع أهلها في الغرِّ والغُرَّاء والصفا، حيث دُورهم يطوفون بها ويدورون فيها.

(١) راجع ص ١٣٩.

٣ - لِيَالِنَا، إِذْ جِيْهَا لَكَ نَاصِحٌ، وَإِذْ رِيْحُهَا مِنْكَ زَكِيٌّ وَعَنْبَرٌ.

ليالينا : منصوبة على إضمار « أذكر »، أو على النداء.
جيْها ناصح : يقال : رجلٌ ناصِحُ الجيب : نقيُّ الصدر ناصِحُ القلب لا غشٍّ فيه. (كقولهم « طاهر الثوب » وكله على المثل). جيْها لك ناصح : قلبها صافٍ لك، وهي مخلصَةٌ (يخاطب نفسه).
ريْحها : رائحتها.

« إن أنس، لا أنس، ليالي الصفاء، حين كانت أم حسان تمحضني الرود وتقبل عليّ بقلبيها المحب، وجسدها الذي نضحته بالمسك والعنبر.

٤ - أَلَمْ تَعْلَمِي، يَا أُمَّ حَسَّانَ، أَنَا خَلِيْطَا زِيَالٍ، لَيْسَ عَنْ ذَاكَ مَقْصَرٌ؟

الخليط : أقوامٌ يجتمعون في مُتَجَعٍ أيامَ الكلاء، فيتقاربون ويتآلقون. فإذا اختلفوا ورجعوا إلى أوطانهم، أحسوا بفصّة الفراق. والخليط : الشريك، الصاحب.

الزيال : الفراق. وخليطا زيال : شريكان أو صاحبان جمعتهما ظروفٌ عارضة، تزول حتماً ويأتي الفراق في نهايتها.
مَقْصَرٌ : الإقصار : الكف عن الشيء ومنع حدوثه.

« إذا كنا سعيدين، يا أم حسان، ولم تدم سعادتنا فهذا أمرٌ طبيعي؛ اننا شركاء في حياة محدّدة لفترة محدودة، يأتي بعدها فراق حتمي لا يمكن منعه. ^(١)

(١) قد يكون قصدُ عروة بالفراق فراقَ الأحباب الذي تفرضه ظروفُ الحياة في البادية، الظروف التي لا تستقر، شأنَ الفراق الذي يأتي حكماً في نهاية الانتجاع حين يتفدّ العشبُ ويعودُ الخليطُ كلٌّ إلى منزله.

وقد يكون قصده إعطاءَ حكمةٍ عامةٍ مفادها أن الحياة، بمجملها، لقاءٌ عارضٌ بين =

٥ - وَأَنَّ الْمَنَايَا تُغَرُّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ فَهَلْ ذَاكَ، عَمَّا يَتَغَيُّ الْقَوْمُ، مُخَصِّرٌ؟

الثغر : الثُّلَمَة، الفتحة، كل فُرْجَةٍ في جبلٍ أو بطنٍ وادٍ.

الثَّيَّة : الطريق في الجبل كالنِّقَب.

مُخَصِّرٌ : مانع، من أَخَصَرَهُ : منعه من حاجة يريدُها.

* كل طريق طويل صعب ينتهي الى انفراج. كذاك طريق الحياة الشاق، نهايته فُرْجَةُ الموت. إلا أن ذلك لا يمنع الناس من التمني، والعمل على تحقيق الأماني.

* ومعنى البيتين السابقين معاً :

إن كل اجتماعٍ في هذه الدنيا موقتٌ آخره فراق، وهذا لا يمنعنا من أن نلتقي ونجتمع، طالما أمكننا الاجتماعُ، كما أن الموتَ متربصٌ بالناس، في آخر درب حياتهم، وهذا لا يمنعهم من أن يجذّوا ويسْعُوا الى تحقيق مطالبهم.

٢ - وَغِبْرَاءَ مَحْشِيٍّ رِذَاهَا، مَخُوفَةٍ، أَخْوَهَا، بِأَسْبَابِ الْمَنَايَا، مُغَرَّرٌ،

وغبراء : رُبُّ مَفَاذٍ غِبْرَاءَ، وهي التي لا يُهْتَدَى الى الخروج منها.

رِذَاهَا : الموت فيها.

مَخُوفَةٍ : مُحِيفَةٍ، تخافها الناس. والمَخُوفَةُ هي ايضاً الطريق المخيف.

أَخْوَهَا : المعني بها أو باجتيازها.

أسباب المنايا : وسائل الموت وأساليبه.

مُغَرَّرٌ : مأخوذ على حين غفلة، من الغَرَر: وهو ما كان له ظاهر مقبول وباطن

مجهول. ويقال: غَرَّرَ بنفسه : اذا حملها على غير ثقة. واغتررتُ الرجل : طلبتُ

غفلته.

= الناس، يأتي بعده موتٌ حتميٌّ يُفَرِّقُهُم. وهذا المعنى يؤكد البيت التالي.

٧ - قَطَعْتُ، بها شَكُّ الخِلاج، ولم أَقُلْ، لِخَيَّابَةِ هَيَّابَةٍ: كَيْفَ تَأْمُرُ؟

قطعت : اجتزت (يقصد قطعتها).

الشكُّ : ظَلَعٌ خفيف (عَرَجٌ وَغَمَزٌ في المشي) يصيب البعير.

الخِلاج : جمع، مفردة، الخَلُوج : وهي الناقة التي. تَخْلُجُ السَّيْرَ من سُرْعَتها (أي تجذبه).

شَكُّ الخِلاج : الظَّلَعُ يصيب النوق السريعة (بها شك الخِلاج : صفة أخرى للغبراء المذكورة في البيت السابق).

خَيَّابَةُ هَيَّابَةٍ : في المثل : الهيبة خيبة.. وسعيه في حَيَّاب بن هَيَّاب، أي في خسار. ولا يقولون منه خاب ولا هاب.

كَيْفَ تَأْمُرُ : كناية عن السؤال، والطلب من شخص عن طريق عرض الخدمات عليه.

• ومعنى البيتين :

رُبَّ صحراء لا يَهْتَدِي الدَّاخلُ فيها الى الخُروجِ منها، مخيفة يخشاها الناسُ، خطرة يترَبَّص الموتُ في انحائها، أخطرُ ما فيها أن أسباب الردى خفيةٌ تَخْدَعُ مَنْ يجتازُها فلا تَظْهَرُ له على حقيقتها الى أن تأخذه على حين غرة، وهي مُجْهِدَةٌ، طويلةٌ شاقَّةٌ تُصاب النوق السريعة فيها، بالظَّلَع، هذه المفازة قطعتها، مفضلاً ركوبَ مخاطرها على سؤالٍ لئيمٍ لا أجني منه الا الخَسار.

٨ - تَدَارَكَ عَوْذًا، بعدما ساءَ ظَنُّها، بِمَاوَانَ، عِرْقٍ، مِنْ أُسامَةٍ، أَزْهَرُ. ٢

عَوْذٌ : فرع من عبس ينتمي الى عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض. ^(١)

(١) ابن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الانساب ج ٢ ص ٣٦٣.

ماوان : واد فيه ماء بين النقرة والربذة (يذكره عروة في قصته مع أصحاب الكنيف)^(١).

أسامة : ترجّح أنه فرع من فزارة كان منه مالك بن حمار الذي اسدى النصيحة لعروة بشأن مسيره مع أصحابه من جماعة الكنيف وساعدهم وأطعمهم.
أزهر : نير، صاف، مشرق.

* يظهر عروة، في هذا البيت، وكأنه يحاول اعطاء حدود لمعنى الأنفة المطلق الذي تجلّى في البيت السابق، مستثنياً مالك بن حمار من وصف الخيابة الهيابة السابق، ومشيراً الى اليد التي اسداها اليهم مالك (وهو عرق اسامة المشرق) فردّت اليهم الروح، بعد أن شارفوا على الهلاك، ومع الروح حسن الظنّ بالناس.

٩ - هُمْ غَيَّرُونِي أَنْ أُمِّي غَرِيْبَةٌ، وَهَلْ فِي كَرِيمٍ مَاجِدٍ مَا يُعَيِّرُ؟

الكَرَم : نقيض اللؤم، يكون في الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء كرام.
المجد : الأخذ من الكرم والسؤدد ما يكفي، وهو كرم الآباء خاصة.

* غَيَّرَنِي قَوْمِي أَنْ أُمِّي غَرِيْبَةٌ عَنْهُمْ، وَلَكِنْ، إِذَا كَانَ الْمَرْءُ قَدْ أَخَذَ نَصِيحَتَهُ مِنْ كَرَمِ الْآبَاءِ وَالسُّؤْدُدِ، وَاکْتَسَبَ شَرَفَ الْفِعَالِ، فَبَأَيِّ شَيْءٍ يُعَيِّرُ؟

١٠ - وَقَدْ غَيَّرُونِي الْمَالُ، حِينَ جَمَعْتُهُ، وَقَدْ غَيَّرُونِي الْفَقْرُ، إِذَا أَنَا مُقْتَرٌ
مُقْتَر : فقير، مُقِلّ.

(١) راجع قصيدته على الحاء (ص ١٠٤ من البحث).

« إن قومي لا يقيسون العارَ على اعمالي بل على شخصي. فحقدُهم عليّ يجعلهم يُعَيِّرُوني جميعَ أحوالي : يُعَيِّرُوني الغنى، حين أغتني، ويعَيِّرُوني الفقرَ حين أنفق فأفقر.

١١- وَغَيَّرَنِي قَوْمِي شَبَابِي وَلَمَّتْنِي، متى ما يَشَا زَهْطُ امْرِئٍ يَتَغَيَّرُ

اللِّمَّةُ : شعر الرأس (اذا كان فوق الفروة) حين يُجاوِزُ شحمةَ الأذن. فإذا بلغت المنكبين فهي جُمَّة. ^(١) ويبدو أن ارسال شعر الرأس، على هذه الطريقة، « تسريحة » خاصة بالشبان.

واللِّمَّةُ : اصحاب الرجل، اذا أراد سَفراً فأصاب من يصحبه فقد أصاب لِمَةً ^(٢). وقد تكون اللِّمَّة بالضم ويقصد بها الشاعر أصحابه (ولطالما لاه قومه على هذه الصَّحبة).

* ان قومي عَيَّرُوني شبابي وارسالي شعر رأسي (أو عَيَّرُوني صحبتي) فهم يتعَيِّرُونني ما يخطر ببالهم لا ما يصحَّ أن يكون مأخذاً عليّ.

١٢- حَوَى حَيُّ أَحْيَاءِ شُتَيْرِ بْنِ خَالِدٍ، وقد طَمِعَتْ، في غَنَمِ آخَرَ، جَعْفَرُ

الحَيِّ : البطن من بطون العرب.

أَحْيَاءُ : أناس (أَحْيَاء) وَحَيَّ أَحْيَاءُ : حَيَّ أناس.

شُتَيْرِ بْنِ خَالِدٍ : رجل من أعلام العرب، كان شريفاً.

جَعْفَرُ : أبو قبيلة من عامر، وهم الجعافرة.

* ان القبائل تتباهى بالانتماء إلى الاعلام الشرفاء أو بانتمائهم اليها.

(١) في الحديث : « ما رأيت ذا لِمَةٍ أحسن من رسول الله ﷺ » (لسان العرب ج ١٢ ص ٥٥١ مادة [لم]).

(٢) ضبط الكلمة، والتعريف، من لسان العرب ج ١٢ ص ٥٥١، مادة [لم].

فالناس في أحد البُطون يَفخرون بأن يكون منهم شَتِير بن خالد، وبنو جعفر
يأملون أن يكسبوا علماً آخر اليهم.

١٣- ولا أنمي إلا لجار مجاور، فما آخر العيش الذي أُنْتَظَرُ؟

* أنا لا أدخل سباق الانتماء هذا لأنني لا أنتظر الكثير من هذه الحياة
(أزهد بها). وإنني أقبل جوار أي من الناس يقع منزله قرب منزلي.

٢٢ - يوم التخائق^(١)

(الطويل)

قيل : غزت بنو عامر يوم شَعَر ؛ وهم يريدون أن يصيبوا شيئاً
ويدركوا بثأرهم في شعر. وكان أول من لَقُوا يومئذ بني عبس،
فانكشفوا وأصيب ناسٌ منهم من بني جعفر خاصة، فزعموا أن ابن
الطفيل، وكان غلاماً شاباً، أدركه العطشُ فخشي أن يؤخذ فخنقَ
نفسه حتى مات، فسَمِيَ ذلك اليوم يومَ التَّخَائِقِ. فقال عروة :
١ - وَلَحْنُ صَبَّخْنَا عامراً، إِذْ تَمَرَّسْتُ، غَلَالَةَ أَرْمَاحٍ وَضَرْباً مُدَكِّراً،

صَبَّحَ الْقَوْمَ : أتاهم في الصباح لِخَيْرٍ أو لِشَرٍّ.

تَمَرَّسْتُ : (بنا) تَعَرَّضْتُ لَنَا بِالشَّرِّ^(٢).

غَلَّةٌ (ضرباً) : تابع عليه الضرب^(٣) وَغَلَالَةُ أَرْمَاحٍ : طعنًا متتابعًا
بالرماح.

(١) هو يوم الرِّقَم، كما جاء في العقد الفريد (ج ٥ ص ١٦٠) والحكم بن الطفيل هو
الذي خنق نفسه تحت شجرة مخافة المثلة.

(٢) أساس البلاغة. [مَرَسَ].

(٣) أساس البلاغة [غَلَّلَ]

مذكّر : صلب، قاسٍ، شديد. (والعرب تضرب الإذكار مثلاً لكل مكروه) ضرباً مذكّراً : ضرباً (بالسيوف) شديداً.

٢ — بِكُلِّ رُقَاقٍ الشَّفَرَتَيْنِ، مُهَنْدٍ، وَلَدْنٍ مِنَ الْخَطِيِّ، قَدْ طُرَّ، أَسْمَرًا.

رُقَاقِ الشَّفَرَتَيْنِ : كناية عن السيف الرقيق الحدين.

المهَنْدُ : السيف المطبوع من حديد الهند. وهَنْدُ السيف : شَحْذُهُ.

لَدْنٍ : رُمَحٌ لَدْنٌ : لَيِّنُ الْمَهْزَةِ.

الْخَطِيُّ : الرمح المنسوب الى « خطّ » وهو موضع باليمامة تنسب اليه

الرماح الخطية التي تُنْقَلُ اليها من بلاد الهند. ^(١)

طُرَّ : (سِنَانُهُ) من طَرَّ الحديدية : أَحَدَّهَا، وَطَرَّرَ السِّينَانَ : حَدَّهُ.

الْأَسْمَرُ : الرمح تُؤْخَذُ قَنَاتُهُ وَقَدْ أُدْرِكَتْ فِي غَايَتِهَا وَنُضِجَتْ وَيَسَتْ، فَإِذَا

قُوِّمَتْ نَخَرَجَتْ سَمَرَاءً.

* معنى البيتين : لما تعرّض لنا بنو عامر بالشرّ، أتيناهم في الصباح وأمعنا

فيهم طعناً متتابعاً برماحنا الخطية، اللينة المهزّة، السمراء، المَحْدَدَةِ السِّينَانَ،

وضرباً شديداً بكل سيفٍ رقيق الحدين مطبوعٍ من حديد الهند.

٣ — عَجِبْتُ لَهُمْ، إِذْ يَخْنِقُونَ نَفُوسَهُمْ، وَمَقْتُلُهُمْ، نَحْتُ الْوَعَى، كَانَ أَغْدَرًا!

الْوَعَى : كناية عن الحرب. وهي، في الأصل، الصوت والجلبة يحدثهما

المتحاربون.

أَغْدَرٌ : أَدْعَى لِلنُّجْحِ وَالْغَلْبَةِ، مِنَ الْعُدْرِ : النُّجْحِ. ويقال في الحرب : لِمَنْ

الْعُدْرُ؟ ^(٢) أي لمن النُّجْحُ والغلبة ؟ وَأَغْدَرُهُ : جعل له عذراً.

(١) لسان العرب ج ٧ ص ٢٩١ [خط]

(٢) لسان العرب ج ٤ ص ٥٥٤ [عذر].

* يشير عروة الى حادثة ابن الطفيل الذي خنق نفسه، بدلاً من أن يموت في القتال ويقول : كيف يخنق الانسان نفسه ليموت وموته في الحرب أدعى للنجاح والغلبة ؟

٤ — يَشُدُّ الحَلِيمُ مِنْهُمْ عَقْدَ حَبْلِهِ، أَلَا إِنَّمَا يَأْتِي الَّذِي كَانَ حُذْرًا !

الحليم : ذو الحلم، أي الأناة والعقل.
حُذِرَ : حُذِرَ منه ولعله يقصد : الموت بسيوف بني عيس الذي حُذِرَ منه.

* ان الموت بسيوف بني عيس ورماحهم أمرٌ معروفٌ سَمِعَ به بنو عامر وحُذِرُوا منه. لذلك هم اضاعوا صوابهم يوم اللقاء لشدة اضطرابهم، فكان الحليم منهم يَشُدُّ الحبلَ حولَ عُنُقِهِ ليقْتَلَ نفسه، حَذَرَ الموت بسيوفنا، والموت هو موت بسبينا في الحالين.

٢٣ — بخل ابن أكثم

(الكامل)

تَلَمَسَ عند عروة ثورةً على البخل وعلى الجبن، فهو يهاجمهما في جميع أشكاليهما، لكنه نادراً ما يذكرُ جباناً بالاسم أو بخيلاً. من هذه الحالات القليلة، المقطوعة التالية يهجو بها بني أكثم، من أنمار، وَيَصِفُهُم بِالْبَخْلِ صفةً ملازمةً لهم في جميع أحوالهم :

١ — أَخَذْتُ مَعَاقِلَهَا اللَّقَاحُ لِمَجْلِسٍ. حَوْلَ ابْنِ أَكْثَمٍ، مِنْ بَنِي أُنْمَارٍ

المعاقل : حيث تُعْقَلُ الإبل (أي تُرْبَطُ). وهي أيضاً الأماكن الحصينة المنيعة.

اللِّقَاحُ : ذواتُ الألبان من الإبل. واحداً لها لُقُوح ولِقْحَة.

* ان النوق الغزيرة الألبان تُجمع وتُعقل حول منزل ابن اكثم الأنماري،
حيث تمتنع على الطالبين.

٢ - وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِلَيْلٍ دَامِسٍ ، وَلَقَدْ أَتَيْتُ سَرَائِكُمْ بِنَهَارٍ ،
دَامِس : شديد الظلمة.
السَّراة : الأشراف.

* أكّد عروة في البيت السابق أن ابن اكثم ذو مال وهذه مقدمة ضرورية
ليقول عنه انه اذا لم يُعطِ هو ورهطه فلأنهم بخلاء. ولإثبات بخليهم يُعدّد
الحالات التي قصدهم فيها فلم يتلّ عطاءهم : قصدهم في ليل شديد
الظلمة، حين يجب القرى، وقصد أشرافهم في وضح النهار، حيث يحلو
العطاء.

٣ - فَوَجَدْتُكُمْ لِقْحاً حُبْسَنَ بِخُلَّةٍ ، وَحُبْسَنٌ^(١) ، إِذْ صُرَّيْنِ ، غَيْرَ غِزَارٍ .
لِقْح : ج لُقْحَة، وهي الناقة، من حين يَسْمَنُ سَنَامٌ ولِدَها حتى يمضي لها
سبعة أشهر ويُفصل ولُذْها. أو هي ج لُقْحَة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن.^(٢)
خُلَّة : أرض ليس بها حَمَض. (الخلّة : كُل نبت حلو ، ويقال: الخلّة نخبز
الإبل، والحَمَض لحمها أو فاكهتها أو خبيصتها.)^(٣)
صُرَّيْن : من صُرَّى الشاة تصريةً اذا لم يحلبها أياماً، حتى يجتمع اللبن في
ضرعها فيغزر عند الحلب. وأكثر ما يكون ذلك عندما تُباع الناقة، لخداع
الشاري.

(١) في رأينا أن هنا خطأ في النقل وأن الكلمة محرّفة عن حُلبن، فهي انسب للمعنى الذي
ذهب اليه عروة لأن الغزارة أو قلتها تظهران في الحلب لا في حبسه.

(٢) لسان العرب ج ٢ ص ٥٨١ [لقح].

(٣) لسان العرب ج ١١ ص ٢١٢ [خلل].

* يرى عروة أن بني أكنم ذوو ثروة كبيرة، لكنها ثروة لا فائدة منها لأنهم يحبسونها ويمنعونها عن الناس. وهم بذلك، أشبه بالناقة ذات الولد تُحبس عن ولدها في أرضٍ مرعاها الخُلَّة التي يكثف اللبن أكلها، ثم تُترك أياماً بلا حَلَب ليغزَّر لبنها، وحين تُحلب لا تدُر كثيراً، فلا صاحبها يفيد منها، ولا فصيلها ينال حظّه من لبنها.

٤ — مَنَعُوا الْبِكَارَةَ وَالْإِفَالَ كِلَيْهِمَا، وَلَهُمْ أَضْنُ بِأَمِّ كُلِّ حُورٍ

الحُور : وَلَدُ الناقة من حين يوضع الى أن يُفطم ويُفصل فيصبح الفصيل.
منعوا : لم يُعطوا.

البِكَارة : جمع بَكَر وهو الفتى من الابل الى أن ييزل (يخرج نابه)
فيصبح جملاً.

الإفال : صغار الإبل، بنات المخاض ونحوها.
أضنّ : أكثر بخلًا.

* ان بخل بني أكنم يشمل جميع أنواع العطاء. فهم يضمنون بالجمال الفتى، وهم يضمنون بالفصيل الصغير، أما الناقة الأم فهم أضنّ بها وأشدّ تمسكاً.

٢٤ — قَدْ بَلَغَتْ دَارُ الْحِفَاطِ قَرَارَهَا

(الطويل)

حين قَتَلْتُ طِيءَ عَنْتَرَةَ، قال عامرُ بن الطفيل : لا تَرَكَ اللهُ لطيءٍ
أنفًا ألا جدعه : أمّا علينا فليوثّ، وأمّا على جيرتهم فلا شيء، وقد
قتلوا فارسَ العرب...

ثم غزت عبسٌ طيئاً فسبّوا نساءً خارجاتٍ من الجبل. فتبعتهم

طِيءَ فَقَاتَلَهُمُ الْعَبَسِيُّونَ حَتَّى رَدَّوهُمْ إِلَى جِبَلِهِمْ، وَجَاءُوا بِالنِّسَاءِ
إِلَى بَنِي عَبَسَ... فِي ذَلِكَ يَقُولُ عُرْوَةُ، مَطْمَئِنَّا قَوْمَ ابْنِ الطَّفِيلِ
وَمَعْرُضًا بَيْنِي وَطِيءَ...

١ - أَتَبْلُغُ لَدَيْكَ عَامِرًا، إِنْ لَقِيتَهَا، فَقَدْ بَلَغْتَ دَارَ الْحِفَافِ قَرَارَهَا:

الحِفَافُ : (والمحافظة) بمعنى الذب عن المحارم والمنع لها عند
الحروب، أو المحافظة على الحُرْم ومنعها من العدو.
الحِفَافُ : والحِفظَة والحِفيظَة : الغضب لحُرْمَة تنتهك أو جار ذي قرابة
يُظْلَم أو عهد يُنكث.^(١)

دار الحِفَافِ : دورة الغضب والحِفيظَة والحقْد.

القرار : الهدوء والاستقرار. صار الأمر إلى قراره : تنهى وثبت.

* يخاطب عُرْوَةُ الوسيطَ الوهميَّ المعروف في الشعر الجاهلي، وهو
يتوقع منه أن يمرَّ بيني عامر، فيطلب إليه، إذا صادفهم، إخبارهم أن دورة
الغضب والحقْد التي عرفتْها عَبَسَ (ولعل ذلك إثر مقتل عنترة) قد بلغت
مستقرًّا لها وهدأت، لأن بني عَبَسَ قاموا بعمل شفى ما في نفوسهم
(ويفصل عُرْوَةُ ذلك في الآيات التالية).

٢ - رَحَلْنَا مِنَ الْأَجْبَالِ، أَجْبَالِ طِيءٍ، نَسْرُقُ النِّسَاءَ، عُوْذَهَا وَعِشَارَهَا

أَجْبَالِ طِيءٍ : هي ثلاثة : أجأ وسلمى والعوجاء.

عُوْذَهَا : جمع عائد وهي كل انثى إذا وضعت، مدة سبعة أيام، لأن ولدها
يعودُ بها.

عِشَارَهَا : جمع عُشْرَاء وهي ناقة مضى لحملها عشرة أشهر. وأحسن ما

(١) لسان العرب ج ٧ ص ٤٤٢ [حفظ].

تكون الإبل، وأنفسها عند أهلها، اذا كانت عشاراً... وقد اتسع في هذا حتى قيل لكل حامل: عُشْرَاء. (وأكثر ما يُطلق على الخيل والإبل).

« جئنا جبال طيء غازين، وعدنا منها نسوق أمامنا السبايا من كل امرأة حامل وأخرى حديثة الولادة. ^(١) »

٣ - تَرَى كُلَّ بِيضَاءِ الْعَوَارِضِ طَفْلَةً تُفْرِي، إِذَا شَالَ السِّمَّاكُ، صِدَارَهَا،

العوارض : (جمع عارض) وهي الثنايا، أو هي أربع أسنان تلي الأنياب. وبياضُ العوارض صفةٌ محببة.

طَفْلَةٌ : رخصة، طرية، والصفتان تدلان على الرفاهية.

تفري : تشق وتمزق.

شال : ارتفع.

السِّمَّاكُ : نجم وهو أحد اثنين هما السِّمَّاكان (احدهما الراح والآخر الأعزل) وارتفاعه في السماء دليل على قرب طلوع الفجر.

صِدَارَهَا : الصدر : ثوبٌ رأسه كالمقنعة وأسفله يغشي الصدر والمنكبين، تلبسه المرأة. وهو ايضاً قميص صغير يلي الجسد. وشق الثياب عادة عند العرب مرتبطة بالهلع وشدة الحزن.

٤ - وَقَدْ عَلِمْتُ أَنْ لَا انْقِلَابَ لِرَحْلِهَا، إِذَا تَرَكْتُ، مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، دَارَهَا

انقلاب الرحل : عودة الراحلة.

آخر الليل : وقت هذه العملية وهو أفضل وقت لمباغطة العدو.

(١) في وصف النساء ضمن هذا الإطار امعان من عروة في ايلام طيء والتشفي منها. ذاك أن نساءها، الحوامل والمرضعات، اللواتي هن في أشد الحاجة الى الرعاية والحماية، أجبرن على تحمل مشقة السير ودل الأسر.

« معنى البيتين : ان المرأة المُحصنة، البيضاء الاسنان، الرخصة الطرية، حين تقع في الأسر ويمر عليها الليل الى آخره حتى يرتفع السِماك في السماء مؤذناً بقرب طلوع الفجر، تفقد الأمل في العودة الى ديارها ويصيبها الهلع فتراها تمزق قميصها الذي يلي جسدها (كأنها تندب نفسها).

٢٥ — الموت في طلب الغنى خير من الحياة مع الفقر

(الطويل)

يبدو أن عروة كان مُبتلىً بجماعةٍ من القعدة قليلي الهمة، يريدون أن يأتي رزقهم اليهم بلا سعي ولا جهد ؛ لذا كثر في شعره الحَضُّ على طلب المعاش ورفض الاستكانة والترفع عن قبول العطاء لان فيه الذل والصغار. يقول :

١ — إذا المرء لم يَطْلُبْ مَعَاشاً لِنَفْسِهِ شكا الفقر، أو لام الصديق فأكثر،

• حين يشكو المرء الفقر ويكثر من لوم اصدقائه واتهامهم بالتخلي عن مساعدته، يكون هو المقصّر الفعلي : فالعلة هي في تَحْلِيهِ عن طلب المعاش لنفسه، واللوم يقع عليه لا على الآخرين.

٢ — وصار على الأدين كلاً وأوشكت صلات ذوي القربى له أن تنكراً.

الأدين : (جمع الأدنى) هم أقرب العشيرة نسباً.
كلاً : الكل : المصيبة تحدث. والكل : الذي هو عيال وثقل على صاحبه.
تنكراً : تنكر : أي تتغير الى مجهول، تتجاهل.

• ان المتقاعس، الشاكي، اللائم، يصبح عبئاً يُثقل على عشيرته الأقربين، فيميلون الى التخلص منه وانكار صلة قرباه بهم.

٣ — وما طَالِبُ الحاجاتِ، مِنْ كُلِّ وَجْهٍ مِنَ النَّاسِ، إِلَّا مَنْ أُجِدَّ وَشَمَّرَا
أُجِدَّ : صارَ ذا جِدٍّ واجتهاد.
شَمَّرَ : مَرَّ جاداً.

* ان صاحب الهمّة يمرّ جاداً ويسعى مجتهداً لتحقيق امنياته، فيتوجّه
كل وجهة ويتصل بجميع الناس.

٤ — فَسِرْ فِي بِلَادِ اللَّهِ، وَالتَّمِسِ الْغِنَى، تَعِشْ ذَا يَسَارٍ، أَوْ تَمُوتْ فَتَعْدِرَا،
إِلْتِمَسَ : أَطْلَبَ.
يَسَارٌ : سهولة، غنى.

* اذا أردت الغنى، سير في بلاد الله سعياً وراءه. فإذا نلتَه عشتَ في
بحبوحه، واذا مُتَّ دونه عَدَرَكَ النَّاسُ بِأَنَّكَ حَاوَلْتَ وَلَمْ تَتَقَاعَسْ.

ملحق^(١)

٥ — وَلَا تَرْضَ، مِنْ عَيْشٍ، بِدُونِ وَلَا تَتَمَّ وَكَيْفَ يَنَامُ اللَّيْلَ مَنْ كَانَ مُعْسِراً؟
دُونٌ : تستعمل للتحقير.
مُعْسِرٌ : فقير.

* ولا ترض بالعيش الخسيس ولا تنم مستسلماً الى الفقر، لأنك لن تنام.
فمن كان مصاباً بالفقر لا يستطيع نوماً. (هذا ما يظنه عروة ذو النفس
الأيّية).

(١) هذا البيت منسوب الى عروة في الحماسة البصرية. (انظر ابراهيم الخواجه ص ١٥٦)
وهو غير مثبت في الديوان.

٢٦ - للغني رب غفور

(الوافر)

تتكرر دعوة عروة الى السعي في طلب الرزق، والى رفض الفقر، لأن الفقير محتقر مكذب، بينما الغني يلقى كل اهتمام واحترام. وهذه الأبيات هي التي قيل إن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب طلب من مربى اولاده ألا يروّيهم اياها، لأنها تدعوهم الى الاغتراب عن أوطانهم.

١ - دَعِينِي^(١) لِلْغَنَى أَسْعَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ، شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ،

* مرة أخرى يتوجه عروة بالخطاب الى زوجته. فهي تُعَاتِبُهُ على كثرة اسفاره واستمرار مغامراته، وهو يحاول إقناعها بأن السعي غني والقعود فقر. والفقير هو شر الناس، لا لشيء الا لأنه فقير.

٢ - وَأَبْعُدُهُمْ وَأَهْوَلُهُمْ عَلَيْهِمْ،^(٢) وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسَبٌ وَخَيْرٌ،

الخير : الهيئة، الأصل.

* لأن الفقير هو شرُّ الناس، فهم يبعدون عنه، يتحاشونه، ويستهيئون به، لا يشفع له، في فقره، حَسَبٌ أو أصلٌ وحسنُ هيئة.

٣ - وَيُقْصِيهِ النَّدَى، وَتَزْدْرِيه خَلِيلَتُهُ، وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ؛

ازدري : احتقر.

(١) في البيان والتبيين : ذريني (ج ١ ص ٢٣٤).

(٢) في البيان والتبيين : « وأهولهم وأحقهم لديهم » ج ١ ص ٢٣٤.

نَهَر : زَجَر.

النَدَى : المجلس، ما دام القوم مجتمعين فيه. ومثله النادي. وتطلق على أهل المجلس.

* ان احتقار الفقير عامٌّ شاملٌ، يصدر عن الجماعة، كما يصدر عن أقرب الناس اليه. فأهل النادي يستبعدونه عنهم، وزوجته تحتقره. حتى ابنه الصغير يصرخ في وجهه ويَزْجُرُه.

٤ — وَيُلْفَى^(١) ذُو الْغَنَى، وَلَهُ جَلَالٌ يَكَادُ فَوَادُ صَاحِبِهِ يَطِيرُ،

جَلَالٌ : تعظيم.

يطير فَوَادُه : يخاف.

* بالمقابل تجد الغني محاطاً بالاحترام والتعظيم حتى ليخاف من حوله أن يقصّروا بحقه والاهتمام به.

٥ — قَلِيلٌ ذَنْبُهُ، وَالذَّنْبُ جَمٌّ، وَلَكِنْ لِلْغَنَى رَبٌّ غَفُورٌ !

جَمٌّ : غفير، كثير.

* على الغني لا تُحسب الذنوب، وإن كانت كثيرة. فكأن الرب يُراعيه، وينحاز اليه فيتغاضى عن ذنوبه.

(١) في العقد الفريد : وَيُلْفَى ذَا الْغَنَى (ج ٣ ص ٢٩) كذلك في البيان والتبيين ج ١ ص ٢٣٤.

٢٧ — ملحق بحرف الراء

(الرجز)

ينسب ابنُ منظور البيتَ التالي الى عروة في معرض استشهاده على معنى « الخَوَزَرى ».

— والنَّاشِئَاتِ المَاشِيَّاتِ الخَوَزَرَى كَعُتُقِ الآرَامِ أَوْفَى أَوْ صَرَى^(١)

الناشيئ : الحَدَث من الناس الذي جاوز حَدَّ الصَّغَرِ. وكذلك الأنثى ناشيء (بدون هاء) أيضاً. والجمع منها نَشَاءٌ ونَشَاءٌ^(٢). وقد أُنْثِيا عروة بالهاء وجمعها جمع مؤنث سالمٍ على غير استعمالها المعروف.

الخَوَزَرَى : تَبَخَّرَ في المشي (ومثلها الخَوَزَرَى).

أَوْفَى : أَشْرَفَ، أَطَلَّ.

صَرَى : رَفَعَ رَأْسَهُ.

* الفتياتُ الناشئاتُ يمشين مُتَبَخِّراتٍ، رافعاتِ الرأسِ عن غرور بحُسنهن، كظبي يرفع رأسه أو يمدّه لِيُطَلَّ من مكان مُشرف. (والظبيُّ، في كلا الحالين، يَعرَضُ جيده فيبدو بكاملِ حسنه المعروف عنه.)

(١) انظر لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٧ [خزر] والمفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٤ ص ٣٠٦.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٧٠ [نشأ].

حرف العين

٢٨ — أُحِبُّ وَأَنْهَقُ لَا تُضِيرُكَ خَيْرٌ

(الطويل)

حكى الهيثم بن عدي أن عروة الصعاليك وأصحابه قصدوا خيبر
يمتارون بها. فلما وصلوا الى بابها، عَشَرُوا خوفاً من وباء خيبر.
وأبى عروة أن يُعَشِّرَ وقال :^(١)

١ — وقالوا: احبُّ وأنهقُ، لا تُضِيرُكَ خَيْرٌ^(٢) وذلك، من دين اليهود، وَلَوْعُ،
أُحِبُّ : ازحف. وحبا : مشى على يديه وبطنه.

(١) آثار البلاد وأخبار العباد (ص ٩٢) وجاء فيها : « كان الرجل من العرب، اذا دخل
خيبر، أكبَّ على أربع وعشرَ تعشير الحمار، وهو أن ينهق عشر نهقات متابعات ؛
يفعل ذلك ليدفع عن نفسه حمى خيبر ». وجاء في لسان العرب تعميم اكبر : « يزعمون
أن الرجل، اذا وردَ أرض وباء، وضع يده خلف أذنه فتنهق عشر نهقات نهيق الحمار، ثم
دخلها، أمن من الوباء. » (لسان العرب ج ٤ ص ٥٧٢ مادة عشر).

وفي معجم البلدان قصة مشابهة ونهايتها أن صاحب عروة الذين عَشَرُوا ماتوا وسلم
هو. (ج ٣ ص ٨٤) ووردت القصة في الحيوان ج ٦ ص ٣٥٩.

(٢) خيبر : حصون على ثمانية برد (البريد فرسخان) من المدينة لمن أراد الشام، ذات
نخل ومزارع كثيرة. وهي موصوفة بكثرة الحمى التي لا تفارق أهلها، وهم من اليهود.
(آثار البلاد وأخبار العباد ص ٩٢).

وانهق : قلّد صوت الحمار.

لا تُضيرُك : لا تؤذيك.

من دين اليهود : في اعتقادهم.

ولوع : تعلق (من الحمى بالناس).

* قالوا : ازحف وقلّد صوت الحمار لتنجو من الحمى، وذلك اعتقاد من يهود خيبر ان حُمّاها مولعة بالناس، دون الحيوانات. (فمن يزحف وينهق يقوم بعملية تمويه على الحمى، ويحاول اقناعها بأن من أمامها ليس بشراً وإنما هو حمار. فاذا اقتنعت بذلك عافته).

٢ — لَعَمْرِي، لئن عَشَّرْتُ^(١)، مِنْ حَشِيَّةِ الرَّدَى، نُهَاقَ حِمَارٍ^(٢)، إِنِّي لَجَزُوعٌ

عَشَّرْتُ... نُهَاقَ حِمَارٍ : رَدَّدْتُ النهيق عشر مرات.

حشية الردى : خوف الموت. (والفارس الشجاع لا يخاف الموت).
جزوع : كثير الاضطراب والخوف، قليل الصبر على الشدائد.

* لو أنني أقبل أن أزحف وأنهق كالحمار عشر مرات، خوفاً من الموت، أكون جباناً رعديداً قليل الصبر على المكاره.

٣ — فَلَا وَالَّتِ تِلْكَ النُّفُوسُ، وَلَا أَنتُ، عَلَى رَوْضَةِ الاجْدَادِ، وَهِيَ جَمِيعُ

وَأَلَّتِ : نَجَتْ. والموئل : المكان الذي يَحْتَمِي فيه المرء لينجو.
الروضة : عشب وماء. وهي أيضاً الموضع الذي يستنقع فيه الماء.

(١) جاء في لسان العرب : وإني وإن عَشَّرْتُ. (ج ٤ ص ٥٧٢ مادة عشر) والرواية اعلاه تؤدي المعنى بصورة أفضل.

(٢) وردت أيضاً نهاق الحمير ونهاق الحمار. وجاء في مجمع الأمثال (ص ٤٢) التعشير : نهيق الحمار عشرة اصوات في طلق واحد. وفي المثل : « عَشَّرَ والموت شجا الوريد » أي والموت قريب منه.

الأجداد : بلد لبني أشجع وفزارة ومُرة، وجميعها من غطفان. ويقصد بها موطن جماعته.

وهي جميع : مكتملة العدد.

* يدعو عروة على جماعته من عيس وسائر غطفان، الذين خافوا على أنفسهم وانطلقوا يعشرون، بأن تدركهم الحمى التي خافوها وتال منهم فلا يعودون الى اهلهم في روضة الاجداد إلا وقد نقص عددهم.

٤ — فكيف وقد ذكيت واشتد جانبي، سليمي، وعندي سامع ومطيع،

ذكيت : بلغت تمام السن، أي نهاية الشباب^(١).

سليمي : زوجته، سلمى الكنانية، وهي ترمز، في شعر عروة، الى الصوت الواعي الذي ينبهه دوماً كلما اشتد تهوره أو ازداد تبذيره. (اليها يعود ضمير الفاعل في تخوفني — البيت رقم ٦).

اشتد جانبي : قويت بغيري (واشتد ساعدي : قويت نفسي).
سامع ومطيع : الأرجح أنهما ولدان له^(٢).

٥ — لسان، وسيف صارم، وحفيظة، ورأي، لآراء الرجال، صروع ؟

لسان : أي وعندي لسان، كنى به عن الفصاحة.

صارم : قاطع وكنى بالسيف القاطع عن شجاعته وفروسيته.

(١) لسان العرب ج ١٤ ص ٢٨٨ مادة [ذكا] .

(٢) ورد في شرح الديوان المأخوذ عن شعراء النصرانية أن « سامع ومطيع » فسرهما الشاعر في البيت التالي بلسان وسيف. ونحن نستبعد هذا لأن البيت التالي يتضمن أربعة عناصر يفخر بها عروة، وهي تمة لفخره بسامع ومطيع.

الحفيظة : الغضب لحرمة تُنتهك أو جارٍ ذي قرابة يُظلم أو عهد يُنكث^(١). يقصد : عندي غضبة معروفة ضد العدوان والظلم. وهي كناية عن النجدة والإباء.

صَرُوعٌ : كثير الصرع لأقرانه (يطرحهم أرضاً) ورأي يصرع آراء الرجال هو رأي شديد لا يخطئ. وذلك كناية عن الفهم والتعقل.

٦ - تُخَوِّفُنِي رَيْبَ الْمَنُونِ ، وَقَدْ مَضَى لَنَا سَلَفٌ : قَيْسٌ ، مَعاً ، وَرَبِيعٌ !

تخوِّفُنِي : ضمير الفاعل يعود الى سليمى.

الريب : صرف الدهر. وريب المنون : مشقات الموت.

قيس : هو قيس بن زهير العبسي وربيع : الربيع بن زياد العبسي، وكلاهما كان سيّد قومه وعظيمهما وقائدها في حروبها. وهما رمز للمنة والحصانة. فإذا لم يستطيعا دفع الموت عن نفسيهما، فالموت مدرّك كل انسان، ولماذا الخوف منه اذا ؟

* معنى الأبيات الثلاثة الأخيرة :

لا يصح لي أن أكون جزوعاً، الآن بعد أن بلغت نهاية الشباب، فحققت طموحي وانجزت مهمتي في الحياة : أنجبت سامعاً ومطيعاً يشتد بهما جانبي، وحققت انتصارات في ساحة الشعر والفصاحة، وجعلت سيفي معروف الصولة، وغدت حميتي ملء الأسماع، ورأيت تنصاع له الرجال. أبعد كل هذا يا سلمى تريدني أن أخاف الموت ؟ واذا خفته، هل لي منه مهرب ؟ إن من كانوا أشدّ مني بأساً وأشرف نسباً وأقوى عدةً ورجالاً، ذهبوا ولم يعودوا، فأنتى لي أن أنجو منه ؟

(١) لسان العرب ج ٧ ص ٤٤٢ مادة [حفظ].

٢٩ — إذا قيل : يا ابن الوزدِ اقبل

(الطويل)

يخصصُ عروةُ هذه القصيدة للفخر ببطولاته، فهو يتمتعُ ببطولةٍ نادرة تدفعه الى الإقدام حين ينكص الآخرون، وتجعله يختار ندًا في القتال يهرب منه سواء ويحق لمن يغلبه أن يفخر. وعروة يتميز بالنجدة : يلبي نداء قومه حين يُضامون، فيغدو موئلاً لهم وملاذاً.. ولكن هذا النمط من الحياة يعرضُ صاحبه للمخاطر : فالحروب لها جرائر، والدهرُ غدارٌ، وعروة يعرف ذلك ويَقْبَلُهُ : فلا من ذيولِ الحرب يشتكي، ولا من مصائب الدهر يخاف، وبَصْرُهُ دوماً حديد....

١ — أُنَجِّلُ إِقْدَامِي، إِذَا الْخَيْلُ أَحْجَمَتْ، وَكَرِّي، إِذَا لَمْ يَمْنَعْ الدُّبُرُ مَانِعُ،

أحجمت : نكصت، امتنعت عن التقدم.
الدُّبُرُ : والدُّبُرُ : الظهر. ويقال : يولّون الدُّبُرَ (أو الادبار) بمعنى يهربون وظهورهم مكشوفةٌ للأعداء، بعكس التراجع اثناء المعركة. ولم يمنع الدُّبُرُ : لم يحم ظهره وذلك كناية عن الهزيمة فالهرب.
كرّي : هجومي.

* ينسب الى نفسه الشجاعة التي تدفعه الى الثبات في الأوقات الصعبة : فهو يُقَدِّم حين يخاف الآخرون الإقدامَ ويتهيّبون. وهو يهاجمُ حين يتخاذلُ القومُ وينهزمون وظهورهم مكشوفةٌ للأعداء.

٢ — سواءٌ وَمَنْ لَا يُقَدِّمُ الْمُهْرَ فِي الْوَغَى، وَمَنْ دُبْرُهُ، عِنْدَ الْهَزَاهِرِ، ضَائِعٌ؟

يُقَدِّمُ : يكر.

الوغي : الحرب.

دُثِرَ ضَائِع : ظهره معرّض لضرب يقضي عليه، وذلك كناية عن الانهزام والهرب.

الَهْزَاهُز : الفتن يهتز فيها الناس.

* يصف عروة الانسان المتخاذل الذي يخشى الإقدام في المعركة، ويظل قريباً من الهرب، حتى اذا ما اشتدت الفتنة ولّى الأدبار... ويظهر عروة أله اذ يُقَارَن بهذا الجبان ويصرخ محتجاً : أَيْكون اقدمي واحجامه، كرى وانهمائه سواء؟؟

٣ - إِذَا قِيلَ: يَا ابْنَ الْوَرْدِ، أَقْبِلْ إِلَى الْوَعْيِ، أَجَبْتُ، فَلَأَقَانِي كَمِّيْ مُقَارِعُ.

الكمي : الفارس اللابس السلاح، الشجاع، المُقَدِّم الجريء.
مُقَارِع : مضارب بالسيف، مقاتل.

* ان شجاعة عروة تتجاوز حاجته لِتُصبح مُطلباً قُبلياً. فقومه يشتدون به ويستنجدونه حين تعنف المعركة، وهو يلبي النداء فينزل الى الساحة، لا ليقاتل كالآخرين، بل ليتصدى للفارس المقدم المتسربل بملايس الحرب وعُدتها.

٤ - بِكَفِّي، مِنْ الْمَأْثُورِ كَالْمَلْحِ لَوْثُهُ، حَدِيثٌ، بِإِخْلَاصِ الذِّكُورَةِ قَاطِعُ،

المأثور : المحفوظ، المتوارث. ويقصد به سيفاً من السيوف المعروفة في العائلة التي يتوارثها الآباء عن الأبناء.

لون الملح : ابيض ملتئم.

حديث : مصقول، من حادث سيفه وأحدثه أي جلاه. (١)

(١) لسان العرب ج ٢ ص ١٣٤ [حدث].

اخلاص الذكورة : صفوتها، وقمتها : والذكورة : رمز القوة والشدة.
واخلاص الذكورة : أقصى القوة والشدة.

* يهاجم الفارس الشجاع، المدجج بالسلاح، وبكفه سيف عريق أبيض
الشفرة، مصقولها، يقطع بأقصى الشدة والقوة.

٥ - فَأَتْرُكُهُ بِالْقَاعِ، زَهْنًا بِلْدَةٍ، تَعَاوَرُهُ فِيهَا الضَّبَاغُ الْخَوَامِغُ،

القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام.
تعاوره الضباع : تتعاوره : تتداوله، تتناوب عليه فتأتيه الواحدة بعد
الأخرى.

الخوامع : التي تعرج في مشيها.
بلدة : فلاة، قفر. ورهناً ببلدة : تضمنته فلاة، ويقال : أرهن الميت قبراً أي
ضمّنه إياه.^(١)

* هذا الفارس الشجاع (ومن الضروري أن يكون عظيم الشجاعة
ليكون في قهره فضل كبير) يضربه عروة فيقضي عليه ويتركه للفلالة
المنبسطة بين الآكام تتضمنه، فتتناوب على جسده ضباغها العرجاء.^(٢)

٦ - مُحَالِفٌ قَاعٍ، كَانَ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ، وَلَكِنْ حَيْنَ الْمَرَّةِ، لَا بُدَّ، وَاقِعٌ.

محالف قاع : ملازم الفلاة لا يغادرها.

كان بمعزل : كان بمنأى.

الحين : الهلاك والموت.

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ١٩٠ [رهن] .

(٢) هذا الأسلوب في اختيار الخصم الرهيب ثم وصف القضاء عليه معروف لعنترة. ويبدو
أن عروة يشاركه إياه.

* هذا الفارسُ قضيتُ عليه فلازِمَ ذلك المنبسط من الأرض، وقد كان بمنأى عنه. انما هو القَدْرُ المحتوم يسوقُ المرأةَ الى حتفِه، الى موتٍ لا مفرَّ منه.

٧ — فَلَا أَنَا، مِمَّا جَرَّتِ الْحَرْبُ، مُشْتَكٍ ، وَلَا أَنَا، مِمَّا أُحْدِثُ الدَّهْرُ، جَارِعُ،
أُحْدِثُ : أتى بالحدَث، وهو الأمرُ الحادثُ المُنكَرُ الذي ليس بمعتاد.
جارِعُ : مُشْفِقٌ، قليلُ الصبر.

* ان عروة يعرف الحربَ جيداً، ولذلك لا يشتكي مما يمكن أن تجرّه من ويلات. وهو يعرف أن الدهرَ « حُبلى » بطنها مليءٌ بالحوادثِ المفاجئةِ المنكرة، ولذلك لا يشفق منها، بل يُواجهها وَيَصِيرُ عليها.

٨ — وَلَا بَصْرِي، عِنْدَ الْهِيَاجِ ، بِطَامِحٍ كَأَنِّي بَعِيرٌ، فَارَقَ الشَّوْلَ، نَارِعُ.
الهياج : الحرب.

طَمَحَ بَصْرُهُ : ارتفع. وبصر طامح : مرتفع (ينظر الى البعيد ولا يركّز على ما حوله).

الشَّوْلُ : الثَّوْقُ التي خَفَّ لَبْنُهَا، وذلك اذا فُصِّل وَلَدُهَا. فلا تزال شولاً حتى يُرْسَلَ فيها الفحلُ.^(١)

نَرَعَ : حَنَّ واشتاق. فالنارِع : المشتاق.

* ان المصائب وويلات الحرب لا تفجأ عروة ولا تُفقدُه السيطرةَ على أعصابه، لذلك لا تراه، عند الحرب، زائغ البصر ينظر الى البعيد، باحثاً عن مهرب، شأنَ الجمل الذي أبعدَ عن نوقٍ تنتظره، فحنَّ واشتاق، وارتفع بصره باحثاً في الأفق عن أثر لها.

(١) لسان العرب ج ١١ ص ٣٧٥ [شول].

٣٠ - ثَقُولُ : أَلَا أَقْصِرُ مِنَ الْغَزْوِ ...

(الطويل)

هذا النغم، نغم اللوم على حياة المخاطر، يتردد دوماً في ديوان عروة : فما إن تراه قد خفت في إحدى القصائد، حتى يتصاعد من جديد في غير واحدة منها. إن امرأته في خوف دائم عليه، وهو، عن الخوف لاهٍ ولأساليب الردى متحذٍ. نتيجة واحدة لحياة المخاطر تؤسسه : وهي أن الحروب التي شهدتها شبيته منه اللمة، فاعتقدت النساء أن شبابه زال فأنصرفن عنه بعدما كنَّ يغفلن عن أزواجهن ليتهاقنَّ عليه.

١ - ثَقُولُ : أَلَا أَقْصِرُ مِنَ الْغَزْوِ، واشتكى، لها القول، طرف أخور العين، دامع

أَقْصَرَ عن الأمر : نزع عنه وهو قادر عليه. كف عنه وانتهى.

العين الحوراء : النقية البيضاء، الشديدة سواد الحدقة.

ثَقُولُ : الفاعل يعود، بلا شك إلى زوجته سلمى.

* قالت زوجته، محتجة على كثرة غزوه وتعريضه نفسه للأخطار : هلا كففت عن الغزو؟؟ ودعمت قولها بدموع راحت تسيل من عين نقيّة البياض، شديدة سواد الحدقة.

٢ - سأغنيك، عن رجع الملام، بمزْمِع من الأمر لا يعيش عليه المطاوع،

رَجْع : تردد، فكل شيء مردّد من قول أو فعل هو رَجِيع.

مَزْمِع : من أزمع الأمر : مضى فيه وثبت عليه عزمه.

عشا عليه : ظلّمه (وعشا إليه قصده).

المطاوع : المستجيب. ^(١) ويقال : طاعت المرأة زوجها (فهي مطاوعة والأرجح أنه يقصد بالمطاوع زوجته. فهي وحدها المطاوع القادر على الظلم، لأنها تسطو على قراره وتجبره، بأساليبها، على تغييره، فيتولد عنده احساس بالظلم)

* يقول لزوجته : سأكتفي بالقول، رداً على لومك إياي، بأنني ثابت هذه المرة في موقفتي، ماض في عزمي، ثباتاً ومضيّاً لا تستطيعين حيالهما ممارسة أي ضغط أو قهر أو ظلم لتزيحيني عنه.

٣ — لبوس ثياب الموت، حتى الى الذي يوائيم، إقام سائم أو مصارع،

لبوس : هو يلبس (والجملة واقعة في جواب اذا الشرطية الواردة في البيت التالي)

يوائيم : يوافق ويناسب.

سائم : يمرّ مرّاً سريعاً مع قصد الصوب ^(٢) في السير.

مصارع : من يعالج صاحبه ليرميه أرضاً.

٤ — إذا أرهنته المين شدة ماجد فورعها القوم الألى، ثم، ماصعوا.

أرهن : (الطعام لضيفه) : أدامه له. وأرهنه الشيء : جعله رهناً عنده. أرهنه للموت : أسلمه.

المين : الكذب ^(٣). أرهنته المين : جعلت المين رهناً عنده، محبوساً لديه.

(١) يقال : طاع له، اذا انتقاد له. فإذا مضى لأمره، فقد أطاعه. فإذا وافقه فقد طاعه.

(٢) الصوب : التحرك من علو الى اسفل.

(٣) لعل المقصود الكذب على النفس والمغالطة في الحقيقة وهي أنه، مهما بلغ من القوة، معرض لبطش من هو أقوى منه ومحتاج لمساعدة اخوان له في القتال. هذه الحقيقة المحبوسة في نفسه تظهرها حملة بطل أقوى منه.

الشدة : الحملة الواحدة في القتال.

رجل ماجد : له آباء متقدمون في الشرف. رجل مفضال، كثير الخير، شريف.

ورع : رد، منع وكف. (ورعه عن الشيء : كفه). ورعها القوم : ردوها (عنه)

ماصع : جالد بالسيف ونحوه. وماصعوا (هنا) : جالدوا (معه) وقتلوا.

* معنى البيتين : اذا ما حَمَلَ عليه فارسٌ شريفُ الأصل، ووجدَ نفسه في خطر لا يُردُّه عنه الا تدخُلُ الذين شاركوه القتال والمجالد، تجلَّتْ أمامه الحقيقة التي لا يمكنه إخفاؤها، واحتبس الادعاء بالقوة في نفسه، وأدرك أن الموت مصاحبةٌ أنى توجه، سواء أقصد من يعاديه أم من يوافقه، وسواء كان قصده إياه مرأً سريعاً أو للتصدي والمصارعة.

٥ — وَيَدْعُونِي كَهْلًا، وَقَدْ عَشْتُ حِقْبَةً، وَهْنٌ، عَنِ الْأَزْوَاجِ، نَحْوِي، نَوَارِغُ، نَزَع عَنْهُ : انصرف.

* الآن يسمونني كهلاً وقد كنت، لفترة من الزمن، محطَّ أنظار النساء، ينصرفن عن أزواجهن ليتوجَّهن إليّ.

٦ — كَأَنِّي حِصَانٌ، مَالٌ عَنْهُ جِلَالُهُ، أَغَرٌّ، كَرِيمٌ، حَوْلَهُ الْعَوْدُ، رَائِعٌ. الجلال : الغطاء. ما يوضع على ظهر الحصان. أَغَرٌّ : في جبهته بياض.

كريم : كرم الفرس : أن يرقّ جلده ويلين شعره، وتطيب رائحته^(١).

(١) عن ابن الاعرابي. انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٥١٠ [كرم].

العُودُ : جمع عائد وهي الأنثى اذا وضعت، مدة سبعة أيام، لأن ابنها يعودُ بها.

رائعُ : لاه، متنعم.

* شبه نفسه، في اقبال النساء عليه والتفافهنّ حوله، بالحصان الكريم : اذا ما أُزيل عنه جلاله وُترك لحاله، ذهب الى انائه (وكلها حديثة النتاج وذلك دليل فحولته) فتحلّقت حوله، وهو بينها مسترسل، لاه، متنعم.

٧ - فَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِينَ تَتَابَعَتْ، طَوَالَ، وَلَكِنْ شَيْئُهُ الْوَقَائِعُ

الوقائع : الحروب والمعارك

* لَمَّا شَابَ شَعْرُ رَأْسِي، فما ذاك بفعل مرور الزمان وتتابع السنين الطويل، ولا نتيجة للتقدم في السن، وانما بسبب المعارك الهائلة التي خضتها.

٣١ - فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ^(١)

(الطويل)

يُلَخِّصُ عُرْوَةَ، في فخره بنفسه، ملامح الضيافة العربية :
الضيْفُ يقاسمُ أصحابَ البيتِ كل شيء : بُرَدَتُهُمْ، فراشهم،
بَيْتُهُمْ، وله عليهم، فضلاً عن ذلك، واجبٌ : أن يسألوه حتى ينام.

(١) البيتان ٣ و ٤ وردا في الديوان وقد ذكرهما ابن السكيت لعروة. ويعلق ابراهيم الخواجه عليهما بقوله : « هذان البيتان ينسبان لعتبة بن بجير. وقيل إنهما لمسكين الدارمي (التبريزي شرح الحماسة). وأوردتهما ابن قتيبة في « عيون الاخبار » بدون عزو. وزعم البصري أنهما لعتبة بن مسكين الدارمي. (الحماسة البصرية) وزعم البغدادي أن البيتين قد نسبهما كثير من الرواة لمسكين الدارمي، إلا الجاحظ والشتنمري فإنهما =

١ - أَرَى كُلَّ رِيحٍ سَوْفَ تُسَكِّنُ مَرَّةً، وَكُلَّ سَمَاءٍ ذَاتَ دَرٍّ، سَتُقْلِعُ،

سَمَاءٌ : مطر، وقد سُمِّيَ باسمِ مَصْدَرِهِ، فهو ينزل من السماء. والسماء
أيضاً : السحاب. وسماءٌ ذاتُ دَرٍّ : ذاتُ انصبابٍ واندفاق. يُقال : دَرَّتِ
السماءُ بالمطر إذا كَثُرَ مطرُها. وسماءٌ مِذْرَارٌ وسحابةٌ مدرار...
أَقْلَعَ عَنِ الْأَمْرِ : امتنع عن إتيانه. سَتُقْلِعُ السماءُ : أي سيتوقف المطر.

* يبدو عروة مهتماً باعطاء حكمةٍ مَفَادُهَا أن التغير من طبيعة الحياة، وأن
لا شيءَ باقٍ على حاله : فالريحُ، مهما عصفت واشتدَّت، ستسكنُ حتماً
في يومٍ من الأيام، والسحابُ المَحْمَلُ بالمطر، مهما دامَ تدفُّقه، سوف
يتوقَّفُ لا محالة...

٢ - فَإِنَّكَ وَالْأَضْيَافُ فِي بُرْدَةٍ، مَعاً، إِذَا مَا تَبَيَّصُ الشَّمْسُ، سَاعَةً تُنْزِعُ

تَبَيَّصَ : تلتمع.

تَنْزِعُ : تجري الى المغرب.

* عندما تتوهج الشمسُ في التماعِها الأخير، قبل أن تغيب وراء الأفق،
يطرَحُ عروةُ عِبَاءَتِهِ على الضيف، فيلتفان بها معاً.

= نسباهما الى كعب بن سعد الغنوي. (خزائن) ونسب ابو الفرج البيت الأول منهما
الى العجير السلولي.. ولما كان البيتان السابقان يفيضان بنفس عروة وينبضان بحسّه فإني
أميل الى نسبتهم الى كعب بن سعد الغنوي. وقد نسبهما اليه ابن السكيت في شرحه للديوان. * (عروة بن
الورد حياته وشعره ص ١٥٩) ونحن نوافقه الرأي ونضيف أننا وجدنا البيتين وقبلهما
بيتان (١ و ٢) في لسان العرب (ج ٧ ص ٧) بلا نسبة، فالحقنا الأبيات الأربعة
بعروة لأنها وحدة متكاملة.

٣ - فِرَاشِي فِرَاشُ الضَّيْفِ، وَالْبَيْتُ بَيْتُهُ، وَلَمْ يُلْهِنِي عَنْهُ غَزَالٌ مُقَنَّعٌ،
غزال مقنّع : كناية عن المرأة أو عن النساء بصورة عامة.

* إن عروّة، الذي يُشرك ضيفه في عبايته، يُقدّم عطاءات أخرى تثبت أن الضيف، حين نزل الدار، أصبح هو السيد وعروّة التابع. ففراشٌ هذا يغدو للضيف، والبيت أيضاً يصبح بيته، وفضلاً عن ذلك، يقدم له عروّة نفسه يرهنها لأمره، فلا يبعد عنه لأي سبب، ولا ينفع في الهائه عن ضيفه اغراء الجمال، ودلال النساء.

٤ - أَحَدَّثُهُ، إِنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى، وَتَعْلَمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ
القرى : الإضافة.
يهجع : ينام.

* ليس القرى، عند عروّة، أن تطعم الضيف وتؤمّن له نومته، بل القرى أن تُحلّه مكانك وتشعره أنه صاحب البيت وأنتك تابع له، همك ارضاءه فتبقى الى جانبه تحدثه وتسليه، بانتظار أن يغلبه النعاس فينام، وهو لا بد نائم، مهما طال سهره. وهنا يفيد عروّة من معنى البيت الأول الذي يشير الى أنه لا شيء يبقى على حاله، وأن التغيير هو من طبيعة الحياة.

٣٢ - السيد الأوحـد

(الطويل)

١ - لِكَلِّ أَنْاسٍ سَيِّدٌ يَعْرِفُونَهُ، وَسَيِّدُنَا، حَتَّى الْمَمَاتِ، رَبِيعٌ
٢ - إِذَا أَمَرْتَنِي بِالْعُقُوقِ حَلِيتِي، فَلَمْ أَغْصِهَا، إِلَيَّ إِذَا لَمْضِيعٌ

ربيع : هو الربيع بن زياد العبسي، أحد سادات عبس المشهورين.

حليتي : زوجتي.

مَضِيْع : محكوم بالضياع والتلف.

* يقدّم عروةُ الولاءِ لسيد عبس، الربيع بن زياد، ولأء مطلقاً يجعل الربيعُ السيدَ الأوحَد، وولاءٌ دائماً يستمر طالما استمرت الحياةُ. في سبيل هذا الولاءِ يعصي عروةُ جميع الناس، حتى زوجته يعصيها اذا أمرته بالخروج على ولائه لأنه، ان لم يعصها، يحكم على نفسه بالضياع والتلف.

٣٣ — ابنُ الحُرّةِ يطلبُ الثَّارَ

(الطويل)

نقطةُ الضعف في نسب عروة أمه، فهي غريبة عن القبيلة، وهي من بني نهد الذين لا يحترمهم العبسيون. وقد ثار عروة غير مرة على صلة القرابة هذه، لكنه الآن يدفع مَنْ يُعيرُهُ بالأم الغريبة، ويؤكد أنَّ بُعد نسب الأم سببٌ في انجاب الأولاد المتميزين، الأقوياء، الكرماء الذين لا يُفرطون بالثارات...

١ — أَغَيِّرْ ثَمُونِي أَنَّ أُمِّي نَزِيعَةٌ؟^(١) وَهَلْ يُتَجَبَّنُ، فِي الْقَوْمِ، إِلَّا النَّزَائِعُ؟

النزيعه : (النزيع : الغريب) والنزيعه من النساء هي التي تُزوّج من غير عشيرتها فتنقل.

(١) وردت في الديوان « التريعة ». ولم نجد هذه اللفظة في الاستعمال انما هناك « التريعة » وهي مَنْ فيها عَجَلَة، وقيل : السريعة الى الغضب والشر. وهذه المعاني لا تخدم الهدف من بيتي عروة. ونحن نرجح مع الدكتور ابراهيم الخواجه (عروة، حياته وشعره ص ٦٧) أن اللفظة مصحفة عن « النزيعه » ولذلك اثبتناها بهذه الصيغة، ومثلها كلمة « الترائع » في آخر البيت.

يُتَجَبَّنُ : يَلْذُنُ النُّجَبَاءَ الْكُرَمَاءَ.

النزائع : جمع النزعة.

* يُشِيرُ عُرْوَةُ مَاخَذَ قَوْمِهِ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّ أُمَّهُ غَرِيبَةٌ تَزَوَّجَتْ فِي غَيْرِ قَبِيلَتِهَا،
وَيَتَسَاءَلُ : مَاذَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَحَلُّلٍ ؟ أَلَيْسَ فِيهِ عَلَى الْعَكْسِ، حَسَنَاتٌ
مَعْرُوفَةٌ ؟ أَلَيْسَ الْأَوْلَادُ النُّجَبَاءُ هُمُ الَّذِينَ تَلِدُهُمُ الْأُمَهَاتُ الْغَرِيبَاتُ ؟^(١)

٢ - وَمَا طَالِبُ الْأَوْتَارِ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ، طَوِيلُ نِجَادِ السِّيفِ، عَارِي الْأَشَاجِعِ

الأوتار : جمع الوتر أو الوتر، وهو الانتقام أو الثأر. وطلب الوتر هو طلب
الثأر المعروف عند العرب وعند جميع الشعوب التي تعيش قبائل.
الحُرَّةُ : من النساء : المعروفة الأصل، وضدها : الأمة.

النِّجَادُ : ما وقع على العاتق من حمائل السيف. وطويل النجاد : كناية عن
طول القامة لأن الذي تطول قامته، يطول نِجَادُهُ.

الأشَجَعُ : في اليد والرجل : العصب الممدود فوق السُّلَامَى، من بين
الرُّسُغِ إِلَى أَصُولِ الْأَصَابِعِ، أَوْ هُوَ عَصَبُ ظَاهِرِ الْكَفِّ. وَيُقَالُ لِلذُّئْبِ
وَلِلْأَسَدِ : عَارِي الْأَشَاجِعِ. وَفِي صِفَةِ أَبِي بَكْرٍ : عَارِي الْأَشَاجِعِ^(٢). فَهِيَ
كِنَايَةٌ عَنِ الْقُوَّةِ وَالرَّجُولَةِ.

* لَكِي يَصِلُ عُرْوَةَ إِلَى دَفْعِ التَّجْرِيحِ عَنِ وَالِدَتِهِ، وَلَكِي يُوَكِّدُ أَنَّهَا كَسَائِرُ
النِّسْوَةِ الْحَرَائِرِ فِي الْقَبِيلَةِ، يُذَكِّرُ قَوْمَهُ بِأَنَّهُ كَثِيرٌ مَا دَافَعَ عَنْهُمْ وَأَنْجَدَهُمْ

(١) هذه النظرية عرفها العرب قديماً ويؤكددها حديث عمر لآل السائب : « قد أضويتم
فأنكحوا في النزائع، أي في النساء الغرائب من عشيرتكم. » (لسان العرب ج ٨ ص
٣٥١ [نزع]).

(٢) لسان العرب ج ٨ ص ١٧٤ [شجع].

وطالب بثاراتهم. وهذه الفعال لا يقوم بها العبد ابن الأمة، انما يأتيها الفتى القوي الشجاع، الطويل، الحر ابن الحرّة.

٣٤ - الصديق الضالّ

(الوافر)

يُقَدِّسُ عُرْوَةُ الصَّدَاقَةِ والوفاء بعهد الصديق، لكنه يشترط عليه قبول النصيحة والابتعاد عن طريق الضلال...

١ - وَخِلْ، كُنْ عَيْنَ الرُّشْدِ مِنْهُ، إِذَا نَظَرْتُ، وَمُسْتَمِعاً، سَمِيعاً،
الخل : الصديق الودود.
الرشد : الصواب.

٢ - أَطَافَ بِغِيٍّ، فَعَدَلْتُ عَنْهُ، وَقُلْتُ لَهُ : أَرَى أَمراً فظيعاً
الغي : الضلال.
أطاف بالشيء : ألم به وقاربه وأحاط به.

• معنى البيتين : رُبَّ صديقٍ أخلصْتُ له الودَّ، فكنتُ استمعُ باهتمام الى ما يقول وألبي ما يطلبُ، وأدُلُّه على طريق الصواب، تخلّيتُ عنه وابتعدتُ حين تبيّن لي أنه معتصم بالضلال، يحيطُ به فلا يرجعُ عنه، وقلتُ له : إن بقاءك على ضلالك أمرٌ فظيعٌ لا أحتمله.

حرف الفاء

٣٥ - لِلْمُقَامِ أَطَوُّفُ

(الطويل)

أجذب ناسٌ من بني عبسٍ، فأتوا عروةَ بن الورد. فَرَّقُ لَهُم
وخرج ليغزو بهم ويصيبَ معاشاً. فنهته امرأته عن ذلك وتخوّفت
عليه من الهلاك، فعصاها وخرج غازياً؛ فمرَّ بمالك بن حمار
الفزاري ثم الشَّمْخِي، فسأله : أين يريد ؟ فأخبره؛ فأمر له بَجَزور
فتحرَّها فأكلوا منها. وأشار عليه مالك أن يرجع؛ فعصاه ومضى
حتى انتهى الى بلاد بني القين، فأغار عليهم فأصابَ هَجْمَةً عادَ بها
على نفسه وأصحابه^(١). وقال :

١ - أَرَى أُمَّ حَسَّانَ، الْعِدَاةَ، تَلُوْمُنِي، تُخَوِّفُنِي الْأَعْدَاءَ، وَالنَفْسُ أَخَوَفُ،

أُم حَسَّانَ : زوجته سلمى الكنانية.
أَخَوَفُ : أكثر إخافة.

* تَلُوْمُنِي أُم حَسَّانَ الْيَوْمَ لِأَنِّي أَنهَيَّا لِلغَزْوِ، وَتُخَوِّفُنِي مَا يَنْتَظِرُنِي مِنْ

(١) الأغاني ج ٣ ص ٧٨ وراجع ص ٣٧ تفاصيل القصة.

اعدائي، بينما للإنسان، من نفسه، أكثر الأعداء إخافة. فالمخاطر لا يتعرض لها الإنسان حين يبعد فقط، بل قد يقع في المهالك، وهو في مكانه، خالٍ إلى نفسه.

٢ — لَعَلَّ الذي خَوْفِنَا، مِنْ أَمَانَا، يُصَادِفُهُ، فِي أَهْلِهِ، الْمُتَخَلِّفُ^(١)
من أماننا : في مسيرنا وتقدمنا
المتخلف : المتأخر عن المسير، الباقي في مكانه.

* يشرح عروة المعنى الذي قصد إليه في البيت الأول، وهو أن المخاطر التي تخوفينا منها، إذا سرنا، قد نتعرض لها لو تخلفنا عن المسير وبقينا بين أهلنا.

٣ — تَقُولُ سُلَيْمَى : لَوْ أَقَمْتُ لَسْرَنًا،^(٢) وَلَمْ تَذِرِ أُنِّي، لِلْمُقَامِ، أَطْوَفًا
لسرنا : أي لسرنا مقامك.
أطوف : أتنقل من مكان إلى آخر.

(١) في الديوان، ورد البيت الثالث قبل الثاني، لكننا وجدنا أن استقامة المعنى تقتضي تأخير.

أورد المبرد البيت الثاني بعد الثالث وصيغته :

لَعَلَّ الذي خَوْفِنَا مِنْ وَرَائِنَا سِيدْرُكُهُ، مِنْ بَعْدِنَا، الْمُتَخَلِّفُ.

(الكامل ج ١ ص ٢٠٢).

(٢) عند المبرد : لَوْ أَقَمْتُ بِأَرْضِنَا (الكامل ج ١ ص ٢٠٢) وأورده كذلك العكبري في معرض شرحه لبيت المتنبي :

لَعَلَّ اللهَ يَجْعَلُهُ رَحِيلًا يَعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذِرَاكَا

(شرح العكبري لديوان المتنبي ج ٢ ص ٣٨٨).

* تقول سليمان : إنما نتمنى أن تبقى مقيماً بيننا فسنسعد بك، ولم تدر أنني لأجل أن أبقى وأقيم، أسير في البلاد أطلب الغنى.

٤ — إذا قلتُ : قد جاء الغنى، حال دونه أبو صبيّة يشكو المفاقر، أعجفُ

المفاقر : وجوه الفقر (لا واحد لها)

أعجف : هزبل.

* ان الذي يمنعني تحقيق حلمي في الغنى والاقامة هو عطفي على ذوي الحاجات : فما إن أحقق ثروة فأقول : جاء الغنى والاكتفاء، حتى يعترضني ربّ عائلة يشكو الهزال وألواناً من الفقر فأعطيه ما جنيت، وأعود، من جديد الى السعي، وقد حيل بيني وبين الغنى.

٥ — له حلّة، لا يدخل الحقّ دونها، كريم أصابته حطوب تجرّف

الحلّة : الحاجة والفقر.

الحق : حق الضيف. لا يدخل الحق دونها : أي هي أقرب منه وأكثر إلحاحاً.

تجرّف : تأخذ في طريقها كل ما تصادفه.

* يتابع عروة وصف صاحب العيلة الهزيل : ان عنده حاجة لا يدخل حقّ الضيف دونها لأنها أكثر منه إلحاحاً. صاحب الحاجة هذا في وضع لا يحتمل التأجيل، وهو ليس مجرد سائل مُستعطي، انما هو انسان كريم من أصل كريم، أناخت عليه مصائب هائلة، تجرف ما في طريقها فلا تبقى ولا تذر.

٦ — فأني لمُستاف البلادِ بِسُرْبَةٍ، فَمُبلغُ نفسي عُذْرَها، أو مُطوّف

المُستاف : الذي يقطع المسافات.

السُرْبَة : المسير، المذهب في الأرض، الطريق. وهي أيضاً الجماعة من
الظباء والخيول وغيرها.

العُدْر : هنا : العَلْبَة والنُّجج.

طَوَف : أكثر الطواف أي الدوران أو التنقل.

* إني مصمم على أن أسير في الأرض، قاطعاً المسافات، حتى أصيب
العَلْبَة والنُّجج، فإن لم أستطع فسأتابع مسيري مُطَوِّفاً في البلاد، متنقلاً من
مكان الى آخر، ولن أعود أبداً صفر اليدين.

٧ - رَأَيْتُ بَنِي لُبَيْ، عَلَيْهِمْ غَضَاضَةٌ، يَبُوتُهُمْ، وَسَطَ الْحُلُولِ، التَّكْنُفُ!

بنو لبني : لعلهم فرع من عبس^(١)

عليهم غَضَاضَةٌ : قال الأزهري : عليه غضاضة أي ذُلُّ^(٢)

الحُلُول : جمع حال، وهو النازل بالمكان.

التَّكْنُف : الالتجاء الى شبه الحظيرة، درءاً للبرد أو للمخاطر.^(٣)

(الكنيف : حظيرة من خشب تُتخذ لأغراض متعددة، منها الاحتماء.)

* يبدو أنه حصل، في ذهن عروة، تداع للأفكار والصور : فهو، إذ
يرفض أن يعود الى دياره خالي الوفاض، يتذكر قومه الذين وجدهم في حالة
من الفقر الشديد دفعتهم الى التكنف، وهذه الصّورة تُجسّد الذل الذي
يُصيبه الفقر وتغدو حافزاً لعروة على متابعة الطواف حتى نيل الغنى.

(١) حادثة التكنف معروفة في شعر عروة ومتردة غير مرة. وأبطالها جماعة من قومه. راجع
ص ١٠٣ وص ٢٠٦.

(٢) لسان العرب ج ٧ ص ١٩٧ [غَضَّ].

(٣) في قصة التكنف المذكورة أن عروة « وجد قومه في حظيرة قد حظروا على أنفسهم
لما أعوزتهم المكاسب وقالوا : نموت فيها جوعاً خيراً من أن تأكلنا الذئاب. »

٨ - أَرَى أُمَّ سِرْيَاحٍ غَدَتْ فِي ظُعَائِنٍ تَأْمَلُ مِنْ شَامِ الْعِرَاقِ ، تُطَوِّفُ

أُم سِرْيَاح : كُنْيَةُ الْجَرَادَةِ^(١).

الظُعَائِن : الْمَسَافِرُونَ، الْمُتَنَقِّلُونَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ، الْمُهَاجِرُونَ...

الشَّام : الْأَثَرُ الْأَسْوَدُ فِي الْبَدَنِ وَفِي الْأَرْضِ.

تَأْمَلُ : تَشَبَّهَتْ.

تُطَوِّفُ : تَدُورُ، تَتَنَقَّلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ.

* يرى عروة، بعين خياله، الجذب قادماً ومعه القحط. وعلاماته أفواج

الجراد المهاجرة تنظر من أرض العراق المرقطة لتتشبَّه من أي البلاد تبدأ

الطواف. والموقف يتضمن سؤالاً يوجَّه إلى الزوجة اللائمة : إذا سمعتُ

كلامك، وبقيتُ قربك ثم داهمنا القحط، فما هو مصيرنا ؟

(١) لسان العرب ج ٢ ص ٤٨٢ [سرح].

حرف القاف

٣٦ - فديته بنفسي

(الوافر)

وجدنا هذا البيت المنفرد في « لسان العرب »^(١) أورده ابن منظور
مثلاً على القلب بين موضوع الفعل وأداته.

فَدَيْتُ، بِنَفْسِهِ، نَفْسِي وَمَالِي وَمَا آلُوكَ إِلَّا مَا أُطِيقُ
مَا آلُوكَ (جَهْدًا) : مَا اسْتَطَعْتُ. وَهِيَ، عِنْدَ ابْنِ مَنْظُورٍ، عَامِيَةٌ. وَالْفَصْحَى
مِنْهَا : مَا آلَوْتُ جَهْدًا.^(٢)
مَا آلُوكَ : اذْنٌ بِمَعْنَى : لَا أَقْصِرُ، لَا أَفْتَرُ.
أُطِيقُ : أَتَحْمَلُ، أَسْتَطِيعُ.

* في البيت قلب (فديت بنفسه نفسي = فديته بنفسي) والمعنى : فديته
بنفسي ومالي وهذا كل ما أستطيعه.

(١) لسان العرب ج ٥ ص ٣١٦ [نيز] وذكره ابن الأنباري منسوباً إلى العباس بن مرداس

(الاضداد في اللغة ص ٨٤).

(٢) لسان العرب ج ١٤ ص ٤٠.

حرف اللام

٣٧ - ان منايا النفس خير من الهزل

(الطويل)

هبط عروة أرض بني التميم مع جماعة من صعاليكهم. فكمنوا على ماء هناك. وبعد خمسة أيام وردت إبل فيها ظعينة ورجل معه السيف والرمح، والإبل مئة متال. فخرج اليه عروة فرماه في ظهره بسهم. أخرجه من صدره، فخر ميتاً. واستاق عروة الإبل والظعينة حتى أتى قومه؛^(١) فقال يروي الحادثة، خارج صيغة الماضي الذي يحد الفعل، معطياً لها صيغة المستقبل، وفيها مدى أبعد وامكانية الاستمرار والتكرار مع الامتداد. ويمهد لها بحث جماعته على الغزو والسعي لمهاجمة الأعداء، مبتدئاً بصورة الشيخوخة المستكينة التي يصل اليها كل الناس، وعروة منهم، ليستبعد هذه الصورة طالما لم يأت أوانها بعد :

١ - أليس ورائي أن أدب على العصا، قيثمت أعدائي ويسأمني أهلي،^(٢)

الوراء : الخلف، ويكون الأمام^(٣).

(١) راجع تفاصيل القصة في الصفحة ٣٧ من المقدمة.

(٢) في البيان والتبيين : فيأمن أعدائي (ج ٣ ص ٨٣).

(٣) هو من الأضداد. (الأضداد في اللغة ص ٥٦).

يسأم : يَمَلّ.

* ألا ينتظرنني، اذا طال بي الأجل، وبلغت الشيخوخة، ما ينتظر سائر الناس : أن أضعف فأمشي متكئاً على عصاي، أن تنعدم غاراتي فيأمن اعدائي ويشمتوا، أن يملني أهلي ويسأموا ؟

٢ — رهينة قعر البيت، كل عشيّة يُطيف بي الولدان، أهدج كالرأل؟

رهينة : مُلَازماً.

قعر كل شيء : أقصاه.

يُطيف بي : يدور حولي

أهدج : أمشي. رويداً في ضعف واضطراب (مشية الشيوخ)

أسرع وأقارب الخطر

هدج الظليم : مشى وسعى وعدا في ارتعاش.

الرأل : ولد النعام.

* في وجدان الشاعر يمتزج الواقع بالخيال فيرى عروة نفسه، وقد بلغ من الكبر عتياً، يلزم أقصى البيت، يوضع هناك ليكون أقلّ ازعاجاً للآخرين، يأتي اليه الصبيان كل مساء، يلتفون حوله. فإذا ما قام لحاجة مشى رويداً في اضطراب أو أسرع مُقارباً خطوه كأنه مولود نعام يسعى مرتعشاً.^(١)

٣ — أقيموا، بني لُبني، صدور ركابكم، فكلّ مَنَايا النفس، خير من الهزل،

أقام الشيء : جعله مستقيماً، معتدلاً. أقام صدر المطية : جعلها ترفع رأسها ويعتدل صدرها، وذلك تأهباً للانطلاق.

(١) ان استحضار عروة لهذه الصورة ليس بهدف تبرير الاستكانة والتقاعد عن الغزو، ولكن، على العكس تماماً، لتكون حافزاً له على أن يسعى طالما بإمكانه أن يسعى. وهذه نصيحة يقدمها لجماعته في البيت التالي.

منايا : جمع منية، وهي الموت.
الهزل : الضعف الناجم عن الجوع.

* يدعو عروة بني لُبنى، وهم قوم من عبس، إلى عدم التقاعس، وبالتالي إلى امتطاء الخيل وشدّ أرسانها حتى تعتدل صدورها وتتأهب فينطلقوا بها إلى الغزو. وهو يُقنعهم بأن هذا أفضل لهم، وإن كان فيه خطر التعرّض للموت، فالموت في المعركة، أياً كان شكله، خير من الموت جوعاً.

٤ - فَإِنَّكُمْ لَنْ تُبْلَغُوا كُلَّ هِمَّتِي وَلَا أُرْبِي، حَتَّى تَرَوْا مَنِيَّتَ الْأَثَلِ.

هِمَّتِي : هواي (ورغبتني).
أُرْبِي : مرادي، مطلبتي، حاجتي.
الْأَثَل : شجر ذو أصولٍ غليظة تُسوّى منها الأبواب والمنابر وغيرها. وقد يكون هو « العرى من الشجر العظام » المذكورة في المقدمة^(١) على أنها موجودة في أرض بني القين. في هذه الحال يكون « مَنِيَّتَ الْأَثَلِ » كناية عن أرض بني القين.

* إِنَّكُمْ تُحَقِّقُونَ أَقْصَى رَغْبَةٍ لِي وَمَطْلَبٍ حِينَ تَصِلُونَ إِلَى بِلَادِ بَنِي الْقَيْنِ، أَعْدَائِنَا.

٥ - فَلَوْ كُنْتُ مَثْلُوجَ الْفَوَادِ، إِذَا بَدَتْ بِلَادُ الْأَعَادِي، لَا أَمْرٌ وَلَا أُحْلِي،

المثلوج الفؤاد : البليد^(٢).
بدت بلاد الأعادي : تقديراً : بدت بعيدة.
أمرٌ وأحلي : آتي بالمر والحلو من الفعال.

(١) راجع ص ٣٧.

(٢) لسان العرب ج ٢ ص ٢٢٢ [ثلج].

٦ — رَجَعْتُ عَلَى حَرْسَيْنِ، إِذْ قَالَ مَالِكٌ: هَلَكْتُ، وَهَلْ يُلْحَى، عَلَى بُغْيَةٍ مِثْلِي؟

حَرْسَيْنِ : مثنى حَرْس : وادٍ بنجد — والحَرْسان : الجبلان، يقال لأحدهما حَرْسٌ قَساً^(١). أو هما جبلان في أرض بني فزارة.^(٢)
يُلْحَى : يُلام ويُعذل ويُدفع.
البغية : الحاجة المطلوبة.

* معنى البيتين : لو كنتُ بليداً، لا آتي بحُلٍّ ولا مُرٍّ من الفعل، لكنت، حين بَدَتْ بلادُ الأعادي بعيدة، أطيءُ نصيحة مالك^(٣) بعدم التعرض للهلاك، ورجعتُ على حَرْسَيْنِ أَجاوِرُ قَوْمِهِ. لكنني لستُ ممن تُزَعزَعُ إرادته ولا ممن يُدفع عن تحقيق طلب إذا صمَّم عليه.

٧ — لَعَلَّ انْطِلاقِي فِي الْبِلَادِ وَبُغْيَتِي، وَشَدِّي حَيَازِيمَ الْمُطَيَّةِ بِالرَّحْلِ،

الحيازيم : جمع الحيزوم، وهو الصدر. وشد الحيازيم كناية عن التشمُّر للأمر والاستعداد له. وشد حيازيم المطيَّة بالرحل هو، كاسراج الخيل، كناية عن الاستعداد للسفر.

٨ — سَيِّدْفَعْنِي^(٤)، يَوْمًا، إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُحْلِ

(١) لسان العرب ج ٦ ص ٤٩ [حرس].

(٢) حماسة أبي تمام ج ١ ص ١٧٨.

(٣) هو مالك بن حمار الفزاري وقد ورد ذكره في قصة اصحاب عروة في الكنيف، نصح عروة حين رآه يقود أصحابه إلى بلاد بني القين، ودونها المهالك، فقال : ه أين تنطلق بفتيانك... » (راجع ص ٣٧ وص ١٠٤).

(٤) إذا كان عروة أنشد هذه القصيدة فعلاً بعد الحادثة المذكورة في المقدمة، فإن حديثه عنها هنا بصيغة المستقبل محاولة للخروج بها من إطار الحدث الفريد إلى إطار الشمول والدوام، وإثبات أن هذا العمل دأبه، وهو مطلب دائم له.

الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل. وهي ما بين الثلاثين والمئة. أو ما بين السبعين إلى دُوين المئة. أو ما بين الستين والمئة...^(١)

العقوق : التنكر لصلة الرّحم، وهو هنا كناية عن منع الخير عن الأقرباء.

* ومعنى البيتين : إن بغيتي التي أطلبها وأتنقل في البلاد بحثاً عنها وأشدّ الرّحال على صدور المطايا لأجلها هي أن ألقى صاحب إبل كثيرة يجمعها ويحافظ عليها ويحميها من الأقرباء بالعقوق، ومن الأبعد بالبخل^(٢).

٩ - قِيلَ تَوَالِيهَا وَطَالِبُ وَثَرِهَا، إِذَا صَحَّتْ فِيهَا بِالْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ

تواليها : من يلزمونها ويتبعونها.

الوتر : الثأر.

الرّجل : المقاتلون على أرجلهم.

* إذا ما صحت وصاح معي رجّالتي وفرساني، ثم استولينا على هذه الإبل، لا يكون لها من يلزمها فيدافع عنها، ولا من يأخذ بثأرها، بسبب عقوق صاحبها وبخله.

١٠ - إِذَا مَا هَبَطْنَا مَنَهْلًا فِي مَخُوفَةٍ، بَعَثْنَا رِيثًا، فِي الْمَرَابِيِّ كَالْجِذْلِ

الجِذْل : ما عَظُمَ من أصول الشجر المقطّع - أصل كل شجرة حين يذهب رأسها. وهو كناية عن الانتصاب بثبات وبلا حركة.

(١) لسان العرب ج ١٢ ص ٦٠٢ [هجم].

(٢) اختار عروة هذا النموذج للضحية لأن اغتصابه يبقى بلا ذبول : فهو، لبخله، لا يصحب أحداً معه، ولا أحد يتبعه وفاءً له. وهو، لعقوقه، لا يحبه أهله ولا يطالبون بدمه. وهذا ما يشير إليه عروة في البيت التالي.

الربىء : الذي يربأ بقومه، أي يطلع لهم على شرف، يرعى أمرهم ويحرسهم من عدوهم.

المنهل : المشرب، منزل المسافر على الماء.

المخوفة : الطريق في الصحراء يخاف الناس اجتيازها.

* بعد السطو نزل على ماء، نختاره في مفازة مرعبة يخاف الناس اجتيازها. لكن هذا لا يكفي للحيلة والحذر، بل نكلف مراقباً يقف على شرف عالٍ، يستطلع الأفق، منتصباً في موضعه كأنه الجذل العظيم.

١١- يَقلُبُ في الأرضِ الفضاءِ بِطرفِهِ، وَهُنَّ مُنَاخَاتُ، وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي

مُنَاخَاتُ : النوق التي أنيخت.

المِرْجَلُ : القدر من النحاس والحجارة، أو هو قدر النحاس خاصة.

* بعد التعب تُناخُ النوقُ لترتاح، وتذبح بعضها ليؤكل، فنرمي لحمها في القدور الغالية، بينما ربيئتنا ينقل بصره في الفضاء البعيد.

* * *

٣٨- عَقُوقُ أَهْلِ الْكَنِيفِ

(الطويل)

ان مناسبة هذه القصيدة ترتبط بمناسبة القصيدتين السابقتين :
فحين اجذب ناس من بني عيس استنجدوا بعروة^(١) فَرَّقُ لَهُم
وأطعمهم وحملهم الى أن نزل بهم في موضع يقال له ماوان،

(١) راجع ص ١٩٤ وص ١٠٣.

حيث كَنَفَ عليهم في أسرابٍ حَفَرها لهم، وقاد من اشتدَّ ساعده منهم ليغزو بهم... « ثم ان الله، عزَّ وجلَّ، قَيَضَ له رجلاً صاحبَ مِثَّةٍ من الابل... فقتله وأخذ إبَّله وامرأته^(١)، وكانت من أحسن النساء. فأتى بالابل أصحابَ الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها، حتى اذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم، وأخذ مثل نصيب أحدهم. فقالوا : لا، واللات والعزى، لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً، فمن شاء أخذها. فجعل يهّم بأن يحملَ عليهم فيقتلهم وينزع الإبلَ منهم. ثم يذكّر أنهم صنيعته وأنه، إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع. فأفكر طويلاً ثم أجابهم الى أن يردَّ عليهم الإبلَ، إلا راحلةً يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله ؛ فأبوا ذلك، حتى انتدب رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه. »^(٢)

في هذه القصيدة نجد عروة مقسماً بين عاطفتين : عاطفة القائد، يعتني بصعاليكه، يتولّى أمرهم ويحسن أحوالهم، فهم صنيعته، لولاه لماتوا جوعاً... وعاطفة الإنسان الذي يريد، كسائر الناس، أن يكون محبوباً، مرعى الجانب، مُقدّر المعروف، يرتدُّ اليه العرفانُ بالجميل. وقد أثر فيه صراعُ العاطفتين، وأحسَّ بالمرارة لإنكار صنائعه فضله، فلا هو قادرٌ على تأديبهم، ولا هو قادرٌ على تركهم. فشبه نفسه بالأم التي تربي ولدها بدمع العين، فاذا بلغ مبلغ الشباب وغدا قادراً على ردِّ الجميل، اختطفته منها إحدى بنات الجيران، سخرته بشبابها وغنجها وتبرجها. كما ذكره تصرفُ جماعته بالناقة التي تُقاد الى مرعى واسعٍ خصيب، فتُقيد

(١) راجع ص ٢٠٠ وص ٣٧.

(٢) الأغاني ج ٣ ص ٧٦.

لكي لا تَبْطُرَ، بينما هو قد أخطأ بتركِ صغاليكه ينهلون من نَعِيمِهِ
بلا حساب...

١ - أَلَا إِنَّ أَصْحَابَ الْكَيْفِ^(١) وَجَدْتُهُمْ كَمَا النَّاسِ، لَمَّا أَخْصَبُوا وَتَمَوَّلُوا!
كما الناس : كالناس، وما زائدة.

تموّل : أصبح ذا مال (والمال هو الإبل).

أخصب القوم : نالوا الخصب، وساروا إليه.

أصحاب الكيف : الجماعة من عبس الذين وجدّهم عروة في حالة
الضعف والجوع فضرب لهم الكيف وأطعمهم.

« وجدتُ أصحاب الكيف كسائر الناس، إذا أصابوا المال والغنى
تنكروا لمن كانوا أصدقاءهم في الشدة.

٢ - وَإِنِّي لَمَدْفُوعٌ إِلَيَّ وَلَاؤُهُمْ، بِمَاوَانَ، إِذْ نَمَشِي وَإِذْ تَمَلَّلُ،^(٢)

دُفِعَ (الى مكان) : انتهى اليه. وولاؤهم مدفوع إليّ : ينتهي (يعود)
إليّ.

الولاء : يكون ولاء حلف، وولاء قرابة، وولاء عتق، وولاء نعمة وولاء
مُنَاصَرَةٍ... والولاء الذي يشير اليه عروة قد يكون ولاء النعمة والمناصرة،
فهو قد نصرهم وأغدق عليهم النعمة فغدا وولاؤهم له..

نمشي : نسير سيراً عادياً.

تتملّل : تُسرّع. (يُقَالُ : مَرَّ فُلَانٌ يَمْتَلِّلُ امْتِلَالاً، إِذَا مَرَّ مَرّاً سَرِيعاً).

« يوقّت عروة لحديثه عودة الغزاة الى ماوان التي تركوا بها ضعفاءهم،

(١) راجع ص ٢٥ هامش ٢.

(٢) وردت في الديوان « نتملّل » والتصحيح عن « شعراء النصرانية » ص ٨٩٣.

وهي عودة مظفرة يفضل عروة اذ حَمَلهم الغنائم والأنعام. بماوان دبّت حركة كبيرة. هناك مَنْ راح يمشي وَمَنْ راح يُسرع، وَمَنْ انصرف الى تحضير طعام طال انتظاره (كما سيأتي).

٣ — وإِذْ ما يُرِيحُ الحَيُّ صرماً جَوْنَةً، يَنُوسُ عَلَيْها رَحْلُها ما يُحَلِّلُ،

يُرِيحُ : يُنزل أو يشم رائحة.

الصرماء : الناقة التي قل لبنها لأن غُزرها انقطع.

الجونة : السوداء.

ينوس : يتدلى ويضطرب.

حلّله (بالمكان) : أنزله فيه، جعله ينزل فيه. ما يُحلّل : لا يهياً له النزول والاستقرار (لا يستقر).

« كَتَبَ عروة بالناقة السوداء، المقطوعة الغُزْر، القليلة اللبن، عن القَدْرِ العظيمة التي اسودّت لكثرة ما وُضعت على الموقد. وكتَبَ بالرحل عن غطائها الذي يضطرب دوماً فلا يقرُّ له قرار، بسبب غليان الماء واللحم فيها... ويأتي وصف القَدْرِ، في هذا البيت. والابيات التالية، من ضمن وصفه للحركة التي أحدثتها عودته مع رجاله وقد وفرّ لهم النعم. فمن ابرز مظاهر هذه الحركة نصب القدر على النار، قدر سوداء ضخمة، يغلي فيها اللحم وغطاؤها، فوقها، دائم الاضطراب، فيما يشم الحي بأجمعه رائحة اللحم المطبوخ.

٤ — مَوْقَعَةُ الصَّفْقَيْنِ، حَدْبَاءُ، شَارِفٌ، ثَقِيْدٌ أحياناً، لَدَيْهِمْ، وَثْرَحْلٌ

الموقعة : التي بظهرها آثار الدَبَر^(١)، لكثرة ما حُمِل عليها ورُكِبت.

(١) الدَبَر : الجرح الذي يكون بظهر الدابة، كتَبَ به عن خطوط، كالحَفَى، تكون في جوانب القَدْرِ.

الصَّفْقَان : صَفَقَا العنق : جانباه. وصفقا الفرس : خدّاه. وصفقا الناقة : ناحيتا عنقها، أو خدّاه. وصفقا القَدْر : جانباه البارزان.

حَدْبَاء : نائمة ومكورة (الحَدَب : دخول الصدر وخروج الظهر).
الشارف : (من الإبل) المُسِنَّ. وكَتَى بذلك عن قَدَم عهد القدر باطعام الناس، فهي عريقة.

تَقْيِد : تُرْبَط في مكان، لا تبتعد عنه.

تُرْحَل : يوضع عليها الرَّحْل للسفر. (وكَتَى بالتقييد والترحيل عن ملازمة القدر للقوم، فهي تبقى معهم حين ينزلون وترحل معهم حين يرحلون).

* يتابع عروة وصف القدر من خلال وصف الناقة السوداء : فهي حدباء، في الجنين منها خطوط، وهي مُسِنَّ قديمة العهد بخدمة القوم، ملازمة لهم، تبقى معهم حين ينزلون وترحل معهم حين يرحلون.

٥ - عليها، من الولدان، ما قد رأيتمُ وئمشي، بِجَنِيهَا، أَرَامِلُ عُيْلُ

عُيْل : فقيرات (من عال : افتقر، فهو عائل).

* يشدّد عروة على وصف جماعته وما بهم من حاجةٍ شديدة الى الغنائم التي ساعدتهم على نيلها^(١)، فيصورهم يطوفون بالقدر، منتظرين نضج اللحم، أولادٌ يتامى وأرامِلُ فقيرات.

٦ - وقلتُ لها : يا أُمَّ بِيضَاء، فَنِيَّةٌ طَعَامُهُمْ، مِنَ الْقُدُورِ، الْمُعَجَّلُ،

أُم بِيضَاء : كناية عن السوداء تطلق عليها تحبباً أو تعريضاً.

المُعَجَّل : المطبوخ بسرعة، لَمَّا ينضج.

(١) يرمي عروة من ذلك الى هدفين : هدف نفسي غير مقصود فيه ارضاء للنفس التي احست بالغبن لانكار معروفها، والهدف الثاني مقصود فيه تذكير لهؤلاء القوم من هلاك عبس بما كانوا عليه قبل تدخل عروة.

٧ - مَضِيغٌ مِنَ النَّيْبِ الْمَسَانِ وَمُسَخَّنٌ مِنَ الْمَاءِ نَعْلُوهُ بِأَحْرَ مِنْ عُلٍ.

المَضِيغُ : جمع المضيفة وهي كل عصبه ذات لحم.. وكل لحم على عظم مضيفة.

المُسَخَّنُ : (من الماء) الماء الساخن أو المَرَق.

النَّيْبُ : جمع ناب وهي الناقة المُسَنَّة. (سُمِّيَتْ بذلك حين طال نابُها وعَظُم).

المَسَانُ : جمع المُسِنِّ، وهو من الدواب، الذي نبتت سنُّه. والبقرة والشاة يقع عليهما لفظ المُسن إذا أُنْتِئَا، أي طلعت ثنيتهما، وليس معنى ذلك كبرهما في السن^(١) (كما عند البشر).

* معنى البيتين : يخاطب عروة القَدَرُ قائلاً : يا أُمَّ بِيضَاءَ، (أيتها السوداء) هؤلاء حولك فتيةٌ بلغَ بهم الجوعُ كُلَّ مَبْلَغٍ، فلا ينتظرون اللحم لينضَجَ بل يتناولونه مُعَجَّلاً : يمسكون العظمَ عليه اللحمُ يأكلونه ويغمسونه بالمرق الساخن. فاذا ما نقص هذا المرق أُضيفَ إليه ماءٌ جديدٌ.

الى هنا يبلغ أقصاه تصويرُ عروة قومَه المحتاجين الجائعين، وقد أنقذتهم النِعْمُ التي أَمَّنْها لهم فأعادت اللحم الى قِدرهم والحركة الى حَيِّهم. ولكن ماذا نال منهم مقابل ذلك ؟..؟

٨ - فَإِنِّي وَإِيَّاكُمْ كَذِي الْأُمِّ أَزْهَنْتَ لَهُ مَاءَ عَيْنَيْهَا، تُفْذِي وَتُحْمِلُ،

كذِي الْأُمِّ : ذِي (من الأسماء الخمسة) بمعنى صاحب. وذِي الْأُمِّ : لمن له أُم كَتَّى به عن الولد.

أزْهَنْتَ لَهُ : أدامت له، حبست عليه.

(١) لسان العرب ج ١٣ ص ٢٢٢ [مسن].

ماء عينيها : الدموع، كناية عن الرعاية والعناية مع شدة التأثر بكل ما يصيبه.

تُفَدِّي : (تَفَدِّيهِ) تقول : تفديك نفسي، أو جُعلتُ فِداك، وما شابه.
تَحْمِلُ : تحمله أو تتحمل منه.

هـ يشبه عروة حاله مع جماعته العاقين بحال الأم التي أفنت عمرها تكلأ ولدها وترعاه، تحمله، وتفدّيه بنفسها الى أن كبر.

٩ - قَلَمًا تَرَجَّتْ نَفْعُهُ وَشَبَابُهُ أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى، حَدِيدًا، تَكْحَلُ،

حديدًا : مجاورة، يقال : فلان حديدي في الدار أي داره عند حدود داري.

تَكْحَلُ : تتكحل : تضع الكحل، وذلك كناية عن التبرج لممارسة الاغراء على الرجل. عندما كبر الابن برعاية أمه وآن الوقت لتحصد الأم ما زرعت وتنال منه الاهتمام والرعاية، أحسّ بقوّته وقلة حاجته الى والدته فخضع لإغراء امرأة أخرى من الجيران سخرته بجمالها وتبرجها، فدخلت بين أمه وبينه.

١٠ - قَبَائِثُ بِحَدِّ الْمَرْفَقَيْنِ، مُكِبَّةٌ،^(١) تُؤَخِّرُ، مِمَّا نَابَهَا، وَتُولُولُ،

بِحَدِّ الْمَرْفَقَيْنِ مُكِبَّةٌ : متكئة على مرفقيها، منكسة رأسها، من الحزن والهم.

(١) في الديوان : « قبائث لجحد المرفقين كليهما. » والتصحيح عن رواية هامش « شعراء النصرانية » (ص ٨٩٤) وقد اخترنا هذه الرواية لأن لها صدى في قصيدة مرت بنا لعروة « رأيي ورأي البخل مختلف ». (راجع ص ٩٧).

تُوحَوْحُ : تُخْرِجُ صوتاً قوياً فيه بَحَّة. (وهذا يحصل عادة عند الشجار أو النواح)

تُولُولُ : تُعُولُ وتدعو بالويل وتستغيث. (تحاكي صوت النائحة. وذلك كناية عن الحزن العميق).
نَابَهَا : نالها، أصابها.

* إن ما أصابها كان صدمة هائلة تشبه الصدمة بفقد عزيز. فانتابها من الحزن والغم ما جعلها تُنَكِّسُ رأسها على يديها وتتكيء على مرفقيها، تبكي بصوتٍ مبحوح وتستغيث وتنوح.

١١- تُخَيِّرُ مِنْ أُمْرَيْنِ لَيْسَا بِغِبْطَةٍ: هُمَا التَّكْلُ، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَجَمَّلُ.

الْغِبْطَةُ : الْمَسَرَّة.

التَّكْلُ : فَقْدُ الْوَلَدِ.

تَجَمَّلُ : تَتَجَمَّلُ : تَصْبِرُ وَتَكْتُمُ مَا بِهَا فَلَا يَظْهَرُ عَلَيْهَا الذَّل.

* عند هذه الأمِ خيارٌ من اثنين، وكلاهما لا يجلبان مَسَرَّةً : أَنْ تُعْتَدَّ ابنها بحكم المفقود وتُقْنِعَ نفسها بأنها تكلته لتنساه، أو أَنْ تُقْنَعَ بِالْوَقْعِ الْمُرِّ فَتَتَحَمَّلَهُ صَابِرَةً كَاتِمَةً مَا بِنَفْسِهَا، وَهَذَا أَهْوَنُ الشَّرَّيْنِ.

١٢- كَلِيلَةَ شَيْءٍ الَّتِي لَسْتُ نَاسِيًا، وَلَيْلَتَنَا إِذْ مَنَّ مَا مَنَّ قَرْمَلٌ،^(١)

ليلة شيباء : آخر ليلة في الشهر .

قَرْمَلٌ : فَرَسٌ عَرُودٌ بَنُ الْوَرْدِ.

مَنَّ : جَادَ وَتَفَضَّلَ، أَنْعَمَ وَأَحْسَنَ.

(١) ضبط لفظة قَرْمَلٌ عن لسان العرب ج ١١ ص ٥٥٦ [قرملة].

* وكأن الشيء بالشيء يذكر : فالشدة التي كابدها عروة من تنكر جماعته لمعروفه ذكرته بشدة أخرى مرّ بها، أو لعله يذكرها في هذا المقام ليعرض بجماعته ملمحاً الى الأخطار التي واجهها في سيلهم... من ذلك ليلة آخر الشهر التي لا يمكن أن ينساها، وليلة أخرى كاد يلاقي حتفه فيها لو لم يبادر فرسه قَرْمَل الى انقاذه فأصبح ذا فضل عليه.

١٣- بِدِيمُومَةٍ مَا إِنَّ نَكَادَ تَرَى بِهَا، مِنَ الظَّمَا، الْكُومَ الْجِلَادَ تَتَوَلَّى. (١)

ديمومة : مفازة بعيدة الأرجاء يدوم فيها السير
الكوم : النوق ذات السنام العظيم، العالي (المشرف).
الجلاد : من الإبل، الغزيرات اللبن.
تَتَوَلَّى : تعطي، أي تعطي اللبن.

* ان تعرض عروة للخطر جرى في مفازة بعيدة الأرجاء لا ينتهي فيها السير، يجف فيها كل شيء. حتى ضرع النوق العظام السنام، الغزيرات اللبن، يجف وينقطع عن العطاء.

١٤- أَقُولُ لَهُ : يَا مَالِ، أَتُكْ هَابِلُ! مَتَى حُبِسْتُ، عَلَى الْأُفْحِ، تُعْقَلُ،

يا مَالِ : يا مالك. ومالك قد يكون صديقاً له ورفيقاً، وقد يكون خيلاً من عرائس الشعر أخرجه من ذاته وخاطب نفسه من خلاله.

(١) موقع هذا البيت في الديوان بين البيتين التاليين. وقد رأينا أن موقعه هنا يتعمم معنى البيت الثاني عشر الذي يبقى غامضاً اذا بقي منفرداً، كما أن وضع هذا البيت بين الرابع عشر والخامس عشر يمنع تواصل معناه ولا يضيف شيئاً اليه، بل يبقى هناك غريباً.

أُمُّكَ هَابِلٌ : أُمُّكَ ثَاكِلٌ، أي ثكلتك أُمُّكَ. وهو دعاء عليه. وقد يكون للتحبيب.

حُبِسْتُ : حُجِرْتُ في مكان. وكَلَأَ حَابِسٌ : كَلَأَ كثير يحبس المال فلا يحتاج الى التنقل وراء المرعى.
الْأَفْيَحُ : هو الأفيح : المكان الفسيح.
تُعْقَلُ : تجمع قوائمها (للشاة)، تُحْبَسُ.

« بدت الحقيقة فجأة لعروة، وهي أن الذنب في عقوق جماعته يقع عليه، لا عليهم : فهو الذي أخطأ حين أعطاهم بلا حساب. ولذلك يخاطب مالكا، أو يخاطب نفسه من خلال مالك : انظر وتبصر، ثكلتك أُمُّكَ، ألا ترى أن الشاة، اذا سيقت الى المكان الفسيح الكثير الكَلَأُ تُعْقَلُ وتُحْبَسُ لئلا تبطر وتُفسد كَلَّهُ ؟

١٥- تُنْكِرُ آيَاتُ الْبِلَادِ لِمَالِكٍ ، وَأَيُّقِنَ أَنْ لَا شَيْءَ فِيهَا يُقَوِّلُ

التنكر : التغير من حالٍ تسرُّك الى حالٍ تكرهها.
الآيات : الآثار، العلامات، المعالم.
يُقَوِّلُ : يُطْلِبُ اليه القول، يُسْتَنْطِقُ، ولعل ذلك اشارة الى الوقفة المعروفة للشاعر الجاهلي على آثار الديار يستنطقها أخبار من يهمله أمرهم.

* ينهي عروة قصيدته بنفثة حسرة ويأس : يرى أن الحاضر لم يعد كالماضي، بل لم يعد فيه صلة بالماضي ولا أي أثر من آثاره ؛ فمعالم الأرض تغيرت ولم يعد فيها علاماتٌ تُسْتَنْطِقُ لتحدث عن الذكريات الماضية...

وكل ذلك كناية عن التغير النفسي الذي أصاب الشاعر، فلم يعد بإمكانه أن يستأنف حياته مع جماعته، كما بالأمس.

٣٩ — من أصاب النعمة نسي رفاق الشدة

(الوافر)

بَلَجٌ وَقُرَّةٌ صَاحِبَانِ لِعُرْوَةٍ، كَانَا مِنْ أَصْحَابِ الْكَنِيفِ، ثُمَّ أَصَابَا غَنًى
وَنِعْمَةً. أَتَاهُمَا عُرْوَةٌ، وَكَانَ فِي شِدَّةٍ، فَلَمْ يُشِيَاهَا. تَأَثَّرَ عُرْوَةٌ
وَتَبَادَرَتْ إِلَيْهِ صُورَةُ الْعَنْزِ، إِذَا وَقَعَ عَلَى كَلَأٍ فَرَعَاهُ وَسَمَنَ، بَطَرَ
وَلَمْ يَعُدَّ يَهْتَمُّ لِمَنْ حَوْلَهُ.

١ — وَأَيُّ النَّاسِ آمَنُ بَعْدَ بَلَجٍ وَقُرَّةٍ، صَاحِبَيَّ، بِذِي طَلَالٍ؟^(١)

ذِي طَلَالٍ : ماء قريب من الرَبْذَةِ^(٢). وَقِيلَ هُوَ وَادٍ لِعُطْفَانٍ. وَيَبْدُو أَنَّهُ
الْمَوْضِعُ الَّذِي قَصِدَ فِيهِ صَاحِبِيهِ.

٢ — أَلَمَّا أُغْزِرَتْ، فِي الْعُسِّ، بُزْلٌ وَدَرْعَةٌ^(٣) بَنَتْهَا، نَسِيًا فَعَالِي؟

أُغْزِرَتْ : كَثُرَ لَبْنُهَا، وَذَلِكَ كُنَايَةٌ عَنِ النِّعْمَةِ وَالرَّفَاهِ.
الْعُسُّ : الْقَدَحُ الضَّخْمُ، وَهُوَ إِلَى الطَّوْلِ. يَرُوي الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعَةُ وَالْعِدَّةُ..
بُزْلٌ وَدَرْعَةٌ : اسْمَا عَنْزَيْنِ.

• يَكْنَى عُرْوَةٌ بُبُزْلٍ وَدَرْعَةٌ عَنْ صَاحِبِيهِ بَلَجٍ وَقُرَّةٍ، لِيُعْطِيَهُمَا صِفَةَ
الْعَنْزَيْنِ. وَيَبْدُو أَنَّ الْعَنْزَ، إِذَا شَبِعَ وَسَمِنَ، أَصَابَهُ الْبَطَرُ وَغَدَا قَلِيلَ الْإِهْتِمَامِ
بِمَنْ حَوْلَهُ، وَكَذَلِكَ صَاحِبَاهُ نَسِيًا مَا قَدَّمَ لَهُمَا.

(١) فِي الدِّيْوَانِ : أَيُّ النَّاسِ... وَالتَّصْحِيحُ مَعَ ضَبْطِ الشَّكْلِ لِلْبَيْتِ عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ ج ١١
ص ٤٠٨ [طَلَل].

(٢) قَرْيَةٌ قَرَبَ الْمَدِينَةِ.

(٣) كَذَا فِي الدِّيْوَانِ. وَفِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَرَدَتْ « دَرْعَةٌ » (ج ٨ ص ٨٤ [دَرَع])
وَوَرَدَتْ « دَرْعَةٌ » (ج ١١ ص ٥٣ [بَزْل]).

٣ - سَمْنٌ، على الربيعِ، فَهَنْ ضَبَطٌ، لَهْنٌ لِبَالِبٍ تَحْتَ السَّخَالِ.

الربيع : ما تَعْتَلِفُه الدوابُّ من الحُضَر. وربما سُمي الكَلأ ربيعاً.
ضَبَط : سِمَان، قوَيَات.

لِبَالِب الغنم : جَلَبَتْهَا وصَوَّئَهَا. واللَّبْلَبَة : الرِّقَّة على الولد.
السَّخَال : وَلَد الشاة من المَعَز والضَّأَن.

* يَصَوِّر عروة المعزى في أحسن حالاتها : وجدت الكَلأ فرعته، سمتت وقويت، رُزقت صغاراً تعطف عليها وتَرُقُّ لها، تُسمع لِبَلَبَتها عندما تشمها وتلحسها، هي اذن في قمة البَطَر، ومثلها صاحباه، فلا حاجة بهما الى تذكر أيام الشدة ورفاق العجوع.

٤٠ - نبوءة ووعيد

(الوافر)

قيسُ بن زهير من أشرف عبس وسيِّدُها في حرب داحس والغبراء.
حصل بينه وبين عروة جَفَاء، فانتقد قيسُ تصرفاتِ عروة وأقواله وعيَّره نسب أمه النهديّة، ويبدو أنه أبدى رغبته في رحيل عروة عن دياره.. نظم عروة هذه القصيدة يتنبأ فيها لقيس بالخذلان والهزيمة اذا رحل (أي عروة) مع جماعته، لأنهم هم سيفُ عبسِ الحقيقي وهم صانعو قوة قيس، بدونهم يغدو تابِعاً لكل حقير ذليل.

١ - ثَمْنِي غُرْبَتِي قيسٌ وإِسي لأُخْشِي، إِنَّ طَحَا بِكَ مَا تَقُولُ،

طَحَا بِهِ : ذهب به في مذهب بعيد ؛ طحا به ما يقول : اشتط في القول.

٢ - وصَارَتْ دَارُنَا شَخْطاً عَلَيْكُمْ وَجُفَّ السِّيفُ، كُنْتُ بِهِ نَصُولُ،

الشَّخْطُ والشَّخَطُ : البُعد.

الْجُفَّ : والجُفَّةُ والجَفَّةُ : جماعة الناس. وَجُفَّ السِّيفُ : جماعة السيف،
المحاربون بالسيف.

صَال : سَطَا وتَطَاوَل.

« معنى البيتين : عرفتُ أن قيساً تمنى رحيلي عن دياره، وإني لأخشى،
إن تماديت يا قيسُ في الكلام أكثر، أن يصبح تركنا الديار أمراً لا مفرّ منه،
فنبعدُ عنك ويبعدُ بالتالي، جماعةُ السيف الذين كانوا ينتضونه بأمرِكَ فتسطو
بهم على أعدائك، وتتطاول.

٣ - عَلَيْكَ السَّلَامُ^(١)، فَاسَلَّمَهَا، إِذَا مَا أَوَاكَ لَهُ مَبِيتٌ أَوْ مَقِيلٌ:

السَّلَامُ : الاستخذاء والانقياد والاستسلام^(٢).

فاسلمها : قصد فتسلمها، أي أخذها وتناولها (يعني النبوة التي يوجهها
إليه).

أَوَاكَ إِلَيْهِ : ضَمَّكَ إِلَيْهِ.

مَبِيتٌ : منزل الليل

مَقِيلٌ : منزل القيلولة. والمنزلان كناية عن مكان وَوَقْتُ صَالِحَيْنِ للتفكير
الهادئ.

(١) كان العرب في الجاهلية يحيون به أنعم صباحاً « و« أبيت اللعن « و« سلام عليكم «
« هذا في الدعاء بالخير والمدح، وأما الشر والذم فيقدم الضمير، كقوله تعالى : ﴿ إِن
عَلَيْكَ لَعْنَتِي ... عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ... ﴾ وكانوا في المراثي يقدمون ضمير الميت على
الدعاء : عَلَيْكَ سَلَامٌ ... (انظر لسان العرب ج ١٢ ص ٢٨٩) [سلم].

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٣.

* عليك الاستخذاء والانقياد. إنها لعنة — نبوءة، خذها وتفكر بها عندما تخلو الى نفسك وقد ضَمَّكَ سريرُ ليلك أو مَقِيلُ نهارِكَ.

٤ — بِأَنْ يَمَّا الْقَلِيلُ عَلَيْكَ حَتَّى تَصِيرَ لَهُ، وَيَأْكُلَكَ الدَّلِيلُ،

أعيا عليه : أعجزه (ومثلها عَيَّ عليه)، صعب عليه.
القليل : من الرجال : القصيرُ، الدقيقُ الجُتَّة، وهو القُلُّ أيضاً. والقُلُّ من الرجال : الخسيس الدين. وكل ذلك كناية عن الرجل المحتقر. ومثله الدليل.

صارَ لَهُ : (صار اليه) : مال نحوه، أقبل عليه، انتهى اليه.. (والهاء ضمير يعود الى الدليل).
يَأْكُلُكَ : يتمكَّنُ منك.

* النبوءة هي : أن قيساً سيضعفُ نفوذُه حتى تعجزَ سطوته عن نيل أحقرِ الرجال، ويصير به الأمرُ الى أن يتمكَّنَ منه أذلاؤهم.

٥ — فَإِنَّ الْحَرْبَ، لَوْ دَارَتْ رَحَاهَا وَفَاضَ الْعِزُّ وَاتَّبَعَ الْقَلِيلُ،

دارت رحي الحرب : قامت الحرب واشتدت.
فَاضَ : زال ومات. فاض العز : ذهب عزُّك يا قيس.
اتَّبَعَ القليل : صرت تابعاً للضعفاء الأذلاء.

* إن أي معركة تخوضونها، بعد تركنا لكم، ستثبتُ نبوءتي بذهاب عزِّك واتِّباعك أحقرَ الناس وأذلَّهم. (وليس بعد اتباع الأذلاء ذل).

٦ — أَخَذْتُ، وَرَاعَنَا، يَدْنَابِ عَيْشٍ، إِذَا مَا الشَّمْسُ قَامَتْ، لَا تَزُولُ،

دِئَاب : جمع دَيْب. (تقول العرب عمَّن يرضى بحظِّ ناقص : ركب دَيْب

البعير، وَاتَّبَعَ ذَنْبَ أَمْرِ مُدَبِّرٍ يَتَحَسَّرُ عَلَى مَا فَاتَهُ ^(١) .
الذَّنَاب : عقب كل شيء. وَاتَّبَعَ ذَنْبَ الْأَمْرِ : اذا تَلَهَّفَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ
مَضَى ^(٢)

قَامَتِ الشَّمْسُ : ثَبَتَتْ فِي مَكَانِهَا لَا تَتَقَدَّمُ.
لَا تَزُولُ : لَا تَزُلُّ عَنْ كِبْدِ السَّمَاءِ (لَا تَتَجَهَّ نَحْوَ الْمَغِيبِ) وَذَلِكَ كِنَايَةٌ
عَنِ الْإِحْسَاسِ بِطَوِيلِ الْوَقْتِ فِي أَصْعَبِ حَالَاتِهِ وَهُوَ وَقْتُ الْهَاجِرَةِ.

* عِنْدَمَا تَصْبِحُونَ فِي هَذِهِ الْحَالِ الذَّلِيلَةِ وَقَدْ رَضِيتُمْ بِالْعَيْشِ الْحَقِيرِ،
وَقَعْدْتُمْ تَتَحَسَّرُونَ عَلَى أَيَّامٍ كُنَّا فِيهَا مَعَكُمْ نَرْفَعُ شَأْنَكُمْ وَنُدْعِمُ عَزَّكُمْ،
تَجِدُونَ سَاعَتَهَا أَنَّ الْأَيَّامَ طَوِيلَةٌ وَالزَّمَنَ وَاقِفٌ وَالشَّمْسُ ثَابِتَةٌ فِي كِبْدِ
السَّمَاءِ. (كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ لِلنَّهَارِ أَنْ يَخْتْفِيَ لِيَسْتَرُوا ذُلَّهُمْ بِظِلَامِ اللَّيْلِ،
وَالنَّهَارُ يَصْمُمُ عَلَى فَضَحِهِمْ بِثَبَاتِهِ وَعَدَمِ زَوَالِهِ).

٧ - فَكُنْتُ كَلِيلَةَ الشَّيَاءِ، هَمُّتُ بِمَنْعِ الشُّكْرِ، أَثَامَهَا الْقَبِيلُ ^(٣)

لِيلِيَةِ الشَّيَاءِ : كَانَتْ الْعَرَبُ تَقُولُ لِلْبَكْرِ، إِذَا زُفَّتْ إِلَى زَوْجِهَا فَدَخَلَ بِهَا
وَافْتَرَعَهَا لَيْلَةً زَفَافَهَا : بَاتَتْ بِلَيْلَةِ شَيْءٍ. ^(٤)
الشُّكْرُ : فَرَجُ الْمَرْأَةِ. وَهَمْتُ بِمَنْعِ الشُّكْرِ : أَرَادَتْ أَنْ تَمْنَعَ فَرَجَهَا عَنْ
زَوْجِهَا.
أَثَامَهَا : أَفْضَاهَا، جَامِعُهَا.

(١) لسان العرب ج ١ ص ٣٨٩ [ذنب].
(٢) الرمخشري - أساس البلاغة ج ١ ص ١٩٨ [ذنب].
(٣) هذا البيت غير وارد في الديوان. وقد وجدناه في لسان العرب منسوباً إلى عروة مع
البيت السابق (انظر ج ١٢ ص ٦٣ [تَأْم]) ومعناه يتمم معنى البيت الذي قبله،
فأثبتناه.

(٤) لسان العرب ج ١ ص ٥١٣ [شيب].

القبيل : الزوج^(١) (لعلها بسبب الكتاب الذي يكتب بمناسبة الزواج لأن القبيل هو كل من تقبل بشيء مقاطعةً وكُتب عليه بذلك الكتاب^(٢))

« انك، بموقفك الذي يؤدي الى ابتعادنا، تحرم نفسك نعمةً كبيرةً، قد تكون أكبر نعمة في حياتك، وأنت بذلك تُشبه البكر التي يُقبل عليها زوجها ليفتضئها، في ليلة زفافها، فتَهُمُّ بمنع فرجها عنه، مُضِيعَةً بذلك أُمْنِيَةَ عُمرها.

٤١ - أمل في عطاء الحكم

(الوافر)

من مدائح عروة القليلة هذه الأبيات قالها في الحكم بن زبأغ. والمدح فيها يأتي بصورة غير مباشرة، عن طريق حوار بين الشاعر وزوجه : فهو يعتذر منها عن عزمه على تركها مُتَذَرِّعاً بأنَّ السفر مضمون النتائج هذه المرة لأنه يتبع دليلاً واضحاً، وليس انطلاقاً عشوائياً. والزوجة، التي لم تلمه في السابق، تلومه بدلاً وغنج، لكنها توافق، مؤملة بالشبع، بعد القلة والاكتفاء بأكل الخبز وشرب الماء.^(٣)

(١) المنجد [قبل].

(٢) اساس البلاغة ج ٢ ص ١٤٩ [قبل].

(٣) يعتمد عروة، في المدح، قاعدتين معروفتين لاستدراك كرم الممدوح : الأولى وصف مشقات السير ليكون الثواب بمقدارها. والثانية ذكر الآمال الكبيرة المعقودة على زيارة الممدوح، وترقب النساء والأطفال لما يمكن أن يجود به، ليكون العطاء بمستوى هذه الآمال.

١ - إلى حَكَمٍ تَنَاجَلَ مَنَسِمَاهَا حَصَى المَعَزَاءِ، مِنْ كَنَفِي حَقِيلٍ

تَجَل الشَّيْءُ : رمى به. والناقة تنجل الحصى مناجلها نجلاً : ترمي به وتدفعه. تَنَاجَلَ مَنَسِمَاهَا الحصى : تنافسا في رمي الحصى، أو تراميا بها. المَنَسِيم : طرف خف البعير والنعامة والفيل والحافر هو للناقة كالظفر للانسان.

الكنف : الناحية. وناحيتا كل شيء كنفاه.

المعزاء : المكان الكثير الحصى الصلب.

حقيل : اسم موضع. وقيل إنه جبل من ذي الأبارق.

* يذكر عروة أنه يقصد الحَكَم على ظهر ناقة سريعة تقذف مناسيمها الحصى في سيرها على طريق أرضه صلبة كثير حصاها، تَمُرُّ بجانبَي حقيل.

٢ - وَلَمْ أَسْأَلْكَ شَيْئاً قَبْلَ هَاتِي،^(١) وَلَكِنِّي عَلَى أَثَرِ الدَّلِيلِ

قبل هاتي : قبل هذه المسألة. والمسألة هي أن يسافر الى الحكم. والخطاب موجّه (في اعتقادنا) الى زوجة عروة. على أثر الدليل : أتبع أثراً يوصل الى الحكم. (وقد يكون الدليل انساناً وصفه لعروة بالكرم، أو يكون الطريق نفسها التي غدت واضحة لكثرة ما سلكها، الى الحكم، طالبو المعروف منه.)

* يخاطب زوجته قائلاً : ان طلبي هذا هو أول طلب اتقدم به اليك، وانما أقوم بذلك لأنني واثق مما أفعل، أتبع طريقاً واضحة لا يضل سالكها.

(١) في امالي القالي : قبل هذا (ج ٣ - الدليل - ص ١٨).

٣ - وَكَانَتْ لَا تَلُومُ فَأَرْقَتْنِي مَلَامَتُهَا، عَلَى ذَلِّ جَمِيلٍ،
الدَّلَّ : الدلال والغنج.

* يبدو أن حديث عروة يجري مع زوجة غير سلمى المشهورة بلومها الدائم له. هذه الزوجة لم تُلْمَ في السابق على أسفاره، وهي تلومه الآن لوماً ممزوجاً بالغنج المُحِبِّ، فيعجب لملامتها ويسهر أرقاً جفاه النوم.

٤ - وَآسَتْ نَفْسَهَا، وَطَوَتْ حَشَاهَا عَلَى الْمَاءِ الْقَرَّاحِ مَعَ الْمَلِيلِ
آست نفسها : تعزّت، تصبّرت.

طوت حشاها على... : تركت بطنها خاويةً إلا من ...
الماء القَرَّاح : الماء الصافي، الماء الذي يُشرب إثر الطعام.
المليل : الخبز الذي يُنضج بدفنه في الرمل الحار.

* هذه الزوجة اللائمة لم تَجِدْ أذناً صاغية فأقنعت نفسها بضرورة سفره، وتعزّت بأنها قد تشبّع لدى عودة زوجها، وهي التي تنام خاوية البطن إلا من تُخبز المَلَّة والماء القَرَّاح.

٤٢ - المال في خدمة الحقوق

(الطويل)

يتوجّه عروة مرة أخرى الى زوجته يقنعها بضرورة رحيله في طلب الغنى، فالغنى طريق الى العزّ والجاه والقيام بواجب الجماعة وتحمّل غُرْم المخطئين وديّات القتلى... وما لا يُصدّقه عروة، ولا يطيق تصوّره، أن تطراً مُشكلةً يكون حلّها بالمعروف والحِمالَة^(١)،

(١) الحِمَالَة : الدية والغرامة التي يحملها قوم عن قوم.

فلا يكون هو من المُشاركين الحاملين. أليس هذا الدورُ لعروّة
خُلِقَ ولأمثال عروّة ؟ فإذا لم يستطع تأديته لم يكن لِحَيَاتِهِ معنى،
والموتُ أَسْتَرُ له.

١ - دَعِنِي أَطَوِّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أَفِيدُ غِنًى، فِيهِ لِيذِي الْحَقُّ مَحْمِلٌ^(١)

طَوِّفُ : أَكْثَرَ الطَّوُافِ. أَيِ التَّنَقُّلِ أَوْ الدُّوْرَانِ.

يُفِيدُ غِنًى : يَسْتَفِيدُ غِنًى، أَيِ يَحْصِلُ عَلَيْهِ.

الْحَقُّ : الْحَقُّ فِي الْمَعْرُوفِ وَالْمَرْوَةِ وَالْقَرْىِ وَالْحِمَالَةِ...

ذُو الْحَقِّ هُوَ الْمُسْتَفِيدُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَرْوَةِ وَالْمَعْرُوفِ...

الْمَحْمِلُ : الْمَعْتَمَدُ.

* أَتْرَكْنِي أَتَنَقَّلُ فِي الْبِلَادِ إِلَى أَنْ أَنْالَ مِنَ الْغِنَى مَا يُمَكِّنُنِي الْاعْتِمَادَ عَلَيْهِ
لِتَأْدِيَةِ وَاجِبَاتِ الْمَرْوَةِ وَالضِّيَافَةِ وَالْكَرَمِ وَتَحْمِلِ الدِّيَاتِ عَمَّنْ يَحْتَاجُهُ.

٢ - أَلَيْسَ عَظِيماً أَنْ ثَلِمَ مُلِمَّةٌ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا، فِي الْحَقُوقِ، مُعَوَّلٌ؟

ثَلِمَ مُلِمَّةٌ : تَنْزَلَ نَازِلَةٌ شَدِيدَةٌ مِنْ شِدَائِدِ الدَّهْرِ.

مُعَوَّلٌ : مَصْدَرٌ مِنْ عَوَّلَ (عَلَيْهِ) أَيِ اعْتَمَدَ أَوْ اتَّكَلَ (عَلَيْهِ).

* أَنَّهُ لَشَيْءٌ فَظِيحٌ وَمُسْتَنْكَرٌ أَنْ تُجِلَّ مُصِيبَةٌ بِجَمَاعَتِنَا وَلَا يَكُونَ لَنَا دَوْرٌ

فِي دَفْعِهَا عَنْهُمْ !

٣ - فَإِنْ نَحْنُ لَمْ نَمْلِكْ دِفَاعاً بِحَادِثٍ، ثَلِمَ بِهِ الْأَيَّامُ، فَالْمَوْتُ أَجْمَلُ

دَفَعَ بِهِ : دَفَعَهُ وَرَدَّهُ.

(١) فِي شَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ : مَحْمِلٌ. ج ٣ ص ٩٧.

الأيام : الشدائد.

« إننا، اذا وقع حادثٌ، ولم نستطع دفعاً له أو تطويقاً، بأموالنا، فَقَدْنا سَبَبَ وجودنا ومَحَوْرَ سيادتنا، وكان الموتُ أفضلَ لنا.

٤٣ — تَحْدِي

(الطويل)

أغار عروّة على مُزينة^(١) فأصاب منهم امرأة من كِنانة ناكحاً
فاستاقها ورجع.^(٢) ويبدو أن سبي النساء، بقدر ما يكون مذلةً
لقبيلتهن، يكون مجالاً فخر للغاصيين. وقد بَلَغَت نشوة النصر،
بعروّة أن يتحدّى أعرق القبائل من مضر وربيعة. يقول :

١ — تَبَعَ عَدِيًّا^(٣) حَيْثُ خَلَّتْ دِيَارُهَا، وَأَبْنَاءَ عَوْفٍ، فِي الْقُرُونِ الْآوَائِلِ،

تَبَعِي : طَلَبَ وَتَبَعَ : أَطْلَبَ.

عدي : بنو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
بنو عوف : بطن ينتسبون الى عوف بن مُحَلَّم بن ذُهل بن شيبان
في القرون الأوائل : الذين كانوا معروفين في الأيام الغابرة.

(١) مزينة : بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. وحسب ابن برّي : مزينة بنت كلب بن
وبرة. وهي أم عثمان وأوس بن عمرو بن أد بن طابخة... (لسان العرب ج ١٣
ص ٤٠٧ [مزن]).

(٢) الأغاني ج ٣ ص ٧٢.

(٣) في الديوان : تبّع عداءً والتصحيح عن الأغاني ج ٣ ص ٧٢.

* يَحُثُّ عُرْوَةَ نَفْسِهِ عَلَى مَلاحِقَةِ عَدِيٍّ وَطَلِبِهَا إِنَّمَا حَلَّتْ وَعَلَى طَلَبِ
بَنِي عَوْفٍ أَيْضاً وَهُمْ الْمَشْهُورُونَ فِي الْأَيَّامِ الْغَابِرَةِ^(١).

٢ - فَإِذَا أُنْثِلَ أَوْساً^(٢)، فَإِنِّي حَسْبُهَا، بِمُنْبِطِحِ الْأَدْغَالِ^(٣) مِنْ ذِي السَّلَاطِلِ

أَوْس : نَرَجِّحُ أَنَّهُ أَوْسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ أَدٍّ مِنْ مَزِينَةَ.
إِنِّي حَسْبُهَا : إِنِّي كَافِيهَا، أَيُّ نَالَتْ كِفَايَتَهَا مِنِّي.
مُنْبِطِح : اسْمُ مَكَانٍ مِنْ انْبِطَحَ، بِمَعْنَى عَرُضٍ وَاتَّسَعٍ.
الْأَدْغَال : الْمَوَاضِعُ الْكَثِيفَةُ الشَّجَرِ. وَأَدْغَالُ الْأَرْضِ : رِقَّتُهَا وَبَطُونُهَا وَالْوُطَاءُ
مِنْهَا. وَهِيَ أَيْضاً الْوُدَيَانِ وَالْجِبَالُ...
وَمُنْبِطِحُ الْأَدْغَالِ : الْمَكَانُ الْعَرِيزُ الْمَتَّعُ مِنَ الْوَادِي (الَّذِي هُوَ ذُو
السَّلَاطِلِ) (وَلَعَلَّهُ مَكَانُ غَارَةِ عُرْوَةِ)
ذُو السَّلَاطِلِ : وَادٍ بَيْنَ الْفُرْعِ^(٤) وَالْمَدِينَةِ.

* أَمَّا أَوْسٌ، فَإِنْ لَمْ أَشْفِ غَلِيلِي مِنْهَا، فَقَدْ نَالَتْ كِفَايَتَهَا مِنْ أَعْمَالِي حِينَ
أَغَرْتُ عَلَيْهَا بِمُنْبِطِحِ الْأَدْغَالِ، حَيْثُ يَتَّسِعُ الْوَادِي ذُو السَّلَاطِلِ.

(١) بَنُو عَوْفٍ مَشْهُورُونَ بِالْمَنْعَةِ. فَمِنْ امْتَالِهِمْ فِي الرَّجُلِ الْعَزِيزِ الْمَنِيْعِ الَّذِي يَعْزُّ بِهِ الذَّلِيلُ
وَيَنْدُلُّ بِهِ الْعَزِيزُ قَوْلُهُمْ : « لَا حُرٌّ بِوَادِي عَوْفٍ »، أَيُّ كُلِّ مَنْ صَارَ بِنَاحِيَتِهِ خَضَعٌ لَهُ.
وَالْمَثَلُ لِلْمَنْدَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ قَالَهُ فِي عَوْفٍ بْنُ مُحَلَّمٍ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَنْدَرَ كَانَ يَطْلُبُ زَهِيرَ
بْنِ أُمِيَّةِ الشَّيْبَانِيِّ بِدَخْلٍ، فَمَنْعَهُ عَوْفُ بْنُ مُحَلَّمٍ وَأَبَى أَنْ يَسْلَمَهُ. فَعِنْدَهَا قَالَ الْمَنْدَرُ : لَا
حُرٌّ بِوَادِي عَوْفٍ... لِسَانُ الْعَرَبِ ج ٩ ص ٢٦٠.

(٢) نَرَى أَنَّ أَوْساً هِيَ غَيْرُ الْأَوْسِ الَّتِي سَكَنْتِ وَالْخَزْرَجُ مَدِينَةُ يَثْرِبَ. لِأَنَّ عُرْوَةَ يَتَنَاطَلُ هُنَا
قَبَائِلُ نَزَارٍ انْطِلَاقاً مِنْ أَذْيَتِهِ مَزِينَةَ، بَيْنَمَا الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ مِنْ قَبَائِلِ عَرَبِ الْجَنُوبِ.

(٣) فِي الدِّيَوَانِ : بِمُنْبِطِحِ الْأُرْعَالِ. وَالتَّصْحِيحُ عَنْ الْأَغَانِي ج ٣ ص ٧٢.

(٤) الْفُرْعُ : مَاءُ بَعِينَةٍ، وَمَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ (لِسَانُ الْعَرَبِ ج ٨ ص ٢٥١ [فُرْع]).

٤٤ — صورة عروة بريشته

(الطويل)

١ — بُنِيتْ عَلَى خُلُقِ الرِّجَالِ بِأَعْظَمِ خِفَافٍ تُثْنِي، تُحْتَهِنُ، الْمَفَاصِلُ،

الخُلُقُ : الخِلاقَةُ. صورة الانسان التي تُخلق عليها. وَخُلُقُ الرِّجَالِ : صورة الرجل
كما هي مرسومة في الأذهان : عمادها القوة وعِظَمُ الجسم.

الاعظم الخفاف : كناية عن خفة الحركة.

تثني المفاصل : كناية عن اللين.

* صورة عروة الجسدية، كما يرسمها لنفسه، صورة الرجل العظيم الجسم،

القوي، الخفيف الحركة اللين المفاصل : قوة وخفة ولين.

٢ — وَقَلْبٍ جَلَا عَنْهُ الشُّكُوكُ فَإِنْ ثَبَأَ، يُخَبِّرُكَ، ظَهَرَ الْغَيْبِ، مَا أَنْتَ فَاعِلٌ.

جَلَا : كَشَفَ، أَوْضَحَ

الشُّكُوكُ : التردد وغموض الرؤيا

جلا عنه الشكوك : تخلص من التردد فغدا واضح الرؤيا، واثقاً بنفسه.

يُخَبِّرُكَ... فاعل : كناية عن صدق الفراسة التي تحدد اعمال الانسان وتصرفاته
من خلال حكمها على طبيعته.

ظهر الغيب : المستقبل المجهول.

* أما صورة عروة الداخلية فُيُلَخِّصُهَا بالبصيرة والفطنة والفراسة، فهو يرى ما

يراه بوضوح، يقول ما يقوله بثقة، يحكم على الناس بنظرة ويعرف، بفراسته ما
يُتَوَقَّعُ منهم في المستقبل الغامض.

ملحق

٤٥ — ميراث عروة^(١)

(الطويل)

يحاول عروة أن يقلل من قيمة ثروته في عين من يطمع بإرثه. ولذا فهو يحدّد ثروته الفعلية بأدوات الحرب. ولا عجب في ذلك لأن هذه الأدوات كانت سبيله الى جني الثروات الكثيرة التي نالها. ولعلّ عروة أراد أن يخير وارثه بين أن يكون قعوداً ميّالاً الى الترفّه، وفي هذه الحال تصيبه خيبة الأمل، وبين أن يكون بعيد الهمة، قويّ العزيمة فيجد في مخلفات عروة قيمة رأس المال القابل للاستثمار...

١ — وَذِي أَمَلٍ^(٢) يَرْجُو ثَرَاتِي، وَإِنْ مَا يَصِيرُ لَهُ مِنْهُ غَدًا لَقَلِيلٌ،
تراثي : إرثي.

* وربّ وارث يترقّب ميراثي، سيصاب بخيبة الأمل عندما يطلع على ما أخلفه، وهو ليس بالأمر الكثير.

٢ — وَمَا لِي مَالٌ غَيْرُ دِرْعٍ وَمُغْفَرٍ وَأُيُضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ صَقِيلٌ،^(٣)

(١) هذه الأبيات غير موجودة في الديوان. انما أوردها ابن رشيق في « العمدة » (ج ١ ص ٣٦) وذكرها الجرجاني في « الوساطة » (ص ٢٤٢) وذكرها العكبري في شرحه لديوان المتنبي (ج ٢ ص ٢٧١). أما أبو تمام فنسبها الى الأبيض العنسي مع ابيات أخرى (الحماسة ج ١ ص ١٧٨).

(٢) في العمدة : إن امرأ يرجو تراثي...

(٣) يعلق ابن رشيق على رفع « صقيل » وهي نعت لأبيض وموضعها الخفض، فيقول :

المغفر : زرد يُنسَج من الدروع على قدر الرأس يُلبَس تحت القلنسوة. أو هو حِلَق يجعلها الرجل أسفل البيضة تُسَبَّح على العنق فتقيه. (فتكون من غَفَر : سَتَر).

الأبيض الصقيل : هو السيف المصقول.

٣ - وَأَسْمَرُ، حُطِّي الْقَنَاءِ، مُثَقَّفٌ، وَأَجْرَدُ عُرْيَانُ السَّرَاةِ، طَوِيلٌ.

الأسمر : الرمح تؤخذ قنانه وقد أدركت في غايتها ونضجت ويست، فإذا قُومَت خرجت سمراء.

الحطِّي : المنسوب الى الخط، وهو مرفأ في البحرين.

مُثَقَّفٌ : مقوّم.

الأجرد : الفرس الأجرد : القصير الشعر.

السراة : الظهر.

* في البيتين يعدّ عروة تركته : الدرع وقلنسوة الزرد، والسيف المصقول، والرمح المثقف والفرس الطويل القصير الشعر.

« هكذا أنشدوه بالإقواء. ويجوز أن يُرفع على القطع والإضمام، كأنه قال : وهو صقيل، أو قال : ولي أبيض من ماء الحديد، يعني سيفه.

ويمكن أن نجد تعليلاً آخر انطلاقاً من أن عروة هدف في أبياته الى تقليص الأمل بالحصول على مال في تركته، ولكنه لم يهدف الى تقليص عدد أدوات الحرب. ولذلك يمكن ألا تكون « ما » في أول البيت للنفي وإنما « مالي » أي المال الذي عندي. ولا تكون « غير » للحصر وإنما للتعدد كما يقال في الاستعمال الشائع « أكثر من درع » ويكون في عبارة « مالي مال » نوع من التعجب الساخر : ومالي مأل وأي مال ! يأتي بعد ذلك التعريف : هو عدة دروع وقلنسوة من الزرد وسيف من حديد مصقول. (وبذلك يكون موضع « غير » الرفع وكذلك موضع « أبيض » و« أسمر » و« عريان » وكلها معطوفة على « غير »).

٤٦ — ميراث عروة (ايضاً)^(١)

(الطويل)

في هذين البيتين كذلك يقطع عروة أمل الوارث بالحصول على المال، ويؤكد ان ارثه ليس الا مجموعة من ادوات الحرب.

١ — متى ما يَجِيءُ، يوماً الى المالِ، وارثي يَجِدُ جُمْعَ كَفٍّ، غير ملأى ولا صِفَرٍ:

جمع الكف : ما تحويه اليد

صفر : فارغة.

« اذا جاء وارثي بحصي تركتي يجد ما تحويه يدي ليس كثيراً، لكنه ليس بالقليل.

٢ — يَجِدُ فَرَساً مثلَ القناةِ وصارماً حُساماً، اذا ما هَزَّ، لم يَرْضَ بالهَبَرِ.

مثل القناة : مثل الرمح لطول فيه وقامة ممشوقة.

الصارم : القاطع وهو نعت لحسام.

الحسام : السيف.

الهبر : اللحم، وهو أيضاً الضرب الذي يقطع اللحم.

« الإرث القليل الكبير القيمة هو: فرس ممشوق وسيف قاطع لا يكتفي باللحم بل يقطع العظم أيضاً^(٢).

(١) البيتان غير واردين في الديوان وجدناهما في « المفصل في تاريخ العرب » (ج ٩ ص

٦٢٧) نقلهما جواد علي عن كتاب « القصاص » من نواذر المخطوطات.

(٢) من المعروف أن عروة كان اذا اشتكى اليه شاب الفقر اعطاه فرساً ورمحاً ودفعه الى الاستغناء. (راجع ص ٢٥ من المقدمة هامش ١).

٤٧ — الوصل لا يدوم^(١)

(الوافر)

يقف عروة بديار أم عمرو فيستعيد ذكريات الماضي، ويذرف
الدموع الغالية ثم يسجل نغمته على الزمن الغادر...

١ — ألم تعرف منازل أم عمرو، بمنعرج النواصف من أبان؟

انعرج : مال ومنعرج : اسم مكان منه . ومنعرج الطريق : حيث يميل
الطريق أو ينعطف.

النواصف : أماكن بين الغلظ واللين، وقيل : هي رحاب من الأرض.
أبان^(٢) : جبل من اثنين في البادية، أحدهما أبيض والثاني أسود، بينهما نهر
يُقال له الرمة.

* يسائل عروة نفسه معاتباً : ألا ترى أمامك منازل أم عمرو حيث
تنعطف الطريق المارة بالأماكن المتوسطة بين الغلظ واللين من جبل أبان ؟

٢ — وقفت بها ففاض الدمع مني، كمنحدر من النظم الجمان

المنحدر : المتساقط (دلالة على أن النظم الذي يشبه به قد انفرط
عقده).

النظم : التأليف، جمع اللؤلؤ في سلك، ما ينظم من لؤلؤ وخرز وغيرهما.

(١) هذه الايات غير مذكورة في الديوان. وقد نقلها الدكتور ابراهيم شحادة الخواجه عن
مخطوطة منتهى الطلب من أشعار العرب ص ٢٤٩. (راجع ابراهيم الخواجه — عروة
بن الورد — ص ١٩١).

(٢) موقعه غربي القصيم. وبين الجبلين ثلاثة أميال.

الجُمان^(١) : اللؤلؤ الصغار، أو هو حَبُّ يُتَّخَذُ من الفضة على أشكال اللؤلؤ.

« بعد لحظاتِ التردد والتساؤل وعتاب الذات، كان الوقوفُ مع الذكريات. وهياجُ الأشجان ملاً عيني عروة بالدموع فراحَت تتساقط متسارعة كأنها حباتُ اللؤلؤ الصغار المنظومة تتدحرج متدافعة وقد انفرط عقدُها.

٣ - وَلَكِنْ، لَنْ يُلَبِّثَ وَصْلُ حَيٍّ، وَجِدَّةٌ وَجْهٍ مُرُّ الزَّمَانِ..

لَبَّثَ : أقام.

وجه كل شيء : مستقبله.

* ينتهي الأمر بعروة الى حكمة : كُلُّ وَصْلٍ إِلَى فِرَاقٍ، فَمَنْ غَيْرِ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يَدُومَ الْوَصْلُ لِإِنْسَانٍ طَالَمَا أَنْ مُسْتَقْبَلُهُ يَصْنَعُهُ الزَّمَانُ الْمَرُّ، وَهَذَا الزَّمَانُ يَطْعُمُ بِمِصَائِبِهِ كُلَّ حَدَثٍ جَدِيدٍ.

(١) لفظة فارسية معربة.

الفهارس

١ — فهرس الآيات القرآنية الكريمة

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
النساء لباس للرجال	٨٨
الايثار مع الجوع	١٢٥

٢ — فهرس الأحاديث الشريفة

<u>الموضوع</u>	<u>الصفحة</u>
حق الجار	٩٧
التطفل	٩٩
حق الضيف	٩٩
الابتعاد عند الظهر	١٣٨

٣ - فهرس الاعلام

أ -

- ابراهيم الخواجة — ٢٧، ٢٩، ٣٧، ٤١، ٥١، ٧٣، ٩٤، ١٠٩، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ٢٣٠.
- ابن الأثير — ٢٧، ٢٨.
- ابن أحمر — ١٣٩.
- ابن الأعرابي — ٦٣.
- ابن أمّهم الأنماري — ١٦٧، ١٦٨.
- ابن الأنباري — ١٩٩.
- ابن خلدون — ١١، ١٤.
- ابن رشيق — ٢٢٧.
- ابن السكيت — ٢٥، ٤٣، ٧٢، ٧٣، ١٥٦، ١٨٨، ١٨٩.
- ابن سيده — ١٣٩.
- ابن قتيبة — ١٨٨.
- ابن منظور — ٩٤، ٩٩.
- أبو تمام — ٧٤، ١٥٦، ٢٢٧.
- أبو حاتم السجستاني — ٤٥.
- أبو حنيفة — ١٣٠.

أبو عبيدة — ٢٩.

- أبو عمرو الشيباني — ٧٣، ١٢٦.
- الأبيض العنسي — ٢٢٧.
- الأحيمر السعدي — ١٧، ١٨.
- أسماء العيسية — ٥١، ٨٧، ٨٨.
- الأصفهاني — ٢٥، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٤٠.
- الأصمعي — ٤٥، ٧٣.
- الأعشى الأكبر — ٢٠.
- أم أوس — ١٣.
- أم حسان = سلمى الكنانية
- أم وهب = سلمى الكنانية
- أم مالك = سلمى الكنانية
- امرؤ القيس — ١٢.
- أوس بن عمرو — ٢٢٥.

ب -

- بُزْل (عنترة مشهورة) — ٢١٥.
- بشر بن المغيرة — ٩٨.
- بطرس البستاني — ١٤.

بُلُج (صاحب عروة) — ٢١٥.
بنت منذر = سلمى الكنانية.

— ت —

التبريزي — ٢٩، ٧٤، ١٨٨.
تُماضر، زوجة عروة — ١٠٩، ٥٢.

— ث —

ثعلب — ١٣٦.
تمامة بن الوليد العبسي — ٣٤.

— ج —

الجاحظ — ١٨٨.
جبّار — ٣١، ١٣٢، ١٣٤.
الجرجاني — ٢٢٧.
جرير — ٢٩.
جعفر المتوكل على الله — ٧٣.
جواد علي — ٢٢، ٢٤.

— ح —

حاتم الطائي — ٢٣، ٤٠، ٦١.
الحارث بن زيد الخيل — ١٣.
حرقة بنت النعمان — ٢٠.
حذيفة بن بدر — ٢٧، ٢٨.
الحطيمة — ٤١.
الحكم بن زنباع — ٢٢٠، ٢٢١.
الحكم بن الطفيل — ١٦٥.
الحكم بن مروان — ٤٥.

— د —

دُرْعَة (عنزة مشهورة) — ٢١٥.
دُرَيْد بن الصِّمَّة — ١٢، ١٣.

— ر —

الربيع بن زياد العبسي — ٤١، ١٨٠، ١٩٠.

— ز —

الزُّجَّاج — ٩٧.
زهير بن أمية الشيباني — ٢٢٥.

— س —

سامع بن عروة — ١٧٩.
سلمة بن الخُرشب الأنماري — ٦٢.
سلمى الكنانية — ٣١، ٣٢، ٣٣، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٩٧، ٩٨، ١٠٩، ١٢٦، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٤٣، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٤، ١٩٥.

— ش —

شُتَيْر بن خالد — ١٦٤.
شَرِيك الزُّبَّاني — ١١٧، ١١٩.
الشتعمري — ١٨٨.
الشنفري — ١٥.

— ط —

طَلْق — ١١، ١٣٢، ١٣٤.

— ع —

عامر بن الطفيل — ٥٠، ٥٢، ٨٧، ١٦٩، ١٧٠.

العباس بن مرداس — ١٩٩.

عبدالله بن جعفر — ٤١، ١٧٤.

عبد المعين ملوحي — ٧٤.

عبد الملك بن مروان — ٤١، ١٢٢.

عبد الوهاب عزّام — ٨٢.

العُجَير السُّلُولِي — ١٥٦، ١٨٩.

عُروة بن أذينة — ١٠٧.

عُروة بن بُجير — ١٨٨.

عُروة بن مُرّة الهذلي — ٩٤.

العُزَي (الهة) — ٣٨، ٢٠٦.

العكبري — ١٩٥، ٢٢٧.

عمر بن الخطاب — ٤١، ١٩٢.

عمرو بن كلثوم — ١٢٤.

عترة بن شداد — ٢٩، ٤١، ٥٢، ٥٣، ١٦٩.

عوف بن محلم — ٢٢٥.

— ف —

الفراء — ٧٣.

الفرزدق — ٢٩.

فيليب حتي — ١٤.

— ق —

القالبي — ١٢٢.

قُرّة (صاحب عروة) — ٢١٥.

قَرْمَل (فرس عروة) — ٢١٢، ٢١٣.

القزويني — ١٢٠، ١٣٦.

قيس بن ذُرَيْح — ١٣٦.

قيس بن زهير العبسي — ٢٨، ٢٩، ٤١.

٥٣، ١٢٢، ١٨٠، ٢١٦، ٢١٧.

— ك —

كرم البستاني — ٧٤.

كعب بن مسعد الغنوي — ١٨٩.

كليب وائل (بن ربيعة) — ١٣.

— ل —

لبنى (قيس) — ١٣٦.

لويس شيخو — ٧٤٠.

ليلي بنت شعواء الهلالية — ٣٢، ٣٣، ٤٨.

٤٩، ٥٠، ٥٢، ٨٧، ٨٨، ١٠٩.

١٣٤، ١٣٥.

— م —

مالك بن حمار الفزاري — ٣٧، ١١٧.

١١٨، ١٢١، ١٦٣، ١٩٤، ٢٠٣.

المبرّد — ٧٣، ١٢٢، ٢٠٠.

محمد بن أبي شنب — ٧٣.

محمد بن الحنفية — ١٢٠.

محمد رجب الخبار — ١٦.

المرزوقي — ٦١.

المسعودي — ٨٦.

مسكين الدارمي — ١٨٨.

مطيع بن عروة — ١٧٩.

المنذر بن ماء السماء — ٢٢٥.

المنصور العباسي — ٣٤.

منقذ الهلالي — ٢١.

المهلهل بن ربيعة — ١٣.

— ه —

هذبة — ١٣٩.

هرم بن ضمضم — ٢٩.

الهمداني — ٨٢.

الهيثم بن عدي — ١٧٧.

— و —

الورد والد عروة — ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠،

٤٧، ٨٥، ١٢١.

— ي —

يعقوب بن اسحق = ابن السكيت.

يوسف خليف — ١٨، ٥١، ٧٢.

— ن —

نولذكية — ٧٤.

٤ - فهرس الشواهد الشعرية

المطلع	الشاعر	عدد الآيات	القافية	البحر	الصفحة
روي الباء					
وكلهم قد نال	بشر بن المغيرة	١	صاحبة	الطويل	٩٨
روي التاء					
فقلتُ له	عروة بن الورد	١	تموتُ	الوافر	٦٨
ورُبَّتْ شعبة	عروة بن الورد	١	هتيتُ	الوافر	٦٢
روي الحاء					
فرغمُ العيش	عروة بن الورد	١	الرواحُ	الوافر	٦٧
روي الدال					
وإذا افتقرتُ	عروة بن الورد	١	مكدودُ	الكامل	٦٣
ما بالثراءِ	عروة بن الورد	١	يسودُ	الكامل	٦٦
اني امرؤُ	عروة بن الورد	١	واحدُ	الطويل	٤١
وهل أنا	دريد بن الصمة	١	أرشدُ	الطويل	١٢
أذنبُ علينا	قيس بن زهير	١	بيدبِ	الطويل	٣٠
روي الراء					
دعيني للغنى	عروة بن الورد	١	الفقيرُ	الوافر	٤١
واني لأستحيي	الأحيمر السعدي	٢	بعيرُ	الطويل	١٧
غنيا زماناً	عروة بن الورد	٢	الدهرُ	الطويل	٢١
وغبراء	عروة بن الورد	٢	مفررُ	الطويل	٧٧
نبكي على لبنى	قيس بن ذريح	١	أقدرُ	الطويل	١٣٦

المطلع	الشاعر	عدد الآيات	القافية	البحر	الصفحة
فيسر	عروة بن الورد	١	فتعذرا	الطويل	٦٩
تقول	عروة بن الورد	١	بمنسیر	الطويل	٦٤
أقلّي عليّ	عروة بن الورد	١	فاسهري	الطويل	٦٤
أيّسفر وجهي	عروة بن الورد	١	منكري	الطويل	٦١
فإمّا ترينا روي الضاد	دريد بن الصّمة	٤	الدهر	الطويل	١٣
وإني لأستغني روي الفاء	أحد بني أسد	١	قرضي	الطويل	٢١
بيننا نسوس له خلة	حرقة بنت النعمان	٢	نتنصّف	الطويل	٢٠
رأيت بني لبني إذا قلت	عروة بن الورد	١	تجرّف	الطويل	٢٠
روي الكاف	عروة بن الورد	١	التكثّف	الطويل	٦٨
لعل الله روي اللام	عروة بن الورد	١	أعجف	الطويل	٦٦
إمّا ترينا	المتنبي	١	ذراكا	الوافر	١٩٥
وفي الأرض	الأعشى الأكبر	١	نتتعلّ	البسيط	٢٠
دعيني أطوّف	عروة بن الورد	٢	متعزّل	الطويل	١٥
بعزّهم عززت	عروة بن الورد	١	محمل	الطويل	٦٦، ٥٦
عزّ والله	امرؤ القيس	١	أنالا	الوافر	١٢
أقيموا بني لبني	المهلهل بن ربيعة	١	كحلا	الخفيف	١٣
لا تجزعي	عروة بن الورد	١	الهزل	الطويل	٦٨
أي عيش	الحرث بن زيد الخيل	٢	فعل	الطويل	١٣
روي الميم	منقذ الهلالي	٤	رحيل	الخفيف	٢١
ولقد خشيت	عنتر بن شداد	١	ضمضم	الكامل	٢٩
يقيم الرجال روي النون	(غير معروف)	١	المراميا	الخفيف	٢٠
ونشرب	عمرو بن كلثوم	١	طينا	الوافر	١٢٤

٥ - فهرس قصائد الديوان

رقم مسلسل	عنوان القصيدة	المطلع	البحر	القافية	الصفحة
--------------	---------------	--------	-------	---------	--------

روي الباء

١	يلحق بالخيرات...	أيا راكباً	الطويل	يتشَّبُّ	٨١
٢	الورد بن مالك...	لا تلم	الرمل	في النَّسَبِ	٨٥
٣	أسماء العبسية...	إن تأخذوا	الطويل	أعجبُ	٨٧
٤	مذهب الصعلكة	إذا المرءُ	الطويل	أقارِبُهُ	٨٩
٥	بيت منفرد	وأشجع	الطويل	جانب	٩٣
٦	بيت منفرد	لست لمرّة	البسيط	المقاضيْبُ	٩٤
٧	بيت منفرد	ولا أجعل	الطويل	المتغيب	٩٥

روي التاء

٨	رأيي ورأي النحل...	أفي نابٍ	الوافر	مُصِيْتُ	٩٦
---	--------------------	----------	--------	----------	----

روي الحاء

٩	تروحوا تنالوا...	أقول لقومٍ	الطويل	رُزَّحَ	١٠٢
---	------------------	------------	--------	---------	-----

رقم مسلسل	عنوان القصيدة	المطلع	البحر	القافية	الصفحة
--------------	---------------	--------	-------	---------	--------

١٠	جود في الغنى...	إذا آذاك	الوافر	المَراحُ	١٠٧
١١	المال مهابة...	قالت تُماضر	الكامل	قريحُ	١٠٩
١٢	إذا أُجذبت...	هلا سألت	البسيط	الريحُ	١١١

روي الدال

١٣	ثعالب في الحرب...	ما بي من عار	الطويل	نهدُ	١١٣
١٤	بالفعال يسود	بالثراء	الكامل	يسودُ	١١٥
١٥	جزى الله خيراً...	جزى الله	الطويل	أصعدوا	١١٧
١٦	بيت منفرد	إذا مات	الطويل	سيدُ	١٢١
١٧	بوجهي شحوب...	إني امرؤ	الطويل	واحد	١٢١

روي الراء

١٨	سقوني النسء...	أرقتُ	الوافر	مستطير	١٢٦
١٩	لعلك يوماً أن...	تحنّ إلى ليلي	الطويل	أقدرا	١٣٤
٢٠	صعلوك فقير...	أقلي عليّ	الطويل	فاسهري	١٤٢
٢١	هل في كريم...	عفت بعدنا	الطويل	تَغَيَّرُ	١٥٨
٢٢	يوم التخانق	ونحن صَبَحنا	الطويل	مُذَكَّرَا	١٦٥
٢٣	بخل ابن أكثم	أخذت معاقلها	الكامل	أنمار	١٦٧
٢٤	قد بلغت دار...	أبلغ لديك عامراً	الطويل	قرازها	١٦٩
٢٥	الموت في طلب...	إذا المرء	الطويل	فأكثرَا	١٧٢
٢٦	للغنى رب غفور	دعيني للغنى	الوافر	الفقيرُ	١٧٤
٢٧	بيت منفرد	والناشئات	الرجز	صَدَى	١٧٦

رقم مسلسل	عنوان القصيدة	المطلع	البحر	القافية	الصفحة
--------------	---------------	--------	-------	---------	--------

روي العين

٢٨	أحب وأنهق...	وقالوا : أحب	الطويل	وَلَوْع	١٧٧
٢٩	إذا قيل : يا ابن...	أتجعل أقدامي	الطويل	مانعُ	١٨١
٣٠	تقول : ألا أقصر...	تقول : ألا أقصر	الطويل	دامع	١٨٥
٣١	فراشي فراش...	أرى كل ريح	الطويل	سُتْقِلْعُ	١٨٨
٣٢	السيد الأوحـد	لكل أناس	الطويل	ربيعُ	١٩٠
٣٣	ابن الحرّة يطلب...	أَغَيَّرُتموني	الطويل	النزائِعُ	١٩١
٣٤	الصديق الضالّ	وخلّ	الوافر	سَمِيعا	١٩٣

روي الفاء

٣٥	للمقام أطوّفُ	أرى أم حسان	الطويل	أُخَوّفُ	١٩٤
----	---------------	-------------	--------	----------	-----

روي القاف

٣٦	فديته بنفسي	فديتُ	الوافر	أُطِيقُ	١٩٩
----	-------------	-------	--------	---------	-----

روي اللام

٣٧	إن منايا النفس...	أليس ورائي	الطويل	أهلي	٢٠٠
٣٨	عقوق أهل الكنيف	ألا إن أصحاب	الطويل	تموّلوا	٢٠٥
٣٩	من أصحاب النعمة...	وأبي الناس	الوافر	بذي طلال	٢١٥
٤٠	نبوءة ووعيد	تمنّى غربتي	الوافر	ما تقول	٢١٦
٤١	أمل في عطاء...	إلى حكم	الوافر	حقيل	٢٢١
٤٢	المال في خدمة...	دعيني أطوّف	الطويل	مَحْمِلُ	٢٢٢

رقم مسلسل	عنوان القصيدة	المطلع	البحر	القافية	الصفحة
٤٣	تحدُّ	تبغَّ عدياً	الطويل	الأوائل	٢٢٤
٤٤	صورة عروة بريشته	بُنيتُ	الطويل	المفاصلُ	٢٢٦
٤٥	ميراث عروة	وذى أملٍ	الطويل	قليلُ	٢٢٧
٤٦	ميراث عروة	منى ما يجيء	الطويل	لا صِفْرُ	٢٢٩
٤٧	الوصل لا يدوم	ألم تعرفُ	الطويل	من أبانٍ	٢٣٠

٦ - فهرس الأماكن،

البلدان، الأيام، القبائل والجماعات والأسواق

أ -

بنو أسامة - ١٦٣

بنو أكثم - ١٦٧، ١٧٣

بنو أنمار - ١٦٧

بنو أوس - ٢٢٥

آبان (موضع) - ٢٣٠

ذو الأبارق (موضع) - ٢٢١

الأجداد (موضع) - ١٧٩

أحساء - ١٢٢

إمرة - ١٢٩

ب -

بنو بدر - ٢٨

البحرين - ٨٢

بدبد - ١٢٢

البصرة - ١٢٩

بيشة - ١٣٦، ١٣٧

ت -

بنو التيم - ٢٠٠

التخانيق (يوم) - ١٦٥

نبالة - ١٣٨

تهامة - ١٢٧

تيماء - ١٣٦

تيمن - ١٣٦، ١٣٧

التيه (أرض) - ٣٧

ج -

بنو جعفر (الجعافرة) - ١٦٤، ١٦٥

جرش - ١٣٧

ح -

بنو حمير - ٢٩، ٨٦

الحجاز - ٥٨، ١١٧، ١٢٠، ١٢٧

١٥٦

خَرْسَمِين — ٣٧ ، ٢٠٣

حَقِيل (موضع) — ٢٢١

— خ —

خَزَاعَة — ٣٦ ، ١٣٩ ، ١٥٩

خَزِيعَة — ٤١ ، ١١٥

خَط (موضع) — ١٦٦

خَيْبِر — ١٢٠ ، ١٧٧

— د —

دَاحِس الغَبَاء (يوم) — ٢٧ ، ٤٧ ، ٨٥

— ذ —

ذُبَّان — ٢٧ ، ٢٩

— ر —

رَبِيعَة — ٢٢٤

الرَّقْم (يوم) — ٥٢ ، ١٦٥

الرَّبْذَة — ٢١٥

رَضَوَى (ذو) — ١٢٠

الرُّمَّة (موضع) — ٢٣٠

— ز —

بنو زَبَّان — ١١٧ ، ١٢٠

بنو زَيْد — ١٥٣

زَامِرَة — ١٢٩

— س —

آل السَّائِب — ١٩٢

بنو سَعْد — ١٠٣

السَّرَاة — ١٣١

السَّرِير (موضع) — ١٢٨ ، ١٢٩

السَّلَاطِل (ذو) — ٢٢٥

— ش —

شَعَر (يوم) — ١٦٥

— ص —

الصِّفَا — ١٥٩

صِنْدَد — ١٢٠

— ط —

بنو طِيء — ٥٢ ، ٥٣ ، ١٣٩ ، ١٦٩ ، ١٧٠

طَلَال (ذو) — ٢١١

— ض —

بنو عَامِر بن صَعْصَعَة — ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ،

٥٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠

بنو عَيْس — ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٤١ ،

٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ،

٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،

١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،

١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ،

٢٠٩ ، ٢١٦

عدنان — ٨٦

بنو عدي — ٢٢٥ ، ٢٤٢

بنو علي (من كثانة) — ١٢٩

بنو عوذ بن زيد — ٨٤ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٥١

١٦٢ ، ٨٥

بنو عوف — ٣١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

عثر — ١٣٨

العراق — ١١٧

العروض — ٨٢

عُظْم — ١٢٠

عَمَق — ١٢٧

— غ —

بنو غزيرة — ١٣

غطفان — ٢٧ ، ٥٢ ، ١٠٣ ، ١٧٩ ، ٢١٥

غفار — ٣١

الغُرّ والغُرّاء — ١٥٩

غَضُور — ١٣٩ — ١٥٩

— ف —

بنو فزارة — ٢٨ ، ٣٧ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، ٢٠٣

الْفُرْع (موضع) — ٢٢٥

— ق —

قضاة — ٢٩ ، ٣٧ ، ٨٦

القيسية — ٢٩

قيس عيلان — ٢٧ ، ٩٠ ، ١١١

بنو القين — ٣٧ ، ١٢٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٢

قُدَيْد (موضع) — ١٢٧ ، ١٢٨

القَصِيم — ٢٢٦

— ك —

بنو كلب — ١٢٩

كِنَانَة — ٤٠ ، ١١٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩

٢٢٤

الكيسانية — ١٢٠

كَرَاء (موضع) — ١٣٦ ، ١٣٧

كَيْر (موضع) — ١٢٩

— ل —

بنو لُبَيْي — ٦٧ ، ٦٨ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٢

— م —

بنو مالك بن جَعْفَر بن سُبَأ — ٨٦

بنو مُرَّة — ٩٤ ، ١٧٩

بنو مُزِينَة — ١٢٧ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

بنو مُضَر — ٢٧ ، ٢٢٤

بنو مَعَدَّ — ٨٦

بنو مُعْتَم — ١٥٣

المجاز (ذو) (سوق) — ٣٤

المدينة (يثرب) — ٨٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧

١٣٩ ، ١٥٩ ، ٢١٥ ، ٢٢٥

مكة — ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٨٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ٢٢٥
الملا — ١٣٦ ، ١٣٥

— ن —

بنو ناشب — ٨٢ ، ٨١ ، ٥١
بنو نزار — ٢٢٥ ، ٢٧
بنو النضير — ١٢٩ ، ١٢٦ ، ٣١
بنو نهـ — ١١٣ ، ٨٦ ، ٨٥ ، ٤٧ ، ٢٩ ، ١٩١
نجد — ٢٠٣ ، ١٥٥ ، ١١٧ ، ٥٩ ، ٣٧
النقيـ — ١٢٩

— ه —

بنو هـــ — ٣٦ ، ٣٥
بنو هلال بن عامر — ٣٢
هـــ — ١٢٩

— ي —

اليمانية — ٨٦ ، ٢٩
اليهود — ١٧٧ ، ١٢٦
يـرب = المدينة
اليـامة — ١٦٦ ، ٨٢
اليـمن — ١٣٨ ، ١٣٦ ، ١١٧

٧ — فهرس الفوائد اللغوية

المادة	الصفحة
إِذ	١١١
إِذَا	١١٦
إِمَّا	٨١
إِنْ	١١٢
رَبِّتْ	٩٨
مَأْخُذ	٨٧
مَدَى	٨٤
مَذَاهِب	٩١
مَوْقِف	٨٧
هَل	١١٨
الْوَرَاء	٢٠٠

٨ - فهرس حضاري لغوي، اجتماعي

(أمثال، حكم، جمل وتعابير
اصطلاحية، شعارات، رموز...)

أ - الأمثال

- القفر مكان الشَّطَف والسَّعَب ١٨
ما له سارحة ولا رائحة ٩٠
ردّه إلى أطناب بيته ٩٦
أنت مرة عيش، ومرة جيش ١١٥
شدة الحرّ من فيح جهنم ١٢٨
ما يعيش بأحور ١٣٩
الهيئة خيبة ١٦٢
سعيه في خيَّاب بن هيَّاب ١٦٢
عَشْرُ والموتُ شجا الوريد ١٣٨
أرهنّت له ماء عينيها ٢١٠
ركب ذنّب البعير ٢١٨
اتّبع ذنّب أمرٍ مُدبر ٢١٩
باتت بليّة شياء ٢١٩
لا حرّ بوادي عوف ٢٢٥
ينخافون خطف الطير ٩٣

ب - الشعارات والرموز

(بعضها خاص بعروة)

- الفرد للجماعة والجماعة للفرد ١٢
انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ١٣
يصادق من تصادق ويعادي من تعادي ١٢
يا أبا الصعاليك أغثنا ٣٦
أصحاب الكنيف ١٠٤
شحوب الحق ٤٧
كريم أصابته الخطوب ١٩٦
مُبلغ نفسٍ عذرها مثل مُنَجِّح ... ١٠٥
أقسّم جسمي في جسوم كثيرة ... ١٢٤
للغني ربّ غفور ١٧٥

ج - جمل وتعابير اصطلاحية

- طويل العماد ٣٢
كثير الرماد ٣٣
طويل التجاد ١٩٢

١٠١	تشتجر العوالي	١٩٢	عاري الأشاجع
١٧١	تفري صدارها	١٦٠	ناصرح الجيب
٢١٨	دارت رحي الحرب	١١٤	معم مخول
٣٧	تهلكهم ضيعة	٣٣	مرى أخلافها
١٤٩	أفني حياءك	٣٣	التفع بثوب
٢٠٢	أمر وأحلي	٣٥	أورى فاراً
٣٦	كسر بيت	٣٦	حال في متن القرس
٣٧	أرض ذات لخافيق	٣٦	انقطع عن البيوت
٣٧	الإبل مئة مئال	٣٧	نذب منهم رهطاً
٢١٠	ذو الأثم	٣٧	بث عيوناً
١١٤	حرب عوان	١٣٩	أسر ندامة
١٣٠	آثر ذي أثير	٩٠	دبت عقاربه
٣٨	واللات والعزى	١٧١	شال السّمك
١٤٦	لك الويلات	١٩٦	استاف البلاد
١٥١	لحا الله	٢٠١	أقام صدر المطية
٢١٣	أمك هابل	٢٠٣	شد حيازيم المطية
٢٠٧	عليك السلم	٢١٦	طحح به القول
٢١٧	أنعم صباحاً	٢١٨	أخذ بذناب عيش
٢١٧	أبيت اللعن	٤١	شد على إيله فاستاقها
		٣٥	غارت النجوم

٩ - فهرس معالم الحياة

أولاً : الانسان، جسمه، حركاته، مأكله، مشربه،
ملبسه وما يتبع ذلك.

- د -	- ب -
دِهان - ١٣	البدوي، البدو - ١٤، ١٨، ١٩، ٢٢، ٣٣، ١٢٧ التملُّل ٢٠٧
- ر -	- ج -
الرُّضاب - ١٣٠، ١٣١	الجُمَّة - ١٦٤
- ش -	الجوع - ٤٧، ٥٠، ٩٧، ١٢٣، ١٣٧
الشُّكر - ٢١٩	- ح -
شَعَر - ١٧٣	الحَوَر، حار - ١٢٧
- ص -	- خ -
الصُّدار - ١٧١	الخُصاصة - ١٢٥
الصُّوب (سير) - ١٨٦	الخمِر - ١٣٠، ١٣١
- ط -	خميص، مخماص - ١٤١
الطوى، الطَّيَّان - ١٢٤، ١٤٢	

— ع —

عَشْرَ — ١٧٨

غَلَّ — ١٦٥

عَبِرَ — ١٦٠

— ق —

القَرَّاح — ٤١ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ٢٢٢

— ك —

كُحِلَ — ٢٤ ، ١٣

— ل —

اللَّئِمَّة — ١٦٤

— م —

المَشْك — ١٦٠

المَضْيَغ — ٢١٠

المُعْجَل — ٢٠٩

المَلِيل — ٢٢٢

— ن —

النَّسْرَ — ١٢٦ ، ١٣٢

— ه —

هَدَجَ — ٢٠١

— و —

وَحَوَّخَ — ٢١٢

وَلَوَّلَ — ٢١٢

ثانياً : الحرب وعدتها وتوابعها،
الأدوات الأخرى

— ح —

الحُسَام — ٢٢٩

الحَصِيَّت (وعاء) — ٩٨

— خ —

الخطِّي (رمح) — ١٦٦

— أ —

الأبيض (سيف) — ١٥٤ ، ١٨٣ ، ٢٢٨

الأسمر (رمح) — ١٦٦ ، ٢٢٨

— ج —

الجُمان — ٢٢٥ ، ٢٣١

— د —

الدرع — ٢٢٧

— ز —

الزُّلم، الأزلَام (ميسر) — ١١١، ١٤٤

— س —

السطو — ٣٤، ٥٦

السلب، الأسلاب — ١٤، ٢١، ٢٢

— ص —

الصارم (سيف) — ٢٢٩

صَبَح — ١٦٥

— ض —

الضبوء — ١٤٦

— ع —

العيس (قدح) — ١١٩، ٢١٥

— غ —

غارة، أغار — ١٣

غزو — ٢٢، ٥٤، ٥٥، ١٩٤

— ف —

فادي، مفاداة، فداء — ٣٢

— ق —

القدح، القداح (ميسر) — ١١١، ١٥٢

القُدْر — ٥٧، ٥٩، ١٥٧، ٢٠٨

— ل —

اللذن (رمح) — ١٦٦

— م —

المِرْجَل — ٢٠٥

مِسْوَاك، مساويك — ١٣١

مغفر — ٢٢٧، ٢٢٨

المُهَنْد — ١٦٦

— ن —

النَّجَاد — ١٩٢

— و —

الوغي — ١٦٨

الوْطْب — ١١٩

ثالثاً : النزول، الترحّل، المساكن،
التجمّعات، الحياة العائلية
والاجتماعية

— أ —

ابتعاد، تبرّد — ١١٩، ١٣٨، ١٣٩
أدبار البيوت — ١٤٦

— ت —

التبني — ١٥، ١٦
التصعلك — ١٧، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤،
٢٩، ٣٠، ٣٥، ٥٢، ٥٦، ٨٩
التغوير — ١٣٨

— ج —

الجار — ٢٣، ٥٧، ٦٢، ٨٩، ٩٢، ٩٦،
٩٧، ٩٨، ٩٩، ١١٥، ١٦٥
الجارة — ٣٣، ٥٧، ٦٤، ٨٩، ٩٢
الجُف (جماعة) — ٢١٧

— ح —

الحديد (جار) — ٢١١
حظيرة، حَظَر — ٢٤، ٥٨، ١٠٣، ١٠٥
الحلول — ١٩٧
الحي — ١٦٤

— خ —

الخليط — ١٦٠
الخليع، خَلَع — ١٥، ١٦، ٢٤، ٥٤
خَلِي — ١٤٤

— د —

الدَّل — ٢٢٢

— ر —

ربيء، ربيعة — ٥٥، ٢٠٥
رَهْط — ١٦٤
رهن، راهن، رهان — ٢٧، ٢٨

— س —

ساحة الدار — ١٢١

— ص —

صعلكة، صعلوك، صعاليك — ١١، ١٥،
١٦، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٣٤،
٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٤٦،
٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨،
٦٧، ٧١، ٧٢، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢

١٠٠، ١٠٨، ١٢٢، ١٤٢، ١٥٢،

١٥٣، ١٥٥، ٢٠٦

صَبْر (قبر) — ١٤٠

ط —

الطارق — ١٥٧

طاف، طَوَّف، طواف — ٥٥

الطَّلَب — ٦٥، ٦٣، ٣٧

طُنْب، طِنَاب — ٩٦

ظ —

ظمينة — ٣٧، ١٩٨، ٢٠٠

ع —

عتاب الزوجة — ٣٥، ٦٤، ٦٥، ٩٦،

١٤٢، ١٤٤، ١٧٤، ١٨٥، ١٩٤،

٢٢٢

عريش — ١٥١

عُصْبَة، عَصَائِب — ١١، ١٣

العصمة — ١٣٣

ف —

فَنَاء، أَفْنَاء — ٦٣، ٩٢، ٩٣، ١٠٨

ق —

القابس — ١٥٢

القبيل — ٢٢٠

قعيد، قعيدة — ١٤٠

ك —

الكناس — ١٤٦

كنف، كنيف — ٢٥، ٣٧، ٣٨، ٦٧،

٧٠، ١٠٣، (١٠٤)، ١١٧، ١٢١،

١٩٧، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٥

ل —

اللَّمَّة (جماعة) — ١٦٤

م —

مبيت — ٢١٧

مَجْزَرَة، مجازر — ٥٤، ١٥٠، ١٥٧

المَحْضَر — ١٤٤

المُرَاح — ٩٠، ١٠٧، (١٠٨)

المُطَانِب — ٩٦

المُعْرَس — ١٢٩، ١٣٠

المَعْهَد — ١٢٩

المَقِيل — ٢١٧

المَنِيح — ١٥٢

الموسم — ١٦

ن —

النادي، النديّ — ٥٢، ١١٠، ١١١، ١٧٥

نَجْعَة، نُجْع — ١٤٥

النزيرة — ٢٩، ٤٧، ٤٩، ١٣٥، ١٩١،

١٩٢

ه —

هُلَاك (جماعة) — ٢٠٩

رابعاً : الصفات والرموز

— أ —

الإباء — ٤٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٨٠
أفيذة — ٣١، ٣٢
اشتراكية — ١٨، ٦٠، ٦٣
أقب — ١٤١
الالتزام — ٧٠
الانتماء — ١١، ١٢، ١٦، ٢٣، ٥٤،
١٥٨، ١٦٤، ١٦٥
الإيثار — ٤١، ٤٧، ٦١، (٩٨)، ٩٩، ١٥١

— ب —

البخيل، البخل — ٤٠، ٤٩، ٥٣، ٥٦
٦٢، ٦٦، ٩٦، ١٠١

— ت —

التعفف = العفة
التبرّد = الابتعاد
التضحية — ٦١
التناوب — ١٢٥

— ث —

الثأر، المشاركات — ١٢، ١٣، ١٤، ١٥،
٤٤، ٤٨، ٥٣، ٥٦، ١٩١، ١٩٢،
١٩٣
ثقل، أثقال — ٦١

— ج —

الجبن — ١١٤
الجريفة، الجرائر — ١٥، ١٦، ٢٤، ٦١،
٨٣، ١٨١
الجُلّي — ١١٤

— ح —

الحق، الحقوق — ٦٢، ٦٥، ٩٩، ١٢٣،
١٢٥، ١٩٦، ٢٢٢، ٢٢٣
الحلم — ٨٣، ٨٤
الحفاظ والحفيظة — ١٧٠، ١٨٠
الحماكة — ٢٢٢

— د —

الدم، الدماء — ١٢، ١٣، ٨٢
الدية، الديات — ١٢، ٣٥، ٦١

— ذ —

الذنب، الذنوب — ٨٢، ٨٣

— ر —

الرياسة — ١١

— س —

السيء، السيئة — ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٤٨، ٥٣
السُّرَاة — ١٣٨
سهم الحظ — ١٤٥
السُّيْد، السيادة — ٢٠، ٥٧، ٥٩، ٦٦،
٦٧، ٨٩، ٩٢، ١٠٠، ١١٥، ١٢١،
١٩٠

— ش —

الشجاعة — ٥٩، ٦٠
الشُّرف — ٨٥، ١٢٤
شطارة — ١٥

— ص —

صيلة، صِلَات — ١٢٤

— ض —

الضيافة، الضيف — ١٩، ٦٠، ٦١، ٩٧،
٩٩، ١٢٣، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٣،
١٥٠، ١٥٧، ١٥٨، ١٨٥، ١٨٩،
١٩٠، ١٩٦
ضُبْعَة — ٤١

— ط —

طَفَلَة — ١٧١
طَلِيح — ١٥١

— ع —

العار — ١٢
عبء، أعباء — ٦١
العرض — ٥٠، ١٢٥، ١٤١
العطاء — ١٩، ٣٥، ٦١، ٦٢، ٩٥، ٩٨،
١١٠، ١١٦، ١١٩، ١٢٢، ١٢٣،
١٢٥، ١٣٥
عصبية — ١٤
عِقَّة، تعَفُّف — ٣٣، ٤٠، ٤١، ٥٨، ٨٩،
٩٢
عُقُوق — ٣٨
العَوَز — ١٨
العوائد — ١٢٤
عَيَّر — ٤٧، ٤٨

— غ —

غض الطرف — ٣٣
غنى، غني، أغنياء — ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١،
٢٥، ٤١، ٤٩، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٦٣،
٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ١٠٥،
١١٠، ١١٦، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٨،
١٦٤، ١٦٦، ١٩٥، ١٩٧

— ف —

الفروسية — ٤٠
فقر، فقير، افتقر — ١٨، ٢٠، ٢١، ٤٠،
٤١، ٤٩، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٣، ٦٦،
٦٩، ٨٩، ٩٠، ١١٠، ١١٦، ١٢٢

١٢٤ ، ١٣٢ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠٩

— ق —

القرى — ١٩ ، ٢٥ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٩٧ ،
١٥٠ ، (١٥٧) ، ١٦٨ ، ١٩٠ ،
القليل — ٢١٨

— ك —

كرم، كريم — ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ،
٣٥ ، ٤٠ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٩٦ ،
١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ١٩٦ ،
٢٢٣
كعاعة — ٣٦

— م —

الماجد — ١٢٥ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٨٦ ،
(١٨٧)
المال — ١٩ ، ٢٠ ، ٣٩ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ،
١٠٧ ، (١٠٩) ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٥٨ ،
متعفّر — ١٥٠
مجد، أمجاد — ٤٨ ، ٥٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ،
١١٦ ، ١٤٣

مروعة — ٤١ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ١٠٠ ، ١٢١ ،
١٢٥ ، ٢٢٣

المعروف — ١٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٩٥ ، ١٠٠ ،
١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ٢٢٢ ،
المقيت — ٩٩

المكارم — ٤٨ ، ٨٥
الميسر — ١٥٠

— ن —

التجابة — ٤٨ ، ١٩٢
النجلة — ٤٠ ، ٥٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٢ ،
١٨٠ ، ١٨١
التحول — ٤٧
النخوة — ٥٨
نسب — ١١ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٨٥ ، ١١٤ ،
١٩١ ، ١٥٨
النصرة ١٤

— ه —

هابل — ٢١٣
هزنء (عطاء) — ١٤٩

— و —

وتر، وائر، موتور — ١٢ ، ١٣ ،
وزر، أوزار — ١٢ ، ١٤ ، ٥٤
الوفاء — ٦٢ ، ٩٩
ولاء — ٣١ ، ١٩١ ، (٢٠٧)

خامساً : الأرض، السماء، الطبيعة،
الأماكن، الزمان..

— ر —

رباب — ١٢٧

رعد — ١٣٨

روضة — ١٧٨

— س —

سُرية — ١٩٧

السماء (مطر) — ١٨٩

— ش —

شيباء (ليلة) — ٢١٢

— ص —

صَرماء (أرض) — ١٤٧

— ع —

عافية — ١٥٩

— غ —

غبراء — ١٦١

— أ —

أفَّيح، أفَّيح — ٢١٤

— ب —

البرق — ٤٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩

بلدة — ١٨٣

— ث —

الثغر — ١٦١

الثنية — ١٦١

— ج —

الجدب، أجذب — ١٨، ١٩، ٢٤، ٣٧،

٣٩، ١٢٤، ١٣٥

— خ —

خُلَّة — ١٦٨

— د —

دغل، أدغال — ٢٢٥

ديمومة — ٢١٣

— ف —

الفَجَّ — ٩١

الفيافي — ٢٣

— ق —

القاع — ١٨٣

القحط — ٥٢، ٥٤، ١٢٤، ١٣٥، ١٤٠،

١٤١، ١٤٢

الْقَرَّ — ١٢٤

القفر، القِفَار — ٢٣

— ل —

لخفوق، لخافيق — ٣٧

اللَّوى — ٨٨

— م —

مُتَدَوِّر — ١٥٩

مخوفة — ١٦١، ٢٠٤، ٢٠٥

مَلْفَع، مدافع — ١٢٠

المرقبة (منظرة) — ٩٤

مَزِلَّة — ١٤٨

مَضِلَّة — ١٣٦

المطر — ٤٥

المعزاء — ٢٢١

مفازة، مفاوز — ٢١، ٦٣، ٢١٣

مقضية — ٩٤ — مُنْبَطِيع — ٢٢٥

مُنْعَرَج — ٢٣٠

الْمَنْهَل — ٢٠٤

— ن —

ناصف، نواصف — ٢٣٠

نِقَاب — ١٥٦

— أ —

إبل — ٥٨، ٨٩، ٩٠، ١٥٥، ١٥٦

أبلق، بِلْقَاء (خيل) — ١٢٦

أجرد — ٢٣٠

أرنب — ٣٥

أسد — ٣٩، ١٣٧، ١٣٨، ١٩٢

الإفال (إبل) — ١٦

— ب —

بعير — ١٧، ١٥١، ١٨٤

البكر، البكارة (إبل) — ٩٨، ١٦٩

— ج —

الجرادة = أم سرياح — ١٩٧

الْجَزُور (إبل) — ١٠٦، ١٠٧، ١٠٧

١١١، ١٥٠، ١٩٤

سادساً : الحيوان وما يتعلق به

الجلال — ١٨٧

الجمل — ٦٣ ، ١٦٩

— ح —

الحُوار (ابل) — ١٦٩

الخيزوم — ٢٠٣

— خ —

الخَدمة — ١٥٦

الخلوج، الخِلاج — ١٦٢

— ذ —

ذئب، ذئاب — ٢٣ ، ٢٤ ، ١٠٣ ، ١٣٧

١٩٢

ذؤد، أذواد — ٢٨

— ر —

رأل — ٢٠١

رحل، رِحال — ١٣٨ ، ١٥٩ ، ١٧١

٢٠٨ ، ٢٠٩

— س —

السُّخال — ٢١٦

سُرْبَة — ١٩٧

أم سِرياح = الجِرادَة

سريح — ١٥٦

السوام (ابل) — ٨٩ ، (١٥٤)

— ش —

شارف (ابل) — ٢٠٩

شَعْر — ١٢٨

الشُمط، أشمط، شمطاء (ابل) — ١٥٥

١٥٧

الشوال (ابل) — ١٨٤

— ص —

صرماء (ابل) — ١٤٧ ، ٢٠٨

صرى. (ابل) — ١٧٠

— ض —

ضبع، ضباع — ١٨٣

— ظ —

ظليم — ٢٠١

— ع —

عائذ، عوداء — ١٢٨ ، ١٧٠ ، ١٨٨

عُشْرَاء، عشار (ابل) — ١٧٠

العَقْل، عَقْل — ٢١٤

عنز — ٢١٥

— ف —

الفصيل — ١٦٩

— ق —

قُتِب، أَقْتَاب — ١٣٨، ١٣٩

قَتَد، أَقْتَاد — ١٤٧

الْقُلُوص (ابل) — ١٠٣

— ك —

كريم (خيل) — ١٨٧

كواسع (خيل) — ١٥٤، ١٥٧

كُومَة، كُوم (ابل) — ٢١٣

— ل —

لُفْحَة (ابل) — ١٦٨

لُقُوح، لِقَاح (ابل) — ١١٩، ١٦٧

الْكِنَاس — ١٤٤

— م —

المُحَسَّر (ابل) — ١٥١

مُذَكِّر (ابل) — ١٤٧

المُراج — ٩٠، ١٠٧، (١٠٨)

مُسْن، مَسَان — ٢١٠

مَعْقِل، معاقل (ابل) — ١٦٧

مُنَاقِلَة — ١٥٥

مَنَسِير — ١٤٦

مَنَسِم — ٢٢١

— ن —

الناب (ابل) — ٦٣، ٩٦، ٢١٠

الناقة — ٩٧، ٩٦، ٤٥

نجل — ٢٢١

نَعْل (ابل) — ١٥٦

— ه —

هجمة (ابل) — ١٩٤، ٢٠٣

سابعاً : النباتات

— أ —

الأراك — ٣٩

الأبَاء والاباءة — ١٣٧

الأثَل — ٢٠٢

— ت —

الثمام — ١٥١

— ج —

جريد (النخل) — ١٥١
الجِذْل — ٢٠٤

— ح —

الحَمَض — ١٦٨

— خ —

الخُلَّة — ١٦٨ ، ١٦٩

— ر —

ربيع — ٢١٦

— س —

السُّدْر — ٣٩

سَرْحَة — ٣٥

السُّرُو — ١٥٥

— ش —

الشَّت — ٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٦

— ع —

العَرُغَر — ٥٨ ، ١٥٥ ، ١٥٢

عُرُوة، عُرى — ٣٧ ، ٣٩ ، ٢٠٢

العِضَاه — ١٠٦ ، ١٣١

— ق —

القَضْب — ٩٤

— ك —

كلأحابس — ٢١٤

الكمأة — ١٢٠

— ن —

نخل — ١٣

— ي —

اليَسْتَعُور — ١٣١

١٠ - فهرس المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

— القرآن الكريم —

— آثار البلاد وأخبار العباد. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، صادر، بيروت، ١٩٦٠.

— الأغاني. أبو الفرج الأصفهاني، الثقافة، بيروت، ١٩٥٧.

— الأمالي. أبو علي، اسماعيل بن القاسم الغالي البغدادي، دار الكتب، مصر.

— بلوغ الأرب. شكري الألوسي، المطبعة الرحمانية التجارية الكبرى، ١٩٥٦.

— البيان والتبيين. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. مكتبة الخانجي — مصر.

— تاريخ يعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، صادر، بيروت.

— خزانة الأدب. عبد القادر بن عمر البغدادي، مكتبة حامد عجان، حلب.

— سمط اللآلي. أبو عبيد، عبدالله بن عبد العزيز بن محمد البكري، لجنة التأليف، مصر، ١٩٣٦.

— شرح ديوان الحماسة. أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، لجنة التأليف، مصر، ١٩٦٧.

- الشعر والشعراء. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار التراث العربي، مصر، ١٩٧٧.
- العقد الفريد. أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، لجنة التأليف، مصر، ١٩٤٨.
- عيون الأخبار. أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الكتب، مصر، ١٩٢٥.
- فقه اللغة. أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي، المطبعة العربية، مصر، ١٣١٧ هـ.
- فحولة الشعراء. أبو سعيد، عبد الملك بن قريب الأصمعي، المطبعة المنيرية، مصر، ١٩٥٣.
- الكامل في التاريخ. أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، المعروف بعز الدين بن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧.
- الكامل في اللغة. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، نهضة مصر، مصر.
- لامية العرب. اسد بن جابر الشنفرى، شرح الزمخشري وشرح المبرد، الجوائب، القسطنطينية، ١٣٠٠ هـ.
- اللباب في تهذيب الأنساب. عز الدين بن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت.
- مجمع الأمثال. أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٠.
- مروج الذهب. أبو الحسن، علي بن الحسين السعودي، الأندلس، بيروت، ١٩٧٣.
- المقدمة. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تحقيق وشرح علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، مصر، ١٩٥٧.

ثانياً : الدواوين والمجموعات الشعرية

- أراجيز العرب. محمد توفيق البكري الصديق، الطبعة الأولى، ١٣١٢ هـ.

— جهرة أشعار العرب. أبو زيد محمد بن الخطاب القرشي، المكتبة التجارية، مصر، ١٩٢٦.

— ديوان الحماسة. أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، (شرح مختصر عن التبريزي وغيره)، المكتبة الأزهرية، مصر، ١٩٢٧.

— ديوان المراقسة (ملحق بديوان امرئ القيس). حسن السندوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٥٩.

— ديوان المعاني. أبو هلال العسكري، مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥٢ هـ.

— شعراء النصرانية قبل الإسلام. لويس شيخو، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٢.

— النجالي الحديثة. فؤاد افرام البستاني، منشورات الآداب الشرقية، بيروت، ١٩٤٦.

ثالثاً : المعاجم

— أساس البلاغة. أبو القاسم محمد بن عمر الزمخشري، المطبعة الوهية، ١٨٨٢.

— الأضداد في اللغة. محمد بن القاسم بن بشار الأنباري، المطبعة الحسينية، مصر، ١٣٢٥ هـ.

— تاج العروس. السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الجيل، الكويت، ١٩٦٥—١٩٨٥.

— الفروق اللغوية. أبو هلال العسكري، مكتبة القدسي، مصر، ١٣٥٣ هـ.

— لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين بن منظور، صادر، بيروت.

— متن اللغة. الشيخ أحمد رضا، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨.

— معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الكتب العلمية، إيران.

رابعاً : المراجع

— شرح ديوان المتنبي. أبو البقاء العكبري، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧١.

— الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي. يوسف خليف، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩.

- الشعراء الفرسان. بطرس البستاني، دار المكشوف.
- عروة بن الورد. ابراهيم شحادة الخواجه، المنشأة الشعبية، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٨١.
- قصة الأدب في العالم. أحمد أمين وزكي نجيب محمود، مكتبة النهضة، مصر، ١٩٥٥.
- معجم الشعراء في لسان العرب. ياسين الأيوبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام. جواد علي، دار العلم للملايين — مكتبة النهضة، بيروت — بغداد، ١٩٧٦.
- مهد العرب. عبد الوهاب عزام، دار المعارف، مصر، ١٩٤٦.
- أثر الصحراء في الشعر الجاهلي. سعدى ضناوي، أطروحة أعدت لنيل شهادة الكفاءة في كلية التربية — الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥.

١١ - فهرس الموضوعات

٩	تمهيد : حركة الصعلكة في العصر الجاهلي
٩	١ - الانتماء الاجتماعي
١٣	٢ - اللاتمام والصعلكة
١٥	٣ - التصعلك
١٥	أ - مفهوم الملكية
١٦	ب - الفقر والغنى
١٧	ج - الرحلة في سبيل الغنى
٢٠	٤ - موقع عروة من حركة الصعلكة
٢٧	القسم الأول : عروة بن الورد : نسبه - حياته
٢٧	أولاً : أبوه
٢٩	ثانياً : أمه
٣٠	ثالثاً : عروة في أسرته
٣٠	رابعاً : عروة في حياته الخاصة
٣١	١ - الزواج الأول
٣٢	٢ - الزواج الآخر
٣٤	خامساً : عروة في حياته العامة
٣٩	القسم الثاني : اسمه وصفاته والآراء فيه
٣٩	أولاً : اسمه
٤٠	ثانياً : صفاته والآراء فيه

القسم الثالث : ديوان عروة بن الورد (دراسته)	٤١
أولاً : شكل القصائد	٤١
ثانياً : ميزة مقطوعاته	٤٥
ثالثاً : مواضع مقطوعاته	٤٥
١ - القضايا العائلية	٤٦
أ - عروة وأخوه	٤٦
ب - عروة وأبو الورد	٤٧
ج - والدته	٤٧
د - عروة وزوجاته	٤٨
٢ - القضايا القبلية	٥١
٣ - الصعلكة	٥٣
أ - أسباب الصعلكة عنده	٥٣
ب - مفهوم الصعلكة عنده	٥٤
ج - مفهوم عروة لدوره فيها	٥٥
د - غزوة صعلوكية نموذجية	٥٨
رابعاً : فلسفة عروة وأخلاقه	٥٩
١ - المستوى الأول	٥٩
أ - الشجاعة	٥٩
ب - ازدراء الموت	٦٠
ج - الكرم	٦٠
د - الآباء والعفة	٦٣
٢ - المستوى الثاني : حوار الزوجة	٦١
٣ - المستوى الثالث : تعاليمه الموجهة إلى صغاليكه	٦٧
القسم الرابع : شرح الديوان	٧١
١ - لغة عروة	٧١
٢ - الشروح السابقة للديوان	٧٣
٣ - خططنا في الشرح	٧٥
٤ - ظروف الشرح وصعوباته	٧٦
أ - طبيعة اللغة العربية	٧٦

٧٧ ب — طبعة المعاجم الموسوعية
٧٧ ج — طبعة شعر عروة
٧٩ خاتمة
٧٩ الديوان

فهرس الفهارس

٢٣٢ ١ — فهرس الآيات القرآنية
٢٣٢ ٢ — فهرس الأحاديث النبوية
٢٣٣ ٣ — فهرس الأعلام
٢٣٧ ٤ — فهرس الشواهد الشعرية
٢٣٩ ٥ — فهرس قصائد الديوان
٢٤٣ ٦ — فهرس الأماكن، والبلدان، والأيام، والقبائل والجماعات، والأسواق
٢٤٧ ٧ — فهرس الفوائد اللغوية
٢٤٨ ٨ — فهرس حضاري لغوي، اجتماعي
٢٥٠ ٩ — فهرس معالم الحياة
٢٦٣ ١٠ — فهرس المصادر والمراجع
٢٦٧ ١١ — فهرس الموضوعات

